داعية وليس نبياً

قراءة نقدية لمذهب

الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير

حسن بن فرحان المالكي

داعية وليس نبياً !

(قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير)



مركز الدراسات التاريخية



المحتويات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله، ورضي الله عن أصحابه من المهاجرين والأنصار وعلى من تبعهم بإحسان أما بعد:

فكنت قد كتبت مذكرة في أوراق يسيرة في نقد كتاب (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، قبل سنوات، ثم أخذت من وقت آخر أجدد وأضيف وأصوّب وأجمع إلى أن رأيت أنني قد جمعت قدراً لا بأس به مما يصلح في تقييم منهج الشيخ في التكفير، لذلك رأيت نشر ما جمعته ونقحته في كتاب في هذه الأيام بعد أن تزايد التساؤل عن الشيخ وعن منهجه وأتباعه وهل كان فيهم تكفير للمسلمين ؟ أم أن هذا من تشنيع الخصوم؟ أم من سوء الفهم لكلامه...الخ.

وقبل أن أدخل في لب الموضوع، كان لا بد من مسائل أبسطها في هذه المقدمة، رفعاً للالتباس وتقريراً للأهداف، ثم بعد ذلك أطرق صلب الموضوع من كتب الشيخ وأقواله.

مسائل تمهيدية:

المسألة الأولى: من هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

هناك مقدمة يجب أن نقررها في البداية وهي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله داعية وإصلاحي[1] وليس نبياً.

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي، ولد عام ١١١٥هـ وتوفي عام ١٢٠٦هـ وبدأت دعوته عام ١١٥٧هـ بعد وفاة والده، وعاصر ابن معمر (أمير العيينة) ومحمد بن سعود أمير الدرعية ثم ابنه عبد العزيز... وللاستزادة من التعريف به، راجع الملحق – الفقرة الأولى.

لا خلاف في هذا من الناحية النظرية ولا خلاف في هذا – عند المنصفين - من حيث التطبيق أيضاً إنما الخلاف مع فئتين من الناس:

١. مع من يكفره أو يفسقه أو يشكك في أهدافه، وهؤلاء لا يسلمون بأنه داعية وإصلاحي.

٢. ومع من يمنع من مراجعة إنتاجه وتقييم منهجه ويأبى تخطئته فيما أخطأ فيه، وهؤلاء يكونون قد أنزلوه منزلة الأنبياء المعصومين.

فقولنا: (داعية) نقصد به رداً على من يكفره أو يفسقه أو يشكك في أهدافه من حيث الجملة، وقولنا: (ليس نبياً) نقصد به الرد على من يغلو فيه، وهم المرادون بهذا الكتاب.

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله له فضل علينا جميعاً في المملكة العربية السعودية، بل على كثير من المسلمين في العالم[1]، لكن لا يجوز أبداً أن نقلده فيما أخطأ فيه؛ شأنه شأن غيره من البشر؛ من علماء ودعاة وطلبة علم، فإذا كنا نقبل تخطئة أبي حنيفة و الشافعي وأمثالهم[2]؛ فكيف لا نقبل تخطئة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟! مع أنه أقل من هؤلاء علماً وأثراً بإجماع المنصفين من أهل العلم.

---

(١) كما أنه من الإنصاف أن نقول، أن تشدده رحمه الله في التكفير جلب علينا أضراراً وعلى كثير من المسلمين في العالم، ودلائل غلو الشيخ في التكفير ظاهرة لمن أنجاه الله من التعصب بغير الحق – كما ستأتي الأمثلة صريحة في هذا الكتاب- لكن بما أنه بشر غير معصوم فهذه الأخطاء لا تلغي فضائله ودعوته واجتهاده، وهذه الخصال الفاضلة أيضاً ظاهرة في سيرته وكتبه.

(٢) بل نرى بعض المتعصبين للشيخ يقبل بكل سهولة تخطئة كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي ذر رضي الله عنهم وأمثالهم ولا يقبل مجرد تخطئة الشيخ، وهذا من الغلو في الصالحين الذي ننكره بحق قولاً وفعلاً، وإن وجدنا في هذا الإنكار الأذى من هؤلاء الذين يقولون إنهم يحاربون الغلو في الصالحين!، كما أن في المتعصبين ضده من يقبل من غيره ممن يعظمونهم أخطاء مماثلة أو قريبة من أخطائه... وهذا أيضاً لا يجوز، فالميزان يجب أن يكون واحداً، تخطئة بأدب مع حفظ للحق الذي قال به، وهذا المنهج يجب أن يتبع مع الجميع، من سائر الفرق والمذاهب.

المسألة الثانية: الشيخ بين الغلو في تقليده والغلو في ذمه.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كسائر المشهورين، الناس فيه بين قالٍ مفرط في الذم والهجاء، وغالٍ مفرط في المدح والثناء، ونحن نحاول أن نكون في الأمر وسطاً، ولأهل الإنصاف فرطاً، فنعرف ما له من حق حسن؛ وما عليه من هنات ووهن، فنعترف بالحق لأهله، ولا نجامل الباطل في رده، ونرجو له في الحالتين الأجر والثواب، والأمن من الإثم والعقاب، مع اقتران هذا الرجاء وذاك ببيان هذه الأخطاء للناس بالدليل والبرهان؛ حتى لا يتأثروا بها وينساقوا خلف المغالين من أتباعه الذين أساءوا له بتعصبهم أكثر مما أحسنوا؛ سواء كانت أخطاؤه في الإيمانيات (العقائد) أو الأحكام، مع التسليم بأن الأخطاء في العقائد أسوأ أثراً على غلاة الأتباع، ولهم اليوم الغلبة على المعتدلين، وهم المقصودون بهذه الدراسة التقييمية السريعة، فقد بالغوا في التقليد ومنعوا من تقييم منهج الشيخ وحاربوا كل من له قراءة أخرى تدين بعض ما كتبه ونشره وقرره، فقد اغتروا بصفاء الأيام وإقبال الزمان، فشمروا عن ساعد الجد، وأخذوا في تقسيم الدين إلى أعشار وأرباع، فهم بين بدءٍ وإرجاع، واستمالة وإفزاع، فربما أفنوا الأعمار والدهور، في صغائر الأمور، فجعلوا من نزر الفروع أصولاً في السماء، وبنوا عليها تهوين عظيمها، من التكفير واستحلال الدماء، فهنا تستحكم الفتنة، وتشتد المحنة ليأتي الجاهل بما يقول ليقول: نحن على منهج سلفنا لا نرتضي بهم بدلاً ولا نرضى عنهم حولا، فهم سلفنا الصالح ولنا منهجنا الواضح! فيبقى الناس من الجانبين، في طخيةٍ عمياء، وخبطةٍ عذراء، متشبثين بغلو على حافتي الصراط المستقيم، مفنين أعمارهم، بين باطل منشور وحق لا ينهزم.

وقديما قيل (زلة العالِم زلة عالَم)، فلهذا يجب على أهل العلم؛ أن يكونوا في مستوى المسئولية والشجاعة ببيان أخطاء العظماء بعلم وأدب وإنصاف؛ فلا يجرمنهم غلو أتباعهم في الاعتراف بفضلهم؛ ولا يدفعهم ظلم خصومهم للتخندق مع أخطائهم

وتجاوزاتهم، فمهمة طالب العلم المنصف المبتغي وجه الله أن يدفع الناس للتوسط في هذه الأمور لمعرفة الحقيقة المجردة عند تقييم المتبوعين، فنعرف الشخصية بلا غلو أو جفاء، نعرفها كما هي بمحاسنها ومساوئها، فلا يسلم من الخطأ والإصرار عليه إلا الأنبياء والمرسلون.

المسألة الثالثة: حول استخدام مصطلح الوهابية.

وفي هذه المسألة أمور:

الأمر الأول: أنه سيجد القارئ أثناء هذا البحث أنني قد استخدم لفظة (الوهابية)، ليس من باب الذم الذي يفعله خصومها أو أنها مذهب جديد؛ وإنما من باب كونه مصطلحاً أو لقباً أطلقه أغلب المسلمين على (تيار فكري حركي دَعَوي له تاريخه وخصائصه ومصنفاته وشيوخه..).

الأمر الثاني: أن بعض الوهابية قد ارتضوا هذا اللقب وأطلقوه على أنفسهم (راجع الملحق الفقرة الثانية).

الأمر الثالث: أنه لا يشترط أن يقوم الشيخ نفسه بتسمية مذهبه، فأكثر أئمة المذاهب بل كلهم فيما أعلم لم يسموا مذاهبهم، وإنما سمى الناس مذاهبهم بعد موتهم، فلا أحمد بن حنبل سمى المذهب الحنبلي ولا الشافعي سمى الشافعية ولا أبو حنيفة سمى المذهب الحنفي، ولا مالك سمى مذهبه، ولا جعفر الصادق سمى الإثني عشرية أو الإمامية ولا زيد بن علي سمى الزيدية ولا الأوزاعي ولا الطبري ولا داود الظاهري ولا عبد الله بن إباض ولا غيرهم من الأئمة المتبوعين أصحاب المذاهب سموا مذاهبهم، بل ولا سمى ذلك تلاميذهم الخاصين وإنما جاءت التسميات فيما بعد، نتيجة استقراء خصائص كل مذهب، ....الخ[1].

---

(١) للاستزادة حول تسمية (الوهابية) يراجع الملحق – الفقرة الثانية.

المسألة الرابعة: الشيخ لم يكن وحده في العلم والدعوة.

يظن بعض أتباع الشيخ أن الشيخ كان وحيد دهره في العلم، وأن البلاد الإسلامية مما لم يدخل في دعوته كانت بلاد شرك وكفر وأن علماء تلك البلاد جهلة لا يعرفون من الدين شيئاً، ونحو هذا من اعتقادات الأتباع الجائرة، في بلاد المسلمين وعلماء المسلمين أيام الشيخ محمد ، وللأسف أن هذا الأصل في تكفير المسلمين واعتبار ديارهم ديار كفر، وان علماءهم كفار قد وجدته في كلام الشيخ نفسه – كما سيأتي - ونحن مع تقديرنا لأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودوره الإصلاحي والدعوي؛ الذي امتد أثره إلى كثير من المسلمين في العالم؛ فضلاً عن المسلمين داخل الجزيرة العربية – رغم الملحوظات على منهجه كما سيأتي – إلا أنه يجب أن يعرف طالب العلم ، أن الشيخ ومن تابعه لم يصيبوا في هذا، وأنه كان مع الشيخ في القرون الثلاثة الأخيرة دعاة ومصلحون وعلماء نفع الله بهم، فلا يجوز هضم حقوقهم أو تكفير المسلمين في بلادهم، ومن هؤلاء الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي والشيخ محمد حياة السندي والشيخ التهانوي الهندي، و العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وهو أعلم من الشيخ وأكثر اعتدالاً وأعمق أثراً وأقبل عند سائر المسلمين، وإن كان الشيخ أوسع أثراً وأنشط في الدعوة[1]، ومحمد ابن فيروز الأحسائي كبير الحنابلة في الأحساء، وعلماء الحجاز، ثم جاء الإمام الشوكاني اليماني بعد الشيخ بقليل، ثم في القرن الأخير كان هناك علماء ودعاة لهم أثرهم الدعوي الكبير كما نرى في دعوة الشيخ حسن البنا في مصر والعلامة المودودي في باكستان وشبه القارة الهندية، والشيخ جمال الدين القاسمي في الشام والمهدي السوداني في السودان، إضافة للعلماء المهتمين بالمعرفة أكثر من اهتمامهم بالجماهير كالشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وغيرهم كثير، ممن لم يكن يرى التكفير في أمور يعدها الشيخ من الشرك الأكبر.

---

(١) لمعرفة المزيد من معاصري الشيخ (انظر الملحق، الفقرة الثالثة).

ثم لا ننكر أنه كان لهؤلاء وغيرهم وخاصة المتبوعين – مع ما صاحب هذه الدعوات من أخطاء في العلم أو الممارسة - الدور الكبير في تجديد الإسلام ورفع معنوية المسلمين وتصحيح الأخطاء سواءً في الإيمانيات أو الأعمال.

وكانت دعوات هؤلاء المصلحين دعوات إسلامية في الجملة، وكونها إسلامية لا يعني أنها خالية من الأخطاء؛ وهذه المسألة لم يدركها كثير من أتباعهم؛ الذين بهرهم شعاع هذه الدعوات الإصلاحية عن إدراك بعض الأخطاء؛ التي صاحبت دعواتهم ثم كان لهذه الأخطاء أثر سلبي على بعض طلبة العلم؛ الذين غلو فيهم ومنعوا من نقد أخطائهم في الواقع وإن بقوا على الاعتراف النظري بأنهم يصيبون ويخطئون، بينما في الواقع لا تكاد تجد الفرق عند أتباعهم بين أحد منهم وبين النبي ﷺ.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ليس بدعاً من هؤلاء، فمثلما غلا أتباع حسن البنا فيه، وغلا أتباع المهدي في المهدي، وكذا فعل مقلدو الشوكاني والمودودي وغيرهم؛ فقد ظهر في زمن الشيخ محمد وبعده من أتباعه من يغالي في الشيخ غلواً كبيراً، ويتعصب لكل ما كتبه في رسائله وفتاواه؛ بل وحكمه على الأحاديث، وآرائه في الأمم والدول والأفراد وغير ذلك[1].

ثم غلا هؤلاء حتى تركوا جزءاً كبيراً من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي كانت في ذم (الغلو في الصالحين)، فالغلو في الصالحين من المحاور الرئيسة التي كان الشيخ رحمه الله ينقدها، فأصبحت هذه المسألة المحورية من أساسيات العقيدة عند الغلاة من أتباع الشيخ محمد رحمه الله[2].

---

(١) ومن نماذج الغلو في الشيخ قول بعضهم فيه (العالم الرباني والصديق الثاني مجدد الدعوة الإسلامية .. أوحد العلماء) الدرر السنية (١/ ٢٩)، وقال ابن عبيد في تذكرة أولي النهى والعرفان(١/ ١٧٣) : (الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي افتخرت به أمة محمد على سائر الأمم!) اهـ وأطلق عليه المؤلف لقب (شيخ الوجود)!! في شعر له في التذكرة (١/ ٣٣) وهي كلمة عظيمة لو أطلقها أحد في النبي ﷺ لأنكر عليه مقلدو الشيخ وربما كفروه.

(٢) بل معظم (المسائل الجاهلية) التي كتب فيها الشيخ كتاباً يجب أن يراجع الغلاة من أتباعه أنفسهم فيها وسيجدون أن معظمها متحققة فيهم للأسف (راجع نماذج منها في الملحق، الفقرة الرابعة، وكيف أنها متحققة في الغلاة من أتباع الشيخ رحمه الله).

وساعد في غلوهم غلو الطرف الآخر؛ من الصوفية والشيعة والمقلدة من أصحاب المذاهب الأربعة؛ الذين تحاملوا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وزعموا أنه جاء بدين جديد، أو أنه نتيجة مؤامرة بريطانية، وأنه أدعى النبوة، وأنه يبغض النبي ﷺ ويستهين به، وغير ذلك من الأكاذيب أو الإلزامات الباطلة.

فأدى هذا الغلو من الخصوم لمواصلة تدعيم الغلو المضاد من بعض أتباع الشيخ الذين اعتبروا كل من خَطّأ الشيخ خصماً للدعوة الإصلاحية، ومن خصوم العقيدة السلفية، وقد يبالغ بعضهم ويجعل هذا من خصوم الإسلام!.

وهذا ليس غريباً فكل زعيم ديني يظهر في أتباعه وخصومه غلاة؛ ـ ويستمر هذا إن لم يكن في الخصوم والأتباع عقلاء منصفون ـ.

إذن فالأتباع ـ أتباع الشيخ محمد ـ أصبحوا في ردودهم على خصوم الشيخ يعتبرون الرد عليه رداً على الإسلام نفسه، بينما هجوهم على علماء المسلمين وبلاد المسلمين واتهامها بالشرك الأكبر لا يعد عندهم اعتداء، وهذا لب الغلو الذي نذر الشيخ نفسه في ذمه والتحذير منه ومحاربة أهله باللسان والسنان، والخصوم يعتبرون الدفاع عنه والإقرار بمحاسنه ومواطن صوابه إعانة على هدم الإسلام ونشر دين الخوارج.

المسألة الخامسة: كيف احتكر الغلاة الوهابية والدفاع عنها؟

ثم هناك أمر آخر ينبغي التنبه له لأهميته، وهو أن اشتداد الخصومة بين الوهابية ومعارضيها واستمرار التخاصم إلى اليوم، ساعد هذا في بروز التيار المغالي من أتباع الشيخ، فكانوا هم المتحمسين في الرد، وأصبح لهم مع الزمن حق النطق باسم الدعوة، واحتكار الدفاع عن العقيدة السلفية، والغلو في ذم المخالفين، مع الغلو في الدفاع عن أخطاء الشيخ، فأصبح ما دعا إليه الشيخ بالأمس مهجوراً من الخصوم والأتباع على حد سواء إلا من رحم ربك[1]، وهذا ظاهر في زمننا هذا، فلا تكاد تجد

---

(١) وهكذا احتكر غلاة الوهابية الدفاع عن الوهابية مثلما هم اليوم محتكرون الدفاع عن الشيخ كما ترونه في الردود المتسرعة والمتشنجة لبعض الأخوة على هذه المذكرة، ممن يكادون يحكمون بالردة على من خطّأ الشيخ! وهذا يشبه احتكار النواصب (ومنهم غلاة السنة) الرد على الشيعة والنطق باسم السنة، ومن ثمّ أخذوا يلمزون علي بن أبي طالب وأهل بيته باسم السنة! ويثنون =

إلا غلواً في الشيخ أو غلواً ضده، غلواً في ابن تيمية أو غلواً ضده، ... وليس عند المغالين من الطرفين استعداد للحوار الهادئ البعيد عن التعصب، وعلامة المغالي ضد الشيخ أنه لا يقبل إلا وصفه بكل سوء، كما أنه من علامة المغالي فيه – وهو ما يهمنا في هذه الرسالة - أنه لا يقبل نقد الشيخ، ويستعظم تخطئته.

وهذه العيوب تطرد في جميع أصناف الغلاة، سواء الغلاة من السلفية أو الغلاة من الشيعة، أو الغلاة في أحد الأئمة الأربعة ... الخ.

المسألة السادسة: كيف نوقف احتكار التيار المغالي للوهابية؟

بما أنه قد تشوهت صورتنا –نحن طلبة العلم في المملكة العربية السعودية - بسبب استحواذ الغلاة على تقييم دعوة الشيخ مع ما يصاحب هذا من غلو في الشيخ ودعوته كان لزاماً علينا أن نعيد النظر، ونمنع احتكار الغلاة للتحدث باسم طلبة العلم في المملكة فنشاركهم في التقييم والمراجعة.، انطلاقاً من عدة أمور:

الأمر الأول: أن نعلم علم اليقين أن أي منجز بشري ـ فعلاً أو إنتاجاً فكرياً ـ يحتاج من وقت لآخر للمراجعة والنقد، لتدعيم الصواب وتجنب الأخطاء، ولا عيب في هذا لا شرعاً ولا عقلاً، بل هذه علامة الثقة في النفس، وأن الفكرة الحقة هي المقصود بالرعاية وليس الأشخاص.

= على معاوية ويزيد وشيعتهم باسم السنة! – كما نفعل في كثير من رسائلنا الجامعية!، ثم أصبح من ينقدهم معرضاً للاتهام بالتشيع والرفض! مثلما أصبح من ينقد غلاة الوهابية معرضاً للاتهام بمخاصمة الدعوة السلفية، وربما مخاصمة الإسلام والدعوة لعبادة القبور! فهذا كله يحدث لسبب بسيط؛ وهو أن الغلاة هم المتصدرون في الدفاع والبيان، فدافع عن السلفية من ليس سلفياً، ودافع عن السنة خليط من السنة والنواصب والمرجئة والجبرية، والمدافعون يكون لهم الصدارة في التحدث باسم المذهب أو الحركة أو التيار، ويكتسبون الاعتراف مع الزمن، فهم في البداية يرتضون الجوار! ثم تأتي مرحلتهم الثانية بإخراج أهل المنزل الأصلي! وهذه السنة الحياتية موجودة في المذاهب والقبائل والتيارات.

الأمر الثاني: أن بعض الأخطاء التي وقع فيها الشيخ وكثير من أتباعه وخاصة في التكفير؛ قد أوقعت كثيراً من طلبة العلم فيها تقليداً أو مغالاة، داخل المملكة وخارجها، وقد تجلت في أحداث العنف الأخيرة، فالأدلة في التكفير هي الأدلة، والاستدلال هو الاستدلال، والشعارات هي الشعارات.

الأمر الثالث: إحجام كل طلبة العلم في المملكة تقريباً عن بيان تلك الأخطاء؛ رغم الحاجة الماسة للمراجعة، يجعل المراجعة على القادر (فرض عين) وهو ما دفعني لكتابة هذه الدراسة.

الأمر الرابع: من حق كل طالب علم وكل مواطن في المملكة أن يطرح ما يراه مخرجاً من دوامة العنف والتكفير ذاكراً الأسباب الحقيقية، مجتنباً سبل الدعاية التي لن تضر إلا الوطن وأهله على المدى الطويل وإن ظهر لنا فيها مصلحة قريبة، فمن حقنا أن نحمي ديننا ووطننا من التلوث بالتكفير الظالم أو الدماء المعصومة، وبهذا نرفع من سمعة ديننا وأنفسنا ووطننا؛ بأننا لا نتبع من البشر إلا محمداً ﷺ وأننا لا نتمحور إلا حول قال الله وقال رسوله، وأن نصدق هذا بالعمل، وذكر نماذج من أخطاء من نعظمهم ونقدرهم كالشيخ محمد وابن تيمية وأحمد بن حنبل وغيرهم، وأننا -وإن كنا في الجملة ثمرة جهود الشيخ رحمه الله - إلا أننا:

لا نجعله نبياً معصوماً

بل نخضع أقواله لأحكام الشريعة

ولا نجعله فوق الشرع

بل هو وكل العلماء محكومون بالشرع

كل يؤخذ من قوله ويرد

وكل يستدل لقوله لا بقوله

وكل لم ينزل من السماء

وكل مأمور بالرجوع إلى الأدلة الشرعية لا إلى أقوال الرجال..

هذه هي السلفية الحقيقية .

فهذه القواعد العظيمة تطبق على الجميع، ويجب أن يحترمها ويلتزم بها الجميع، ويجب أن يعرف العالم أن هذه هي عقيدتنا[1] وهذا هو مذهبنا لا مذهب لنا غيره، لكن هذه القواعد لا يكفي فيها الكلام، لا بد من ذكر دلائل على هذا الاعتدال، وأننا مستعدون لنقد أخطاء علمائنا مع الاحتفاظ لهم بمحبتهم والدعاء لهم وتقدير جهودهم، فلا تناقض بين الأمرين إلا على المغالين من الطرفين.

فمن رأى أن حبنا لهم يمنع من نقدنا لهم فهو مغالٍ فيهم، ومن رأى أن نقدنا لهم يمنع من حبنا لهم فهو مغالٍ ضدهم، فالحب والنقد، التقدير والمؤاخذة، كل هذا يسير بلا تناقض ولا طغيان طرف على آخر، بل ذكر ابن تيمية أن الشخص قد يحب من وجه ويبغض من وجه، وأنا أقول: قد نحب في الشخص من قوله وفعله أشياء، ونبغض من قوله وفعله أشياء، فهذا عدل وصواب وحقيقة نلمسها في أنفسنا عند محاولة تقييم فرد أو جماعة أو تيار، أما الحب المطلق والبغض المطلق للفرد وأقواله وأعماله، فهذا دخول في عماء مع وفرة نور، وتقحم مهواة مع إمكان لبث.

المسألة السابعة: هل يشترط أن يحدد الغلاة من يقوم بالمراجعة؟

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو أن البعض قد يقول: كلامك هذا صحيح من حيث النظرية؛ ولكن التصحيح لا نسمح به منك ولا من فلان أو فلان! وإنما نسمح به من علماء (مؤتمنين)! على الدعوة!

بل قال بعضهم – بعد خروج المذكرة الأولى من هذا الكتاب -:

من هو هذا (الزيدي)! النكرة! حتى يأتي يعلمنا العقيدة؟!.

---

(١) مع التحفظ على لفظة (العقيدة) لكنني أخاطب بالمفهوم الشائع، أما اللفظ الشرعي فهو (الإيمان) وقد هجرنا هذا اللفظ الشرعي وجعلنا مكانه هذا المصطلح (المستحدث)، لأن المصطلح المستحدث (العقيدة) وهو مصطلح فضفاض غير محدد إلا من أقوال الغلاة، ولذلك يحرص الغلاة على التحاكم إلى المصطلح (المستحدث) لأنه يتيح لهم ظلم الآخرين من استحلال دمائهم والحكم عليهم بالنار، كما فعل غلاتنا مع الأشاعرة والصوفية وأبي حنيفة وأصحابه والمعتزلة والشيعة والإباضية وغيرهم من المسلمين، ولا يمنع غلاتنا من ظلم هؤلاء إلا العجز، وهذا الظلم منبعه (كتب العقائد) لاعتمادها على أقوال الرجال وتأثرها بالخصومات وهجرها النصوص الشرعية، بخلاف (الإيمان) فهو مقيد بالنصوص الشرعية، وقد توسعت في هذا الموضوع في كتاب (قراءة في كتب العقائد – مطبوع).

و للجواب أقول:

أولاً: لا يشترط في من أراد التجديد أن يحصل على شهادة براءة وتزكية وحسن سيرة وسلوك ، ممن يرون حسن السلوك في الغلو، والبراءة في الغلو، والتزكية محصورة على الأتباع المقلدين.

ثانياً: لا يشترط ألا ينقد المذهب إلا أتباعه، وهاهم غلاتنا ينقدون كل مذهب وليسوا من أتباع تلك المذاهب!

ثالثاً: البناء على المقدمات الخاطئة من سمات الغلاة أيضاً، فخصمكم مع تقديره لجميع المذاهب الإسلامية ومنها المذهب الزيدي، وهو من مذاهب أهل البيت، إلا أنه لا ينتسب لهذا المذهب، ولأنه يحب ويفضل أن يبقى سنياً حراً، لا يرتبط بمذهب إلا إن ارتباطه بالمذهب الحنبلي ضرورة نشأ عليها، وإلا فالأفضل للمسلم أن يأخذ من كل مذهب ما دعمه الدليل، وهذه هي السنة الحقة، التي عليها جميع النظريات المقبولة داخل السنة، حتى وإن لاكتها الألسن والأقلام ولفظتها القلوب والأعمال، فهذا طبيعي لتخلف الأعمال عن الأقوال، والتطبيق عن النظرية، فيعيش كثير من الناس بسطوع النظرية وقصور التطبيق، وقديماً واجه الشافعي من شكك في سنيته لحبه أهل البيت ودفاعه عنهم فقال:

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي!

وكون هذا الشخص ـ الذي هو شخصي الضعيف ـ قرأ التاريخ واهتم به وعرف حق الإمام علي وأهل بيته وكم هم مظلومون في ثقافتنا، وعرف ظلم بني أمية وتجبرهم وكم هم محميون في ثقافتنا، لا يسعه إلا نقد هذا أصاب أو أخطأ، ونقد هذا التحيز أو هذا الظلم ليس خاصاً بالزيدية ـ بغض النظر عن صواب الفكرة من خطئها ـ بل يجب أن ننكر الظلم سواء وقع على أهل البيت أو المعتزلة أو الجهمية أو الأشاعرة أو الصوفية، أو حتى على الكفار المسالمين، وكلهم قد ظلمناهم، ثم ذلك (النكرة

الجهول)! لا يقول بما هو من خصائص الزيدية أو بما ينسب إليها كالقول بعصمة الأربعة (علي وفاطمة الزهراء والحسنان)، أو تقديم العقل على النقل[1]، ولا التبرك بالصالحين[2]، ولا غير ذلك مما يذكر أنه من الأصول الزيدية[3]، وكونه يذم بغي معاوية فهذا لم يفعله اتباعاً للزيدية أو الإباضية أو الإمامية وإنما يرى أن هذا اتباع منه للنصوص الشرعية التي يعتقد صحتها من كتب السنة التي درسها ويعرفها ويفتخر بها دون اعتقاد عصمة لها – أعني كتب السنة - من هفوات وأخطاء، ثم تلك النصوص التي تذم البغي وتقرنه مع الفحشاء والمنكر موجودة في كتاب الله مصدر المسلمين جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾، فإذا لم يرتب

---

(١) وهذا يقول به المعتزلة والزيدية، وكل يرى أن الآخر أخذ منه، وكذا يقول به بعض الأشاعرة، لكن يبقى أن نقول للإنصاف أن مراد هذه الفرق بتقديم العقل على النقل غير ما يشيع عنهم السلفية، وشرح هذا يطول، فمن أراد معرفة ذلك فليرجع لكتب القوم، أو من كتب عنهم من منصفي السنة كالدكتور أحمد صبحي (كتب عن المعتزلة والزيدية) أو عبد الرحمن بدوي في (مذاهب الإسلاميين)، أو الدكتور علي سامي النشار في (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) أو الدكتور محمد عمارة وغيرهم، فليست هذه المسألة كما يهولها السلفيون.

(٢) أكثر أهل السنة (من غير السلفية المعاصرة) كانوا يرون التبرك، بل هذا الإمام الذهبي، يرى في ترجمة معروف الكرخي أن تربة قبر الكرخي ترياق مجرب، وكذا كان الحنابلة المتقدمون صوفية، يرون التمسح بالقبر النبوي ورمانة منبر مسجد النبي ﷺ،بل ثبت هذا عن أحمد بن حنبل نفسه، ولم يكن الحنابلة المتقدمون خصوماً للصوفية وإنما كانوا خصوماً بالدرجة الأولى للجهمية (يقصدون المعتزلة) والشيعة، كل هذه المبالغة لأن الخليفة العباسي المأمون كان شيعياً معتزلياً ولأنه بسببه امتحن أحمد بن حنبل، فالقضية في نهاية الأمر شخصية، ثم أضاف ابن تيمية الخصومة مع الصوفية فضمهم للشيعة والجهمية (وأضاف هنا مع المعتزلة الأشاعرة)!، ثم أتت الوهابية فأضافت في الخصومة أتباع المذاهب الأربعة الذين لا يوافقون الشيخ محمد، وأضافوا أمرين عظيمين، التوسع في التكفير والتتبع بالقتال، وانفردوا بتقسيم بلاد المسلمين إلى ديار كفر وديار إسلام، حتى أصبحت الرياض دار كفر والدرعية دار إسلام، والناس فيهما يسمعان أذان الصلاة في المدينتين في وقت واحدا!.

(٣) وقد شاركهم غيرهم في بعض هذا كالتبرك بالصالحين فهذا يكاد يكون عليه جمهور أهل العلم كما نقل الحافظ ابن حجر.

هذا (الجهول) الأجر على البغي ولا على الفحشاء ولا المنكر كما تفعلون أنتم فليس معنى هذا أنه يتبع مذهب الزيدية أو الإمامية أو الظاهرية أو الجهمية[١].

ثالثاً: الشيخ محمد نفسه وقبله ابن تيمية وكثير ممن يفتخر بهم هؤلاء، لم ينتظروا التبرئة والتزكية من علماء زمانهم حتى يقوموا بالتجديد أو المراجعة بغض النظر عن تقييم هذا التجديد وهذه المراجعة، وإنما كان الشيخ مثلاً يعرض عليهم الدليل ويطالبهم بالدليل، مع أنهم كانوا يرونه أقل علماً فضلاً، وكذلك فعل العلماء والدعاة عبر العصور.

فالواجب على المصلح أن يعرض الحق مع أدلته، ويرد الباطل دون انتظار أن يرضى الطرف الآخر أو يسخط، فالدين ليس حكراً على فئة من الناس، وإنما هو للجميع ثم يحاسب الشخص على أدلته وبراهينه، ويرد عليه بالدليل والبرهان إذا كان طالب حق.

رابعاً: هذه المقولة من قصر التصحيح على بعض الناس باطلة؛ وقد رددها كفار قريش بقولهم (وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)، فقد كان الذي منع كثيراً من الكفار عن الهداية أنهم لم يرتضوا البيت الهاشمي للنبوة! وكانوا يريدون أن تظهر في بيوتات أخرى (مؤتمنة على مصالح قريش!) لكن الله عز وجل لم يستجب لهم فالله (أعلم حيث يجعل رسالته) وهذا من الابتلاء ليتبين من يتبع الحق ومن يتبع القبيلة.

وكل المصلحين على مر التاريخ يواجهون هذه الشبهة؛ مع أن الحق وقوله فرض على كل مسلم، وليس مختصاً بفئة من الناس، ولا منطقة من المناطق، ولا أظن عاقلاً

---

(١) أرجو ألا يفهم أحد أنني أعني بهذا الكلام ذماً لمذهب من المذاهب الإسلامية لا الجهمية ولا الزيدية ولا المعتزلة، حاشا وكلا، فلا نذم مذهباً مطلقاً ولا نمدحه مطلقاً، كل مذهب فيه غلاة ومعتدلون، متعصبون ومنصفون، فلا نذم عباد الله الصالحين، ثم هذا البغض من بعض السلفية للمذاهب الأخرى لا شرعية له في المعيار الشرعي، وكم من معتزلي عالم أو جهمي عادل يكون عند الله أفضل من سني ظالم، وإنما في المعيار المذهبي هو الذي يجعل أتباعه يتقوقعون على أنفسهم ويبغضون بقية المسلمين، (ولمزيد من المعلومات عن الزيدية خاصة انظر الملحق، الفقرة الخامسة).

متديناً من طلبة العلم يرى هذا الرأي (الجاهلي)؛ الذي بعث بنقضه محمد بن عبد الله ﷺ، قبل أن يقوم بنقده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه المشهور (مسائل أهل الجاهلية).

خامساً: النيات علمها عند الله عز وجل وكم من شخص يؤتمن فيخون، وكم من آخر يظن به الظنون وهو خير للإسلام من ألف من أمثال الرجل المؤتمن، وعلى هذا فلنترك البحث في النيات لله، وننظر في الأدلة وأيها أقرب لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

سادساً: ثم أين هؤلاء المؤتمنون؟ ونحن نراهم ما زالوا ساكتين! وإلى الآن لم يبينوا الأسباب الحقيقية للغلو المحلي، ولم يقوموا بمراجعة للإنتاج السلفي والوهابي، مع إطباق المسلمين والكفار على أن لهذا الإنتاج دوراً كبيراً في الغلو، لم نر هؤلاء المؤتمنين يبينون الأخطاء التي وقع فيها ابن تيمية أو الشيخ محمد أو بعض علماء الدعوة؛ حتى اغتر بتلك الأخطاء بعض الشباب والحركات التي تتسرع في التكفير وترمي به الأبرياء، ولا أريد ضرب الأمثلة، فهي واضحة للجميع، ولا أظن بعض (المؤتمنين) سيتركوننا لبيان الحق، فضلاً عن المشاركة في ذلك، لأن مصلحتهم – لا مصلحة الإسلام - تقتضي المعارضة لكل ناصح، والتشكيك في نيته ومنهجه، وما زالوا بحاجة لجهاد نفس ووقت طويل حتى يصلوا هذه المرحلة التي نراها ضرورية في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى.

على أية حال: لابد أن يكون عندنا الشجاعة للمبادأة بنقد أخطائنا، وتصحيح بيتنا الداخلي، وعدم الخجل من ذلك، لأن الأمر دين وليس مناورة سياسية ولا طلب دنيا.

المسألة الثامنة: غلاة ينهون عن الغلو!

من عجائب هذا الزمان، أن نجد (غلاة ينهون عن الغلو)! فيدافعون عن التكفير السلفي والوهابي ويبرئون الرموز من كل مبالغة في هذا الأمر الخطير، ويلقون بأسباب الغلو على المتشابه الذي كتبه المودودي وسيد قطب رحمهما الله، وينسون التكفير

الصريح النابع من ثقافتنا السلفية والوهابية، ألا يخجل أولئك الذين يحاولون أن يركبوا الجملين جميعاً! فيردون على أهل التكفير ويبقون على التكفير! يهاجمون من وقعوا في متشابه التكفير ويغلون في الدفاع عن أخطاء ابن تيمية وأئمة الدعوة في التكفير!.

نعم هذه ليست آخر تناقضات الغلاة، نعم أصبحنا نرى (غلاة ينهون عن الغلو)! يردون على تيار الشباب التكفيري الذين بهم ضلوا، ومن نهرهم استقوا، وفي بحرهم أرسوا سفن الغلو والتطرف.

هؤلاء الغلاة (الذين ينهون عن الغلو)! أصبحوا يردون على تيار العنف التكفيري بأدلة العلماء الذين كانوا يردون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب! فكأنهم بهذا يردون على الشيخ محمد مع غلوهم فيه ومنعهم من مراجعة إنتاجه وتقييم منهجه بهذه الطريقة التي تجمع بين أبلغ المتناقضات.

ونحن نقول لهم: إن كان هذا التناقض بجهل فما منا من لم يجهل ولا مانع من التصحيح والرجوع عن الأخطاء، وإن كان تناقضهم بعلم وسياسة – زعموا - فالله حرم التلون والظهور بوجهين؛ وقد ذم النبي ﷺ ذا الوجهين، فيقال لهم: إن كنتم رادين على هؤلاء الشباب التكفيري؛ فعليكم أن يكون جوابكم مقنعاً بنقد الأصول التي رجعوا إليها، والعلماء الذين قعدوا لهذا التكفير والعنف، ضد علماء وحكام زمنهم.

وإن كنتم تدافعون عن ابن تيمية و الشيخ محمد وعلماء الدعوة وترونهم مصيبين فيجب أن تدافعوا عن هؤلاء الشباب التكفيري، لأنهم مقلدون للعلماء الذين منعتم من نقدهم، وآخذون من الكتب التي علمتموهم إياها وأوصيتموهم بها، وستأتي النماذج.

وأنا بحمد الله –وإن أساء بي البعض الظنون[1] - لا أقدر على المجاملة على حساب الحقيقة؛ لذلك أجد نفسي متخاصماً فكرياً مع غلاة المذاهب والطوائف والتيارات المختلفة، وأزعم أن لي وجهاً واحداً وأرد على شبهات التكفير سواءً قالها خصم أو صديق، قوي أو ضعيف، طالب علم أو عالم أو عامي.

---

(١) وهذا أمر طبيعي لا ننزعج منه،بل كنا نتوقعه،لعلمنا بأن كل من أراد الإصلاح – إن كنا منهم- فلا بد أن يجد المصاعب، فمن سنة الله في خلقه أنه ما من نبي ولا مصلح ولا آمر بالمعروف إلا ويسيء به البعض الظنون فكيف بأمثالنا؟.

وردي على هذه الشبهات أراه واجباً دينياً مع الاحتفاظ بحق الإسلام للجميع وحق خاص للشيخ محمد بن عبد الوهاب باعتباره كان سبباً في إيجاد هذا الكيان الكبير، الذي التقى فيه أبناء هذا الوطن من أقصى الشمال لأقصى الجنوب ومن أقصى الشرق لأقصى الغرب، فكان الشيخ سبباً – بعد توفيق الله - في القضاء على التشرذم والتنازع مع بث العلم والدعوة لتصحيح الإيمان مما لحقه وألصق به من الشوائب والخرافات الشعبية، كل هذا شيء نعترف به و نقدره؛ ونحب الشيخ لأجله في الله و ندعو له، لكن أن تكون هذه المحاسن مانعة من الملحوظات العلمية عليه مما لحق منهجه من شوائب فلا؛ ولا خير فينا إن كان حرصنا على تبرئة الشيخ وعلماء الدعوة أكبر من حرصنا على تبرئة الإسلام نفسه، فبئس أتباع الإسلام كنا إن كانت التضحية بالإسلام تهون علينا من أجل تبرئة الأشخاص، ومهما كان علينا من حقوق للشيخ رحمه الله، فحقوق الإسلام أولى بالرعاية وهو أولى بالدفاع وتبرئته من تنظيرات المتبوعين وممارسات الأتباع.

المسألة التاسعة: مصادرنا في معرفة فكر الشيخ ومنهجه

والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم ندرك زمنه، حتى نأخذ شهادات الناس له أو عليه، ولكنه أورث كتباً وتياراً عريضاً[1] يهتف باسمه ويدعو لمنهجه، أما التيار فعشنا

---

(١) هذا التيار فيه الغلو والاعتدال، لكن تيار الاعتدال فيه مضطهد لا رأي ولا صوت، ولا حياة ولا موت، لكن تيار الغلو هو الظاهر الغالب، وهو الذي بيده معظم الشئون الإسلامية كالإفتاء والتدريس بالجامعات الشرعية وله خطبة المنبر، والدروس والمحاضرات والأشرطة السمعية، إن غضب عليك الغلاة حسبت الناس كلهم غضاباً، وللأسف أن هذا التيار من الوهابية هو التيار المدعوم رسمياً ربما لعدم تنبه الحكومة لحجم الغلو داخل التيار الوهابي، وربما لأنه كان مفيداً في الماضي، وربما لأنه ينطق عما يجب أن يسكت عنه، ويسكت عما يجب أن ينطق به، مع هنٍ وهنٍ! لقد آن للحكومة والمثقفين جميعاً أن يتجنبوا تيار الغلو، لأن الغلو ظلم، والظلم إن أفرحك ساعة أحزنك دهراً، ، وبديله المناسب أن نقصد المعلومة والحقيقة، فكفى بالمعرفة سلطة وإحساناً، وبالإنصاف راحة وأماناً، وبعد ذلك للناس حقوق.

بينهم، والشهادة لله أنهم من حيث الجملة، يظلمون من خالفهم الرأي، ويعملون على إقصائه والتشكيك فيه والاستعداء عليه، ومن الصعب توثيق المظالم والتعصبات، فدون المظلمة حجر محجور وعبد مأمور!، مع ما في مؤاخذة الرئيس على تصرفات الأتباع من ظلم وتعسف، فلم يبق لتقييم منهج الشيخ إلا إنتاجه العلمي، مما طبعه الأتباع ونسبوه إليه ووثقوه عنه، ككتاب التوحيد أو كتاب كشف الشبهات أو مسائل أهل الجاهلية أو غير ذلك من كتب الشيخ ورسائله، وهذه رغم ما وجدنا فيها من حق وخير ودلائل على حسن نية ودعوة صادقة إلا أنه ألفها بشر يجتهد ويخطئ، يرضى ويغضب، يحارب ويسالم، يصرح ويجامل، ، فلذلك من الطبيعي جداً أن نجد التناقض في أقواله، لكننا نحاول أن نعرف المنهج العام، ونترك القليل للكثير، والمتشابه للصريح، وما فيه مظنة السياسة إلى ما فيه الاعتقاد، وعلى هذا لا مانع شرعاً ولا عقلاً من تقييم الشيخ ومعرفة منهجه في التكفير أو في غيره، كما هو ، دون تجميل أو تحميل، وإنما نريد الإجابة على سؤال سهل وهو:

ما هو منهج الشيخ في التكفير؟ هل كان يكفر المسلمين كما يؤكد مخالفوه؟ أم كان يحارب التكفير كما يشيع أنصاره؟... ما هي الحقيقة البسيطة السهلة دون انتصار مسبق لتبرئة متكلفة أو اتهام ظالم.

وفي الأخير فوقوع الأخطاء من الشيخ أو من غيره، سواءً كانت كبيرة أو صغيرة، كثيرة أو قليلة؛ فقهية أو عقدية (إيمانية) أمر متوقع من كل أحد، وأمر يمكن العثور عليه في كل مكثر من التأليف لا سيما وأن التخاصم جالب للتظالم.

ومن منع هذا فقد غلا غلواً لا نظن أن الشيخ نفسه يرتضيه، ولا المخلصون من أهل العلم، بل لعل جُل دعوة الشيخ ترتكز على نقض (الغلو في الصالحين)[1]، وحسن الظن به أنه لا ينهى عن (الغلو في الصالحين) ويخرج نفسه منهم، وعلى هذا فعدم

---

(١) وكان الشيخ يرى أن تقليد العلماء وإنكار تخطئتهم من باب اتخاذهم أرباباً من دون الله (الدرر السنية ٢/٩) وهو لا يستثني الغلو فيه من هذا الحكم العام ولا يحق له أن يستثني.

الإقرار بالمقدمة السابقة اليسيرة – لو حصل وقد حصل من بعضهم - يعد انتكاسة (سلفية) خطيرة، تذهب بجهود الشيخ أدراج الرياح، بين محبيه وأتباعه قبل خصومه وأعدائه، ثم ليس من العدل ولا من الإنصاف أن ننكر غلو الأحناف في أبي حنيفة وننكر غلو الظاهرية في ابن حزم فضلاً عن غلو الصوفية في النبي ﷺ وغلو الشيعة في الإمام علي.....بينما نحن – السلفيين الوهابيين السعوديين - نغلو في الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، لأننا إن فعلنا هذا ساهمنا في ضعف مصداقيتنا عند الناس، ومصداقيتنا في ذم (الغلو في الصالحين) بشكل خاص.

المسألة العاشرة: منهج البحث وسببه

لن أطيل في ذكر السبب والمنهج وأختصر هنا قائلاً : نعم كان سبب هذا البحث أنه كان لي قراءة نقدية لكشف الشبهات، أضفت عليها قراءة نقدية أخرى لخمس مجلدات من الدرر السنية تخص العقائد[2]، مع أقوال من رسائل أخرى، وقد

---

(١) من دلائل هذا الغلو عند البعض منا – وعندما أقول: نحن ،فأنا أقصد كل من تربى على علوم الشيخ في المدارس والخطب والدروس- أن ذلك البعض يتعجب ممن يرد خطأ وقع فيه الشيخ ويبادر إلى القول : (فلان تهجم على الشيخ ... فلان قدح في الشيخ! .....) قبل أن يناقش الأدلة وكأن الشيخ رحمه الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه المبادأة بالإنكار قبل استيفاء الأعذار بالنظر في الأدلة تسرع معيب، لا يجوز، خاصة ممن يؤيد الشيخ بقوة في إنكاره الغلو في الصالحين وتسميته ذلك شركاً أكبر! .

(٢) قلت هنا (العقائد) حسب التسمية الشائعة، وإلا فالأصح أن يقال (الإيمانيات) فهذه لفظة شرعية بخلاف (العقائد) أو (العقيدة) فهي لفظة عرفية وضعية، ولا مشاحة في الاصطلاح، وقد توسعت في إبطال شرعية لفظة (العقيدة) في مقدمة كتابي (قراءة في كتب العقائد) فليرجع إليه من شاء، ولولا أن الغلاة اتخذوا هذه اللفظة (أعني العقيدة) محنة يفرقون بها بين المسلمين، مع بنيانها على خصومات بعض السلف وإهمال كثير من صريح القرآن الكريم فضلاً عن السنة، لما بحثت هذه اللفظة ومدى شرعيتها.. إن معيار غلاة العقائد -من أي مذهب كانوا- أصبح معياراً مذهبياً لا معياراً شرعياً، فما يضخمه المذهب وخصومات الأسلاف فهو الدين عند الغلاة وإن =

استخرجت ما في كتاب كشف الشبهات، من محاسن ونبهت على ما فيهما من ملحوظات حسب اجتهادي، وكنت قبل سنوات قد جمعت الملحوظات على كشف الشبهات في مسودة، وأعطيتها ثلاثة من الأخوة للاستشارة وإبداء الرأي، فقام أحدهم ونشرها ربما بحسن نية؛ وقد أنكر نشرها ولعله -إن صح أنه ناشرها - أراد أن يضرني، ونسي وهو (مدرس عقيدة) أن النفع والضر بيد الله (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)، ورب ضارة نافعة، فلعل نشر المسودة - قبل سنوات بغير إذن مني - هو ما شجعني الآن لنشر العمل كاملاً نشراً عاماً بعد أن رأيت قوة الإقبال على تلك الورقة المنشورة مع ما فيها من أخطاء، فلعلي أشارك بنصيحة هادئة علمية عامة، بعد أن كنت أنوي تقديم هذا البحث بصفة خاصة لبعض من يعز عليّ من أسرة الشيخ رحمه الله، والنصيحة العامة أفضل من الخاصة، لا سيما وأن الشيخ علم معروف مطروح منهجه ومعروضة كتبه، وليس سراً من الأسرار.

وقد غيرت العنوان المنشور قبلاً من (قراءة في كشف الشبهات) إلى (داعية وليس نبياً) وأصبحت القراءة في كشف الشبهات هي الفصل الأول من هذا الكتاب، وكانت قد نُشرت أول ما نشرت في الإنترنت - بغير إذني - بعنوان: (نقض كشف الشبهات)! وهو عنوان لا أرتضيه، وقد نشرتها بعد ذلك بالعنوان الأول، كما أنها لم تطبع أيضاً قبل الآن كما ظن بعضهم[1].

=سكت عنه القرآن الكريم وصحيح السنة، وما يهمله أسلافهم ويزهدون فيه فهو مهجور عندهم وإن كان في صريح النصوص، وبهذا أصبح المعيار هو المذهب والأسلاف المتخاصمون وليس النصوص الشرعية، فتم تضخيم وتفريع ما يؤدي إلى بغض المسلم وتكفيره وهجره مع نهي الشرع عن ذلك، وإهمال ما يؤدي إلى الاعتصام بحبل الله ومحبة المسلم وأخوته والرحمة والإحسان وحرمة الدماء مع أمر الشرع به، وهذا سببه اتخاذ معايير مذهبية بدلاً من المعايير القرآنية، فأصبح المذهب براءة والدين تهمة.

(١) الغريب أنني أفاجأ من وقت لآخر بتهويل هذه القراءة، أو غيرها من الأبحاث والكتب، ومن الطرائف حول هذه القراءة في كشف الشبهات، أن مسئولاً كبيراً في التعليم طلب مني ذات مرة نسخة مطبوعة، فلما أخبرته أن الكتاب لم يطبع، أخذ يؤكد لي أنه وصله بسند صحيح جداً!: إن وزارة أوقاف دبي بالإمارات العربية المتحدة قد طبعت من كتابي (١٠٠ ألف نسخة)!وهذا من تهويل الغلاة على المسئولين، يأتون فيضخمون لهم الأمور ويشعرونهم بأن هذا الشخص =

وستكون القراءة النقدية لكشف الشبهات تحت هذا العنوان الأخير (داعية وليس نبياً)[1].

وعلى هذا سيتضمن الكتاب خمسة فصول:

الفصل الأول : قراءة في كشف الشبهات (وهذا -مع كتاب التوحيد له - من أشهر كتب الشيخ وقد تم نقدهما في هذا البحث).

الفصل الثاني : الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه ورسائله الأخرى (وهي عبارة عن نماذج من أقواله وآرائه التي فيها التكفير[2]).

الفصل الثالث: هل تناقض الشيخ؟ (وهل رجع عن التكفير؟)

الفصل الرابع: المسيرة بعد الشيخ (وهل الأتباع متفقون مع رأي الشيخ أم لا؟ هل راجعوا إنتاجه أم واصلوا المسيرة بخطئها وصوابها؟)

=خلفه من يدعمه ويطبع له مئات الآلاف من النسخ وأنه خطير! ولعله متآمر!....الخ!! والأغرب من هذا الغريب أنني قد أرتاح لهذه الأخبار الضخمة التي أعلمها عني! لأنني أشعر بأنني عملت شيئاً كبيراً من لا شيء! تصور لو أن أحداً يتحدث عنك مؤكداً بأنه يعلم علم اليقين بأنك فتحت بلاد ما وراء النهر! وأن أهل سمرقند استقبلوك بالطبول! ألا تكون هذه طرفة حسنة؟!

(١) حقيقة لم أكن متحمساً لنشر هذه القراءة بعد أحداث سبتمبر مع أن القراءة كانت قبل تلك الأحداث بمدة، لكنني رأيت الغلاة من أتباع الشيخ رحمه الله يتمادون في التبرئة، ويعقدون المؤتمرات والندوات لتبرئة الشيخ رحمه الله من أخطاء حقيقية كان من الإنصاف أن يعترفوا بخطئه فيها، بل زاد بعضهم وزعم بأن الوهابية عملوا على تحجيم التكفير بعد أن كان مطلقاً منتشراً!! فرأيت هنا أن السكوت عن الحق شيطنة، وأنه لا بد من نشر الكتاب، لندلي بدلونا في الدلاء، ثم كل وقناعته وإنصافه، وهناك سبب آخر، وهو أنني رأيت معظم من يتحدث ناقداً التيار الوهابي لا يقفون على الأمثلة الصريحة من التكفير، وربما بالغ بعضهم فظلم ونسي فضائل الشيخ، وكثير منهم ينقلون من معارضين أو ينقدون أشياء مشتبهة، فرأيت أن أتجنب سبيل التبرئة أو التحامل، حسب اجتهادي، وذلك بذكر التوثيق من كلام الشيخ نفسه وإذا تحدثت عن المسيرة بعده أن أنقل من كلام مقلديه مع توثيق ذلك من كتبهم ، إضافة لفك العبارات التي في ظاهرها التورع عن التكفير، لكن باطنها – للأسف- هو التكفير المحض، كترديدهم للعبارات العامة مثل: (لا نكفر إلا من كفره الله ورسوله) فهذا كلام جميل في ظاهره، وقد ينخدع به من لا يعرف حقيقة الكلام، فيستغرب لماذا انتشر عنهم التكفير! لكن عندما تقرأ تفسيراتهم يزول العجب، لأنك تجدهم يظنون أن الله ورسوله يكفرون المؤمنين الركع السجود!

(٢) أخذت تلك الأقوال من كتاب (الدرر السنية) الذي جمعه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، ثم نماذج من كتاب التوحيد (تجدونه بعد الملحق في بحث منفصل) وقد تركت أمثلة كثيرة جداً واكتفيت بنقل شبه عشوائي لبعض الأقوال التكفيرية التي صدرت من الشيخ نفسه، مع إقرارنا بأن فضائله ودعوته وجهوده لا يجوز إنكارها، هذا هو التوسط المحمود.

الفصل الخامس: مع خصوم الشيخ ومعارضيه والمختلفين معه (وأصنافهم بين متحامل ومعتدل... والوقوف على جوهر الخلاف بيتهم وبين الشيخ وأتباعه، وكيف ساد سوء الفهم بين الفريقين؟).

ثم ليس في نهاية الأمر أية خطورة إذ أن خلاصة هذا البحث هو القول بأن (الشيخ رحمه الله أخطأ في التكفير)، والاعتراف بهذه المسألة - عند أهل الإنصاف - أمر سهل ميسور إن كانت براهينه صحيحة، فلن ينهدم الدين بهذا، ولن تطلع الشمس من مغربها.

وختاماً:

آمل من الإخوة المهتمين بهذه القضايا أن يقرؤوا هذا العمل بإنصاف وطلب للحق ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، فالحق أحق أن يتبع وكل يؤخذ من قوله ويرد، ولا أمانع من إبداء الملحوظات، بل إنني أطلبها من أهلها، وأشكر من أسدى إلي ملحوظة؛ لكنني أشترط في قبولها أن تكون صحيحة، أما ما يفعله البعض من محاولة المغالطة والتهويل وبتر النصوص ونحوه؛ فهذا الأسلوب أظن أنه أصبح ممقوتاً مهجوراً عند المنصفين من طلبة العلم، فلذلك لن أشغل نفسي كثيراً بتتبع هذا الصنف من الناس[1]، فلو فعلنا ذلك لما عملنا شيئاً، ورحم الله المتنبي[2].

---

(١) وقد ثار بعضهم واستعجل في الرد بتشنج على المسودة الأولى مع كل التهويل والبتر ومحاولة التكفير والتبديع، كعادة غلاتنا عندما يختلفون مع أحد! ومن هؤلاء الذين تناولوا المسودة بالنقد أو حفزتهم على الرد، الشيخ الفاضل حمود العقلاء (رحمه الله وسامحه وغفر له) والشيخ علي الخضير والشيخ عبد الله السعد وغيرهم مثل: عبد الكريم الحميد، وناصر الفهد ، وربيع مدخلي، وصالح الفوزان، وعبد المحسن العباد، وقد اكتفيت بالرد على الثلاثة الأولين في بيانات منشورة، وقد أجمع بينهم في كتاب قادم، ليسري الحوار في المجتمع ثم لكل قناعته، وعلى كل حال: فردودهم يرد بعضها على بعض فما يفتله أحدهم ينكثه الآخر، مع مكابرة وتهويل، وبكاء وعويل، وتكذيب وتأنيب، واتهامات بالجملة، وهي شنشنة قديمة، نعرفها من الغلاة عندما يرون الدلائل قوية والبراهين ساطعة والخطر محدقاً، والمذهب يذهب، يلجئون للإكثار من الردود ، للمحافظة على الناشئة! زعموا، يتسابقون سُرّعاً؛ لهوى متوارث أو طمعاً؛ فهذا ينشئ موقعاً، وذاك يجد موضعاً! ينشرون الكتب ويعبئون الكتائب،خندقهم شبر، ويبرقهم ظِفر! كل ينادي: أنا النذير العريان! لا يملون من تحزب، في زمن ليس زمنهم، ومكان طوى كشحه عنهم،، وعالم متجدد سدل دونهم ثوب العقل والمعرفة .

(٢) هو القائل: .... لأصبح الصخر مثقالاً بدينارا!

ولو يعلمون أنهم يسدون إلي معروفاً بنقدهم لما فعلوا! فإنني وجدت أن الفكرة قد أوصلوها لجميع الناس، فاليوم يقرأ الناس ويدهشون، وغداً يفكرون ويبحثون، وبعده يكتشفون! فالحقيقة عنيدة! حتى وإن تأخر الاقتناع بها، وكثر التشويه لها.

والحمد لله، والصلاة على رسول الله، محمد وآله[1].

حسن بن فرحان المالكي

ما كتبت أول هذه الأوراق: في :١/٨/ ١٤٢١هـ

وآخر لها مراجعة كان في: ٢٨ /١٤٢٥/٤هـ

---

(١)قد يلاحظ بعض الأخوة أنني غالباً أقتصر في الصلاة على النبي والآل دون الصحابة ليس إنكاراً لفضلهم ولا ملتزماً بهذه الصيغة، وإنما محاولاً التذكير بالنص الذي نردده في كل تشهد (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)، فليس في النصوص الصلاة على الصحابة كما نفعل اليوم اتباعاً لبعض محدثات السلفية الأولى، ثم لم نكتفِ بالصلاة على الصحب الكبار،بل خلطنا بكلمة (أجمعين)! الأخيار والفجار،حتى يدخل الوليد ومعاوية وقاتل عماراً .

المبحث الأول

قراءة في كشف الشبهات

للشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

لماذا كشف الشبهات؟!

ركزت على كتاب كشف الشبهات -نموذجاً - مما كتبه الشيخ ؛ لأن هذا الكتاب على صغره يتميز بالوضوح، وتلقين الحجج والبراهين، ولوضوح الأفكار فيه، ولانتشاره الواسع بين كثير من طلبة العلم وأثره الواضح فيهم، وهو في الشهرة ككتابه الآخر (كتاب التوحيد).

وأنا لن أعرج كثيراً على محاسن الكتاب، لأربعة أسباب:

السبب الأول: أن المحاسن قليلة نسبة لمنهج الكتاب كله إذ يصب في الغلو في التكفير ولكن بعبارات أكثرها غير صريح

السبب الثاني: أنه سبق أن ذكرت فضل الشيخ وجهوده ودعوته، فما قدر من محاسن في الكتاب يدخل ضمناً في هذا الثناء العام هذا أمر.

السبب الثالث: أن هذه القراءة هدفها بيان الملحوظات والأخطاء، فهي تراعي أبرز الملحوظات المحورية التي تفسر انتشار التكفير في بعض كتب الشيخ وبعض كتب من بعده من علماء الدعوة.

فكانت وظيفة هذا العمل أن أكشف (سر) وجود هذا التكفير، الذي قد لا يظهر بادي الرأي، وهذا السر كان عبارة عن (شبه من أدلة)، وليست – فيما أظن - هوىً من الشيخ أو حباً لتكفير المسلمين ــ وإن كنت لا أغفل تأثير الظروف السياسية والخصومة المذهبية ــ وإنما كانت نتيجة استدلال بضعيف أو القطع في أمور ظنية أو استدلال غير صحيح من دليل ثابت أو نحو هذا ، وسيأتي مبيناً بشكل موسع.

السبب الرابع: أن الخلاف ليس في الثناء على الشيخ ودعوته وحسن نيته ولا فيما أصاب فيه أو دعا إليه من نبذ الشرك والخرافات والبدع، فهذا محل اتفاق بين الجميع ـ على الأقل بيني وبين المختلفين معي حول تقييم دعوة الشيخ ومنهجه ـ فلذلك ليعذرني الأخوة إن كان معظم هذا الكتاب يدور حول الملحوظات لا الاتفاقات، لأن الخلاف مازال طرياً من أيام محمد إلى اليوم، بين متعصب للشيخ أو عليه، هذا في الغالب، مع إهمال التركيز على جوهر الخلاف الذي هو:

هل بالغ الشيخ في التحذير من الشرك حتى أدخل في الشرك ما ليس شركاً؟ وعلى هذا تجوّز في إطلاق الشرك على المسلمين؟.

هل ثبت عليه أنه يغلو في التكفير أم لا؟ وما درجة هذا الغلو؟

هل وصم المخالفين له من خاصة أهل السنة وعامتهم، بل الحنابلة وعامتهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ بالكفر الأكبر المخرج من الملة أم لا؟

ثم إن ثبت فهل يجوز لنا اليوم أن نقره على ذلك أم لا؟....الخ.

فمن هنا أخذت في سرد الملحوظات مباشرة، حتى ما دق منها، لارتباط الدقيق بالجليل، والتعمية بالتصريح، وارتباط ما عممه في كشف الشبهات بما صرح به في كتبه ورسائله الأخرى.

أولاً: الملحوظات على كتاب كشف الشبهات[1]

وهذه الملحوظات سأذكرها بالترتيب، وسأذكر كلام الشيخ بين قوسين ثم أجيب على ما أراه من خطأ وتجاوز، وخاصة مما له صلة بالتكفير، علماً بأن الكتاب طبع عدة مرات بتحقيق بعض من ينتسب إلى العلم ولم ينبهوا على خطأ واحد من هذه الأخطاء الآتية، وهذا منهم إما تواطؤ على الخطأ وإما عدم إدراك للخطأ نفسه، وكلا الأمرين أحلاهما مر، وهذا التواطؤ الظاهر في كل سلفي يكتب عن الشيخ محمد رحمه الله هو من أكبر الأمور التي شجعتني على كتابة هذا الكتاب، ولو قام أحد المحققين بالتنبيه على

---

(١) اعتمدت على نسخة صغيرة - طبع دار زمزم - بالرياض-أعده للطبع حمدي أبو السعود آل حمدان- الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. هناك طبعات أخرى لكن الرسالة على شهرتها وتداولها صغيرة الحجم فمن وجد أي طبعة فيمكنه قراءتها في دقائق معدودة.

بعض الملحوظات الرئيسة لما كتبت هذا الكتاب ولا هذه التعقيبات على كشف الشبهات ولا غيرها.

والملحوظات مرتبة على كشف الشبهات – وقد يتقدم الأقل أهمية - أبرزها ما يلي:

الملحوظة الأولى:

يقول الشيخ في الاستهلال ص٥: (اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً...).

أقول: هذا الكلام أوله صحيح لكن آخره فيه نظر وقصور شديد وتقعيد للتكفير؛ فإن الله أرسل نوحاً إلى قومه ليدعوهم لعبادة الله وترك الشرك؛ فقد كانوا يعبدون هذه الأصنام؛ وليس فعلهم مجرد (غلو في الصالحين)؛ فهذه اللفظة واسعة وتحتمل - غالباً - الخطأ والبدعة عند إطلاقها، وقد يصل الغلو إلى الكفر وهو النادر، فتقبيل اليد قد يعتبر من الغلو والتبرك بالصالحين قد يعتبر غلواً.... لكن هذا ونحوه يعد من الأخطاء أو البدع وليست شركاً، وإن تجوزنا في إطلاق الشرك على هذه الأفعال فهو شرك أصغر؛ وليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

والشيخ محمد رحمه الله قال الكلام السابق ليدلل أن دعوته هي امتداد لدعوة الرسل؛ الذين بعثوا أو كأنهم لم يبعثوا إلا إلى قوم يغلون في الصالحين فقط! أو أن أكبر أخطائهم الغلو في الصالحين! وهذا غير صحيح فقد كانوا يشركون بالله ويعبدون الأصنام وفي هذا كفاية، لكن لأن خصوم الشيخ كانوا يردون عليه بأن هؤلاء الذين تقاتلهم وتكفرهم أناس مسلمون؛ وقد يوجد عند عوامهم أو علمائهم غلو في الصالحين لكن هذا لا يبرر لك تكفيرهم ولا قتالهم، لما كانت هذه حجة خصومه استحضر هذا المعنى وكرره كثيراً في كتبه.

يجب أن يعرف القارئ الكريم أنني مع الشيخ رحمه الله في إنكار البدع والخرافات والأخطاء والممارسات التي يفعلها بعض المسلمين كالغلو في الصالحين وتعظيم القبور والتمسح بها وما يصاحب ذلك من دعاء أو ذبح أو استشفاع أو توسل و..الخ.

ولكن إنكاري لهذه البدع والخرافات وربما الشركيات في بعضها لا يجعلني أحكم على مرتكبها بالشرك والخروج من ملة الإسلام سواءً كان جاهلاً أو عالماً لأن الجاهل يمنعنا جهله من تكفيره، والعالم يمنعنا تأويله من تكفيره أيضاً.

نعم قد يقال فلان ضال، فلان مبتدع، فلان منحرف...فهذه التهمة على ما فيها من تعميم ظالم، إلا أن خطرها يسير، إنما أن نتجاوز ونقول: فلان كافر كفراً أكبر، يخرجه عن ملة الإسلام! فهذه عظيمة من العظائم التي تساهل فيها الشيخ وأتباعه، ويترتب عليها أحكام ومظالم؛ فلا يجوز أن نتهم أحداً بالكفر إلا بدليل ظاهر لنا فيه من الله برهان؛ خاصة وأن الشيخ يريد بإطلاق الكفر ذلك (الكفر الأكبر المخرج من الملة) !! -كما سيأتي -.

فهذه نقطة من نقاط الافتراق الكبرى، وهي نقطة عظيمة بلا شك، لكن لا يجوز لأحد أن يرتب على نقدي أو نقد غيري للتكفير تسويغاً لهؤلاء؛ الذين يعتقدون تلك الاعتقادات، أو يمارسون تلك الخرافات، عند قبور الأنبياء والصالحين والصحابة وغيرهم.

نعود ونقول: كان الشيخ يُواجه من خصومه، بأن من تقاتلهم وتكفرهم مسلمون يصلون ويصومون ويحجون فكان الرد منه على هذه الشبهة - وهي شبهة قوية - حاضرة في ذهن الشيخ عند تأليفه الكتب أو كتابته الرسائل؛ فبالغ في تأكيده من باب ردة الفعل، كما هو ظاهر في العبارة السابقة، وتكرر عرضه لمحاسن كفار قريش وأصحاب مسيلمة[1] والمنافقين في عهد النبوة[2] والغلاة الذين قيل إن الإمام علياً

(١) مسيلمة بن حبيب الحنفي المتنبئ الكذاب، ادعى النبوة وانفصل بنجد عن جسد الدولة الإسلامية، فقاتله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتم للمسلمين قتله وإعادة نجد لحظيرة الدولة الإسلامية، وهناك فرق بين الردة الجماعية التي تستلزم انفصالاً عن الدولة المركزية فهذا يجب قتاله بالإجماع سواء كان كافراً مرتداً أو مسلماً باغياً، وأما الردة الفردية ففيها تفصيل واختلاف، هل يسجن أو يقتل أو يستتاب ثلاثة أيام أو يهمل كما أهمل النبي ﷺ الذين كفروا بعد إيمانهم في غزوة تبوك، وأنزل الله فيهم (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) ومع ذلك لم يقتلهم النبي ﷺ وهذا ما أميل إليه من أن الردة الفردية التي لا تستلزم انفصالاً عن الأمة وتحيزاً بمكان أن جزاءهم اللوم والإهمال كما لام القرآن الكريم مرتدي تبوك وأهملهم النبي ﷺ مع أنهم بنص القرآن استهزءوا بالله وآياته وكتبه ورسله، وهذه من أبلغ الردة، لكنها ردة فردية جزاؤها الإهمال لا القتال.

(٢) المنافقون في عهد النبوة لم يقتلهم النبي ﷺ وإنما كان لهم سائر حقوق الصحابة، من فيء وغزو وتزاوج وتوارث ودفن في مقابر المسلمين..الخ.

حرقهم[1]، فتكرر من الشيخ تفضيلهم على المسلمين في عصره من علماء وعامة! حتى يبرهن أنه لم يقاتل إلا أناساً أقل فضلاً من كفار قريش ومن المنافقين ومن أصحاب مسيلمة! وهذا خطأ بلا شك، مع ما في مقارناته التي يكتبها بين هؤلاء وهؤلاء من أقيسة تهمل فوارق كبيرة، فلذلك تجد استهلاله السابق ينبئ عن قلقه من الشبهة القوية التي كان الخصوم يواجهونه بها.

وكان الأولى أن تكون عبارته كالتالي: (..أولهم نوح عليه السلام الذي أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، وعبادة الأصنام هذه كانت بداياتها غلو في الصالحين حتى وصل هذا الغلو -مع طول الأمد - للعبادة المحضة لغير الله، فأنا أدعوكم بتجنب الغلو في الصالحين، حتى لا تصلوا لما وصل إليه هؤلاء المغالون؛ فأنا أخشى أن يصل الأمر بكم أو بذريتكم إلى عبادة الصالحين كالبدوي وعبد القادر الجيلاني والشاذلي وغيرهم...).

أقول: لو كانت عبارة الشيخ هكذا أو نحوها لكان أصح وأفضل وأبعد عن الغلو المضاد أو اعتساف الاستدلالات، فتنبه لهذا.

---

(١) ولم يصح تحريق علي لهم رغم شهرته على ألسنة أصحاب العقائد بناء على روايات ضعيفة أشهرها رواية عكرمة لحديث ابن عباس: (من بدل دينه فاقتلوه)، وهو ضعيف رغم رواية البخاري له لأن أكثر أهل الحديث على تضعيف عكرمة، هذا أولاً، وأما ثانياً: فقصة التحريق التي جاءت في مناسبة الحديث بلغتهم بلاغاً فقد كانوا في البصرة والإمام علي في الكوفة، فهي أضعف من الحديث، لا سيما مع وجود ما يعارضها (وقد أفردت قصة التحريق في مبحث خاص تبين لي فيه بطلانها)، وقد أكثر التيار السلفي من ذكر تحريق الإمام علي لغلاة الشيعة – على ضعفه- ورددوا الأبيات المنسوبة للإمام (أشعلت ناري ودعوت قنبرا)! من باب ذم الشيعة بإمامهم! وحتى يؤكدوا لسلاطين المسلمين بأن جزاء الشيعة عند الإمام علي وأهل البيت هو الحرق بالنار لا غير! وهذه شنشنة المذاهب وتعصباتها، فالإمام علي من أبعد الناس عن التحريق بالنار لا سيما وأنه من رواة حديث (لا يعذب بالنار إلا رب النار)، نعم قد وردت روايات فيها نظر تدل على أنه قتل مرتدين كانوا يأخذون العطاء ويزعمون أنهم مسلمون ثم دخن عليهم في أخاديد فربما ظن الرائي أنه أحرقهم.

الملحوظة الثانية:

وقوله أيضاً في استهلاله ص٥ -٦: (وآخر الرسل محمدﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..)!.

أقول: هكذا يرسم الشيخ سامحه الله صورة جميلة وغير صحيحة عن كفار قريش ليبني على ذلك تكفير مسلمين (يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..!!)، وهذا قياس مع الفارق الكبير كما سبق شرح ذلك وسيأتي.

ثم ذكر الشيخ الصفة التي يرى أنه من أجلها قاتل الرسول ﷺ الكفار وقاتل الشيخ المسلمين فقال: (لكنهم -يعني كفار قريش - يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله!) يعني فجاز قتالهم ويجوز لنا نحن قتالهم للسبب نفسه[1]!.

---

(١) وهذه من الدقائق التي لا ينتبه لها من يقرأ العبارة وهو لا يعرف الدلالات الخفية لمثل هذه التنظيرات التي تهيئ القارئ العادي لقبول تكفير المسلمين، وبمثل هذه النظريات أقنع الشيخ جموعاً ممن لا علم لهم بخطورة التكفير ولا نظر لهم في العلوم، فاجتاحوا الجزيرة تكفيراً وتقتيلاً، صحيح أن البعض قد يقول: لو لم يكفرهم الشيخ محمد ويقاتلهم لما انتشر الإسلام الصحيح! ولبقينا في البدع والخرافات إلى زمننا هذا! ...وهذا افتراض غيبي، وقد يعارض هذا القول آخر فيقول: إن الإسلام انتشر في أغلب بلاد المسلمين بلا سيف، فمعظم أفريقيا ومعظم آسيا والإسلام في الغرب والصين كان بلا سيف،، فلو أن الشيخ راسل العلماء و الأعيان لربما اهتدوا للإيمان الصحيح بلا ضرر ولو تأخرت استجابتهم، هذا إن سلمنا بأن ما يدعو إليه خال من الشوائب،وأن ما عند علماء عصره باطل كله ليس فيه اختلاف ولا شبهة، ربما لو تم هذا لسلمت الدعوة وأصحابها من تهمتين كبيرتين لهما ما يصدقهما قولاً وفعلاً وهما (التكفير والقتال)، فقد ظلتا عائقاً كبيراً من عوائق نجاح الدعوة الوهابية إلى اليوم، وقد جلبتا الضرر على المسلمين قبل غيرهم، ضرراً لا يزيله ماء البحار، بل قد يعرض بعض المسلمين اليوم وقبل اليوم عن الإيمان النقي من الشبهات والبدع ويزين له الشيطان الدفاع عن الباطل، كل هذا من باب الخصومة للوهابية، لأنهم في رأيه يكفرون المسلمين ويقتلون المسلمين بلا بغي ولا قطع طريق ولا ردة صريحة، وهكذا كل قد يفترض، فالافتراضات لا مكان لها عند مناقشة الأمر شرعاً، بمعنى أن حد السرقة هو القطع حتى لو افترض آخر أن (قتل السارق) سيكون أكثر تأثيراً في منع السرقة! فهل يجوز قول هذا شرعا حتى وإن صدق واقعاً ؟! بالطبع لا، ومن أضرار هذا القول الأخير المفترض أنه عندما يعلم الآخرون =

سبحان الله، كفار قريش الذين لا يقولون (لا إله إلا الله) ولا يرضون قولها، ولا يؤمنون بيوم القيامة ولا البعث ولا جنة ولا نار ولا يؤمنون بنبي ويعبدون الأصنام ويقتلون ويظلمون ويشربون الخمور ويزنون ويأكلون الربا ويرتكبون المحرمات مثلهم مثل المسلمين المصلين الصائمين الحاجين المزكين المتصدقين المجتنبين للمحرمات والفاعلين مكارم الأخلاق... ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ؟!

لا، ليسوا سواء، المسلمون ليسوا كالكفار حتى وإن تأول علماؤهم وجهل عوامهم فالتأويل والجهل بابان واسعان، ومانعان كبيران من موانع التكفير، لكن على كل حال لا تجوز المساواة بين من يقوم بأركان الإسلام مع من ينكرها.

ولا يستوي من يؤمن بالنبي ﷺ نبياً ورسولاً ومن يكذبه ويظنه ساحراً أو كاهناً.

ولا يستوي من يتوسل بالنبي ﷺ ويتبرك بالصالحين – وإن أخطأ - مع من يرجم النبي ﷺ ويقتل الصالحين.

لا يستوي من يؤمن باليوم الآخر والجنة والنار مع من يقول (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا..).

لا يستوي من قال: (لا إله إلا الله) مع من قال: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً).

لا، لا يستوي من آمن ومن كفر

من صدق الرسل ومن كذبهم

=أن الفئة الفلانية يقتلون السارق فسيتخوفون من هذه الفئة ويعملون على عدائها مع المسلمين والكفار على حد سواء، وهذا سر كثرة أعداء الوهابية وربما من أناس ليسوا بأورع ولا أتقى، لكن التكفير والقتال للمسلمين جعل للآخرين المشروعية الظاهرة في هذا العداء من وجهة نظر بعض العلماء على الأقل، إذن فمعرفة حكم الشيء لا تدخل فيه التوقعات المستقبلية، وكذلك إذا كان الرجل مسلماً لا يجوز تكفيره وقتله ليهتدي غيره خوفاً ورعباً وإكراهاً! (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)؟!.

من آمن بالبعث ومن كفر به..

لا يستوي من طلب شفاعة الأنبياء والصالحين مع من يطلب شفاعة الجماد.

لا يستوي من يطلب شفاعة الأنبياء وهو يعرف أنهم عبيد الله مع من يطلب شفاعة الأصنام ويجعلهم مشاركين لله في الألوهية...

لا يا شيخنا –رحمك الله - هناك فرق كبير بين هؤلاء وهؤلاء.

وأقول للأخوة المختلفين معي في هذه المسألة:

معظم علماء المسلمين في عهد الشيخ محمد وفي أيامنا هذه يقولون بجواز التبرك بالصالحين[1] والتوسل بهم، فهل نحن اليوم نكفر جميع هؤلاء؟! أم نخطئهم فقط؟! بل ليت التخطئة بدليل وبرهان تسلم لنا.

إن قلتم: نحن نكفرهم ردَّ عليكم العلماء المعاصرون داخل المملكة وخارجها واتهموكم بالغلو في الدين وتكفير المسلمين!.

وإن قلتم: لا، نحن لا نكفرهم رددتم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب تكفيره لهم لأنه كان يكفر علماء وعوام مثل علماء زماننا وعوامهم تماماً، ولن يخرج مقلدو الشيخ من هذه الإلزامات، وإن تكلفوا التفريق بين المسلمين (من العلماء والعوام) الذين كانوا في عهد الشيخ محمد، وبين المسلمين (من العلماء والعوام) اليوم؛ كان التفريق بين (كفار قريش) وبين هؤلاء (العلماء والعوام) أكثر وضوحاً وظهوراً!.

---

(١) بل كان كبار علماء السنة كأحمد بن حنبل والذهبي وابن حجر وغيرهم يرون التبرك، راجع على سبيل المثال استدلالات الحافظ ابن حجر على جواز التبرك في (فتح الباري٣/ ١٤٤، ٢٥٤، ٣٦٧) طبعة الشيخ ابن باز، وأما الذهبي فآراؤه كثيرة (راجع على سبيل المثال: ترجمة معروف الكرخي في النبلاء)، وأما أحمد بن حنبل فالحنابلة يعترفون بأنه يرى التبرك والتمسح برمانة المنبر النبوي وبالقبر الشريف (راجع العلل والطبقات)، وأنا شخصياً لا أرى التبرك بهذا كله لكني أعذر من فعل، وأقدر له اجتهاده، وإن لم أتابعه، فأنا من حيث الممارسة متفق تماماً مع الشيخ محمد، وأما من حيث إطلاق الأحكام على من أختلف معه فأنا مختلف معه أيضاً... وبغير هذه الإعذارات بعد التفهم سيبقى المسلمون في تباغض وتفرق.

نعم، لأن كل ما أنكره الشيخ محمد رحمه الله على علماء عصره من التوسل بالصالحين أو التبرك بهم أو الاستشفاع بالنبي ﷺ أو زيارة القبور أو ترك الإنكار العلني على العوام والحكام.. الخ، ما زال إلى اليوم في علماء مصر والشام والحجاز واليمن والعراق والمغرب.. الخ فضلاً عن عوامهم.

فأنتم إذا كفرتم هؤلاء لزمكم الرد على علماء السلفية في المملكة الذين لا يكفرونهم، فإذا بلغ العلماء ردكم ولم يكفروهم لزمكم تكفير العلماء؛ لأن من قواعد الدعوة السلفية في كتابات كثير من علماء الدعوة أن (من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فهو كافر)[1]!.

الملحوظة الثالثة:

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧: (وإلا فهؤلاء المشركون -يعني كفار قريش - يشهدون أن الله هو الخالق وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره..) ثم سرد الآيات في ذلك.

أقول: هنا أيضاً رسم صورة زاهية للمشركين؛ ولم يذكر تكذيبهم بالبعث، ولا اعتقادهم أن الذي يهلكهم هو الدهر، ولا اعتقادهم أنهم يمطرون بنوء كذا وكذا، ولا أكلهم الربا، وقتلهم النفس، ودفنهم البنات ولا غير ذلك من المظالم والجرائم؛ ولا ذكر وصفهم للنبي ﷺ بأقبح الأوصاف وتكذيبهم له، وتعذيبهم المسلمين وقتلهم المستضعفين.

فالشيخ محمد أخذ الآيات التي تدل على إيمانهم على وجه الجملة بأن الله هو الخالق الرازق..

مع أن هذه الاعترافات التي اعترف بها المشركون؛ قد أجاب عنها بعض العلماء؛ وذكروا أن المشركين إنما اعترفوا بها من باب (الإفحام والانقطاع)، وليس من باب الاقتناع، ولو كانوا صادقين في اعترافهم؛ لنطقوا بالشهادتين، وأتوا بلوازم هذا

---

(١) وهذا ما حصل في مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله)، وهي قاعدة قابلة لتكفير العلماء المقرين للحوار الوطني، والمسيرة ستتواصل، كل هذا لأن المنبع لم يتم سده، والمنهج لم تسبق مراجعته.

الاعتراف من العبادات الظاهرة؛ فلذلك يأمر الله نبيه ﷺ أن يذكّرهم بلوازم هذا الاعتراف كما في قوله تعالى: (فقل: أفلا تتقون) (قل: أفلا تذكرون)؟!.... الخ.

فكأن الله عز وجل يوبخهم بأنهم كاذبون، وأنهم لا يؤمنون بالله عز وجل خالقاً و رازقاً، كما لا يستطيعون في الوقت نفسه أن يقولوا أن الأصنام هي التي خلقت السماوات والأرض!! فبقوا بين الاعتراف بالقول (انقطاعاً) وممارسة ما يخالفه (واقعاً)، وهذا الجواب الذي أجاب به بعض العلماء إن كان ضعيفاً فأضعف منه الزعم بأن كفار قريش أفضل من المسلمين -في عصر الشيخ - بخصلتين!.

والحاصل: أنه لا يجوز للشيخ رحمه الله ولا لغيره أن يذكر فضائل الكفار ويهمل أخطاءهم، بينما يختار أخطاء المسلمين وينسى فضائلهم!.

ولا يجوز أن نختار الآيات التي قد نوهم بها العوام – ولو دون قصد - بأن فيها ثناء على الكفار، ونترك الآيات التي تذمهم وتبين كفرهم وظلمهم وتكذيبهم بالبعث... الخ.

لا يجوز أن نقوم بكل هذا حتى نسوغ به قتالنا للمسلمين الركع السجود؛ بزعمنا أنهم مثل الكفار تماماً الذين (يصلون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله..)؟! وأننا نقوم بعمل النبي ﷺ نفسه! فهذا غير صحيح، والاعتراف بالخطأ خير من التمادي في الباطل، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن رضي المعصية كان كمن شهدها وشارك فيها أو قريب من ذلك، فلنتق الله ولا تخدعنا القوة والكثرة عن ديننا، ولا نغتر بكثرة المناصرين للباطل سمعة وجهلاً وهوىً وظلماً، فإن هؤلاء لا يملكون جنة ولا ناراً، ولعل الشيخ الآن أحوج إلى استغفارنا من حاجته إلى نصرة الأخطاء التي وقع فيها، لكننا نغتر بالكثرة والغوغاء.

ثم على هذا المنهج العجيب في المقارنة بين (فضائل الكفار) و(أخطاء المسلمين)! يمكننا أن نقول:

كيف نقاتل اليهود؟! وهم يصدقون في القول، ويحترمون العدالة، ويوزعون الأموال بالسوية، ويؤمنون بالله، ويحترمون المقدسات، ويحترمون حرية الرأي، ..الخ!.

ونترك قتال المسلمين الذين يظلمون! ويتعاملون بالربا، ويكذبون، ويخلفون المواعيد، ويخونون في الأمانات؟ والذين يجيزون التوسل و يتبركون بالصالحين؟ ... الخ!!.

كيف نقاتل اليهود وهم أقرب إلينا من مشركي قريش ونترك قتال من هم أشد كفراً من كفار قريش ومن أصحاب مسيلمة بخصلتين؟

وهكذا فإن ذكرنا محاسن موجودة عند اليهود وأصحاب مسيلمة؛ وتناسينا مساوئهم وعكسنا القضية في حق المسلمين فذكرنا أخطاءهم وأهملنا إيمانهم وفضلهم؛ تصبح المسألة ملتبسة، وأصبح قتال المسلمين أولى من قتال اليهود المحتلين[1]!!.

أما إن أخذتَ – أيها المسلم - جميع صفات هؤلاء وهؤلاء فستعرف أين تضع سيفك.

وكذلك الحال في كفار قريش أو كفار العرب عموماً، الذين بعث فيهم النبيﷺ، إذا اقتصرت على بعض مكارم الأخلاق، وبعض الانقطاعات التي انقطعوا عندها، أو اعترفوا بها، خرجت بالصورة الجميلة عنهم التي أخرجها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

أما إن استعرضت جميع الآيات التي تتحدث عن الكفار؛ فستعرف أنهم يختلفون كثيراً عن فساق المسلمين وظلمتهم؛ فضلاً عن صالحيهم وعلمائهم.

---

(١) وقد رأينا نتيجة هذا، في بعض مواقع الإنترنت السلفية!! التي لا تأسف على ذهاب الشهداء من الفلسطينيين، وزعم هؤلاء الأخوة الغلاة أن الأمر سيان فالأمر: كفار يقتلون مبتدعة! فالمسألة طوب يكسر بعضه -حسب تعبيراتهم- وسبق لهؤلاء الغلاة أيضاً، أن ارتكزوا في ذم مجاهدي البوسنة والشيشان لأن فيهم تصوفاً وتمذهباً، بمثل هذه الأقوال العجيبة التي وجدوا لها ما يسوغها في كتب العقائد القديمة والحديثة؛ ولو شئت أن أنقل تفضيلهم اليهود والنصارى على المسلمين – المختلفين معهم في الرأي والمذهب – لما انتهيت، وقد ذكرت شيئاً من هذا في كتاب (قراءة في كتب العقائد) فليراجعه من شاء.

الملحوظة الرابعة:

ويقول الشيخ ص٩: (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا – يقصد بأن الله هو الخالق الرازق -.. ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو (توحيد العبادة)، الذي يسميه المشركون! في زماننا (الاعتقاد) !!) اهـ.

أقول: سامح الله الشيخ محمداً ففي هذا النص تكفير صريح لعلماء المسلمين في زمانه أو كثير منهم! فإن كان يقصد كل الذين يطلقون كلمة (الاعتقاد) على كتب العقيدة، فقد كفر كل العلماء في زمنه، وإن كان يقصد الاعتقاد الخاص (اعتقاد الصوفية) فقد كفر بعض العلماء، دون نظر لتأويلهم فالتأويل مانع كبير من موانع التكفير، فإن كان قصده الأول فهذا من التكفير الخفي الذي لا يدركه كل قارئ، إذ يصبح مقصود الشيخ بالمشركين في زمانه هم الذين لهم كتب يسمونها (الاعتقاد) وهذه ليست في أمة سوى أمة المسلمين..

ثم حجة المتصوفة عليها كثير من أهل العلم وهو اعتقادهم أن هناك أزماناً وأوقاتاً وأماكن هي مظنة نزول الرحمة وقبول الدعاء أكثر من غيرها، فمن الأوقات ثلث الليل الأخير، وليلة القدر، ويوم عرفة، ليلة النصف من شعبان، ....الخ – سواء صح الحديث في هذه أو ضعف، فالناس في تصحيح الحديث بين متشدد ومتساهل، ومن الأماكن التي يرجون عندها استجابة الدعاء، المساجد، مواقف الحج في عرفة ومنى ومزدلفة، والمدينة النبوية، وعند قبور الصالحين من أنبياء أو أتباع، - سواء صح استدلالهم أو لم يصح مادام أنهم مسلمون - وفي المسألة الأخيرة وقع النزاع من قديم، فمن يرى ذلك يعتقد أنه بما أن هذا الإنسان رجل صالح وأن روحه تسمعهم (لاعتقادهم أن الأموات يسمعون وهي مسألة فيها خلاف كبير)، فيعتقدون أنه مادام أنه حي في قبره أو روحه تسمعهم فإن رجاء الإجابة عند قبره تترجح، فيطلبون منه الشفاعة والدعاء والتأمين على دعائهم، فهذه الصورة مباحة عند كثير من أهل العلم بل نقل ابن حزم الإجماع عليها، ووجدنا أن علماء سلفيين صرحوا بها ومنهم الذهبي

والشوكاني، وعلى هذا يكون الوهابية هنا قد خالفوا الإجماع السكوتي، وهو من حقهم لأن الإجماع السكوتي غير حجة، لكن ليس من حقهم تكفير أصحاب الإجماع السكوتي (للتوسع في هذه المسألة راجع الملحق - الفقرة السادسة).

ثم في كلام الشيخ محمد ما يوحي بأن هؤلاء يعبدون الصالحين وهذا غير صحيح، فالمسلمون كلهم متصوفتهم وعلماؤهم وعوامهم لا يعبدون إلا الله بخلاف هؤلاء المشركين من كفار قريش ونحوهم؛ الذين يسجدون للأصنام؛ وإذا لم يكن هذا واضحاً؛ فلن نستطيع التفريق بين أمور أخرى أشد التباساً، ومن تلك الأمور الملتبسة اتهام بعض العلماء للشيخ محمد وأصحابه بأنهم خوارج؛ فهم يرون أن خصائص الخوارج مجتمعة فيهم لأنهم، يكفرون المسلمين، ويستبيحون دماءهم، وأنهم في آخر الزمان، ويخرجون من قبل المشرق[1] وينزلون الآيات التي نزلت في المشركين على المسلمين، وأنهم يقرؤون القرآن بما فيه من أوامر ونواهي فلا يتجاوز حناجرهم فلذلك لم تمنعهم هذه القراءة من تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وظلمهم مع النهي عن ذلك في النصوص القرآنية ومع نهي القرآن عن الظلم ولبس الحق بالباطل!، وأن سيماهم التحليق و... الخ.

فإذا كانت التسوية بين الخوارج والوهابية ظلماً – مع وجود هذا التشابه الكبير عند المخالفين لهم (راجع الملحق) - فالتسوية بين كفار قريش والمسلمين أكثر ظلماً،

---

(١) بعضهم يتأول أحاديث ذم المشرق بأن المراد بذلك (العراق) بل يتأولون أحاديث ذم نجد بأن المراد نجد العراق! والأحاديث في الصحيحين، ورغم شكوكنا في كثير من أحاديث البلدانيات والقبائل، وأن الحكم العام بذم منطقة يمكن تخصيصه بوقت دون وقت، أو أناس دون أناس، إلا أن هذه التأويلات التي يصرفون فيها هذه الأحاديث من ذم نجد إلى ذم العراق، تأويلات فاسدة هزيلة بعيدة عن الصواب، لأسباب كثيرة ستأتي، وكان يمكن تأويلها بحيث لا تنزل على الصالحين من أهل نجد كما أن مدح الشام واليمن لا تتناول الظلمة منهم، أما أسباب ضعف التأويل السابق فأهمها أربعة أسباب (راجعها في الملحق – الفقرة السادسة) .

وأبعد عن الحق، وإن كان الشيخ معذوراً في تفضيل كفار قريش على علماء زمانه؛ فالذي يجعل علماء الدعوة من الخوارج يكون أولى بالعذر؛ لأن الخوارج - مع هذا - مسلمون على الراجح، ولم يكفرهم الصحابة بينما كفار قريش لا يشك أحد في كفرهم.

الملحوظة الخامسة:

قوله ص٩: ـ في وصف محاسن كفار قريش وغيرهم ـ: (كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً! ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليستغفروا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات! أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك! ودعاهم إلى إخلاص العبادة... فقاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدعاء كله لله والنذر كله والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله وجميع العبادات لله...الخ) أهـ.

أقول: الكفار لم يكونوا يدعون الله ليلاً ونهاراً! وإنما كانوا يذكرون هبل واللات والعزى ومناة، ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً لما نهى الله نبيه عن (عبادة الذي يدعون) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال تعالى واصفاً حال الكفار ساعة الموت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]؟! وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[3]، وقال عن الكفار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ﴾[4] وغير ذلك كثير من الآيات التي لم أشأ تتبعها، وهي تخبر عنهم بخلاف ما

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٦.

(٢) سورة الأعراف آية ٣٧.

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٤.

(٤) سورة النحل آية ٨٦.

أخبر الشيخ، بأن دعاءهم أو أكثره على الأقل كان متوجهاً للأصنام وليس كما يقول الشيخ من أنهم (يدعون الله ليلاً ونهاراً)! إضافة إلى أنهم لم يكونوا يدعون الله بإخلاص إلا في الشدائد.

ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً ـ كما وصفهم الشيخ ـ لغبطهم عليه زهاد الصحابة! فهذه صورة من الصور الكثيرة الجميلة التي يمدح فيها الشيخ كفار قريش، ليس حباً فيهم؛ ولكن ليقارن بينهم وبين مسلمي عصره؛ موهماً بتشابه هؤلاء وهؤلاء! ثم ليبني على هذه المقارنة الناقصة وذلك الإيهام تفضيلهم على المسلمين، ثم البناء على هذا كله تكفير المسلمين واستحلال قتالهم[1].

---

(١) والشيخ محمد رحمه الله أثنى على الكفار في مواضع كثيرة منها قوله عن كفار قريش (كانوا يعرفون الله ويخافونه ويرجونه)! الدرر السنية(١/ ١٤٦)، وهذا لا يصح إطلاقه، ومن ذلك قوله: (كانوا -يعني كفار قريش- يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل!!) (الدرر السنية ٢/ ١١٨)، فهذا الكلام فيه نظر كبير لا يخفى على منصف.

أثنى على المنافقين لهذا الغرض في مواطن كثيرة ومنها قوله: (كان المنافقون على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ويحجون معه..) انظر الدرر السنية (٢/ ٨٦).قلت: كل الكلام السابق -على ما فيه من أخطاء- يمكن قبوله إلا قوله (في سبيل الله) فالمنافقون لا يفعلون هذا لأجل الله وإنما لأهداف أخرى، إضافة إلى أنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون، ولا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى، ولا يصلون مع النبي ﷺ الفجر ولا العشاء،...في أمور أخرى من مساوئهم أهملها الشيخ، وستأتي نماذج من وصف كفار قريش بمثل هذا وتفضيلهم على مسلمي عصره. كما مدح الشيخ -سامحه الله - المرتدين كمسيلمة وأصحابه للغرض نفسه، فقال في الدرر السنية(٢/ ٤٤): (مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلي ويصوم!!)، قلت: وهذا غير صحيح ، فلو شهد أن محمد رسول الله لما ادعى النبوة وقد كذبه النبي ﷺ، إضافة إلى أن مسيلمة كانت له شعائر خاصة غير صلاتنا وصيامنا.وقال عن بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب في الدرر السنية (٩/ ٣٨٧): هم عند الناس من أقبح أهل الردة وأعظمهم كفراً وهم مع هذا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون وأكثرهم يظنون أن النبي ﷺ أمرهم بذلك)!اهـ، وقال عن أصحاب مسيلمة أيضاً في =

والـذي يجب أن يصـحح هـنا أن النبيﷺ قاتل الكفار، لأمور كثيرة أهمها الشرك الأكبر بالله وإخراج المسلمين من ديارهم وإنكارهم النبوة وارتكابهم المظالم ... الخ.

فتعليل الشيخ محمد ناقص وهذا النقص في التعليل أدى إلى قتال مسلمين (يصلون و يحجون و يذكرون الله)!.

ثم لم يرد في القرآن الكريم أن علة قتال النبيﷺ للكفار، إنما حتى يكون الذبح كله لله والنذر كله لله والاستغاثة كلها بالله.. فقط .

وإنما الأسباب الكبرى الرئيسة هي : الشرك الأكبر وإنكار النبوة وإخراج المسلمين من ديارهم..الخ.

فالشيخ يذكر أسباباً صغيرة مشتبهة (أو تلفيقات حسب تعبير معارضيه) فلم تذكر في النصوص، وليست متحققة، ولا يُدرى بيقين أهي من أسباب القتال أم لا؟! ويترك

=الدرر السنية (٩/ ٣٨٣): (شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن صدقوا لمسيلمة أن النبي أشركه في النبوة، وذلك أنه أقام شهوداً شهدوا معه بذلك، وفيهم رجل من الصحابة معروف بالعلم والعبادة، يقال له الرحال، فصدقوه لما عرفوا فيه من العلم والعبادة)!اهـ أقول: إذن فبنو حنيفة ضحية نظرية عدالة الصحابة!، التي نكاد نكفّر من لم يؤمن بتحققها في كل فرد منهم، وهذه دعوة للإيمان بالأمور المتناقضة، فمن اتبع مسيلمة كفر، ومن رد شهادة الصحابي كفر! وكذّب بالآيات في تعديلهم في زعم الغلاة! فماذا تريدون من أصحاب مسيلمة أن يفعلوا؟ هم –حسب وصف الشيخ–من غلاة السلفية في قضية عدالة الصحابة! فهل تريدون منهم أن يكفروا بنظرية عدالة الصحابة أم أن يؤمنوا بنبوة مسيلمة؟!.وقد أثنى الشيخ على المرتدين الذين قيل أن علياً أحرقهم فقال عنهم(٢/ ٤٤): كانوا يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله !!اهـ قلت: وهذا غير صحيح، فأقوى الروايات تذكر أن القوم قتلوا وأنهم كانوا مرتدين تماماً = =وبعض غلاتنا يقولون إنهم ادعوا الإلهية في علي، فإن كان هذا صحيحاً فهو أبلغ في الرد على الشيخ بأن هؤلاء لا يشهدون الشهادتين. والخلاصة أن الشيخ سامحه الله يثني على المشركين الحقيقيين كفاراً كانوا أو مرتدين أو منافقين ويذم المسلمين في عصره متهماً إياهم بشرك أعظم من شرك الكفار الأصليين، وهذا غاية في التجاوز .

الأسباب الكبرى المتفق عليها والمنصوص عليها في القرآن الكريم بأنها هي سبب قتال النبيﷺ للكفار، وإنما غلا من غلا من الخوارج والطوائف بتركيزهم على مثل هذه الدقائق المشتبهة وتركهم القطعيات الكبرى، فيبيحون دم المسلم لشبهة من دليل صحيح أو لدلالة دليل ضعيف، وبهذا غلا الغلاة عبر التاريخ.

الملحوظة السابعة:

ثم يواصل ص١١ بقوله: (لم يريدوا أن الله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد!) أهـ.

أقول: هذا أيضاً فيه تكفير صريح للمسلمين في زمانه فالسيد يطلقها كثير من الناس في القرون المتأخرة إلى اليوم على الرجل من أهل البيت، وقد يطلقها العوام في عصره وفي عصرنا على من يظنون فيه البركة، فيرقي هذا ويقرأ على هذا.... وإطلاق هذا واعتقاده ليس كفراً بل ولا حراماً، نعم قد يكون مكروهاً، والحديث الوارد في النهي فيه نزاع قوي، وقد قال عمر (أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً سيدنا).

وإن كان بعض أهل نجد أو بعض أهل الحجاز في عهد الشيخ، يطلقون السيد على الذي يتبركون به ويطلبون منه الدعاء فغاية ما يقال في هذا الأمر أنه بدعة قد تكون كبرى وقد تكون صغرى بحسب حالة القائل والمقول له والعلاقة بينهما، لكنها ليست كفراً، ثم ليس صحيحاً على إطلاقه ما ذكره الشيخ من أن المشركين كلهم كانوا يعلمون أن الله هو الخالق الرازق....الخ.، فهذا متحقق في بعض الكفار لا كلهم؛ فالدهريون مثلاً لا يؤمنون بهذا بنص القرآن الكريم في قولهم: (وما يهلكنا إلا الدهر)[1].

---

(١) كل من كتب عن التاريخ الجاهلي أثبت بأن أديان أهل الجاهلية كانت شتى، فمنهم الدهريون ومنهم الوثنيون -وهم الغالبية- ومنهم أهل الكتاب ومنهم المجوس ومنهم السحرة والكهنة ومنهم الأحناف (على دين إبراهيم) وهؤلاء قلة، لكن لم يكونوا يتعصبون لأديانهم، فلم يكن المجوس يدعون لمجوسيتهم ولا الوثنيون يدعون لوثنيتهم، وعلى هذا فقد تتداخل العقائد، فيردد الجميع كلمة الله، ويعترف به الواحد منهم خالقاً لكنه لا يوحده، ولا يعبده، ولا يأتمر بأمره =

الملحوظة الثامنة:

قول الشيخ ص١١ : (فأتاهم النبيﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ...)أهـ.

أقول: لكن مجرد التلفظ بها ولو كذباً وتعوذاً يعصم صاحبها من التكفير والقتل بينما من يقولها من معاصري الشيخ صادقاً ومتديناً لا تعصمه من تكفير ولا قتال ، فالمنافقون في عهد النبيﷺ يقولون الشهادتين بألسنتهم ، وكان النبي ﷺ يعرف ذلك في كثير منهم ؛ ومع ذلك عصمت دماءهم وأموالهم ، أما المعاصرون للشيخ من المسلمين فلم تعصم دماءهم و أموالهم لا الشهادتان ولا أركان الإسلام.. مع صدقهم في ذلك.

الملحوظة التاسعة:

ويقول ص١٢ : (فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة ، بل يظن (يعني المدعي للإسلام) أن ذلك (يعني تفسيرها) هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني)؟! أهـ.

أقول: ما ذكره الشيخ غير صحيح ؛ فليس هناك مسلم واحد يقول إن معنى (لا إله لا الله) هو التلفظ بها دون اعتقاد القلب لذلك.

والمسلمون جميعهم علماؤهم وعوامهم ، يمقتون في المسلم أن يقول ما لا يعتقد ، بل حتى العوام يسمون هذا (نفاقاً) ، وهم يذمون من يخالف قوله فعله ، بل حتى الكفار يذمون من يخالف قوله فعله..

=ولا ينتهي عن نواهيه، ولا يعلم هذه ولا تلك، ولا يخشى من الظلم وارتكاب الذنوب،....الخ، ومن شاء التوسع في الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام فليراجع الكتب المؤلفة في هذا الباب، ولعل أفضلها وأشهرها وأجمعها كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد علي وهو مطبوع في عشر مجلدات ضخمة مع دقة علمية واعتماد على المصادر المكتوبة والآثار النقوش المكتشفة، فلابد أن يكون كلامنا عن أهل الجاهلية بعلم ليسهم هذا في فهمنا للقرآن الكريم، ونعرف أي طائفة يقصدها القرآن بهذه الآية أو تلك..

فكيف يظن الشيخ : أن المسلمين في عصره يقولون بجواز أن نشهد الشهادتين بلا اعتقاد لمعانيها، فنقول (لا إله إلا الله) ونعبد غيره، (ونقول: محمد رسول الله) ونعتقد كذبه..؟!.

فالمسلمون في عهد الشيخ مثل المسلمين اليوم في البلاد الإسلامية، فهل يجوز لنا أن نقول اليوم: إنهم يقولون: (نقول: الشهادتين باللفظ فقط وسننجو حتى وإن اعتقدنا خلافها)؟!.

نعم لهم شبه وأدلة يستجيزون بها التوسل والاستشفاع والاستغاثة ونحو ذلك، وهذا عندي خطأ بلا شك وأوافق الشيخ على ذلك، لكن هم عندهم شك، بل هم لا يرون هذا متناقضاً مع الشهادتين، ولهم في ذلك مؤلفات وأدلة وشبهات وتأويلات لا تقل قدراً عن تأويلات الوهابية وشبهاتهم في تكفير المسلمين! وجعلهم أشد كفراً من كفار قريش بخصلتين![1].

الملحوظة العاشرة:

ثم يقول ص١٣ : (والحاذق منهم -يعني ممن يدعي الإسلام من علماء المسلمين! - يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله)! ثم يتبع هذا بقاصمة وهي (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)؟!.

أقول: سبق الجواب بأن علماء المسلمين في زمانه لا يفسرون الشهادتين كما ذكر الشيخ هنا -فيما أعلم - ، قد يقصرون في تفسير معنى الشهادتين فإن حصل فلن

(١) والآخرون يصرون على عقائدهم بما فيها من أخطاء وتأويلات واعتذارات مثل إصرار السلفية والوهابية على أخطائهم بما فيها من غلو واعتداءات؛ والصوفية والشيعة يتهمون ناصحيهم بالعمل لصالح الوهابية، مثلما يتهم الوهابية ناصحيهم بالقبورية والعمل لصالح الصوفية والشيعة بل والشرك الأكبر، وستبقى نظرية المؤامرة والتشكيك في نيات الآخرين حاضرة في حواراتنا، ما دام الغلو والغلو المضاد لهما حضورهما في هذه الحوارات.

يجوزوا صرف العبادة لغير الله ولو بأدلة أخرى قرآنية فيها الأمر بوجوب صرف العبادة لله، نعم لهم تأويل بأن التبرك والتوسل لا يناقض الشهادتين وهذا شيء آخر.

لكن أن يأتي عالم ويزعم أن (لا إله إلا الله) ليس معناها إلا (لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله) مع جواز صرف العبادة لغيره فلا أظن عالماً عاقلاً يقول هذا، ومن زعم هذا فعليه الدليل والبرهان.

الملحوظة الحادية عشرة:

ذكر ص١٦، ١٥: أن أعداء التوحيد قد يكون عندهم علم وحجج وفصاحة ... وهذا إقرار منه بأنه يتحدث عن معارضيه من علماء عصره في نجد والحجاز والشام[١].. وأن معهم علماً وفصاحة وقبل هذا ينفي أنهم يعرفون معنى لا إله إلا الله!!.

الملحوظة الثانية عشرة:

ويقول ص١٧: (والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين)!!

أقول: هذا تكفير واضح لعدد كبير من العلماء ويستحيل في العادة أن يوجد مثل هذا العدد الكبير (ألف!) من العلماء الكفار في بلد واحد؛ فاعرف هذا فإنه مهم وهو من أدلة من يتهم الشيخ بتكفير من لم يتبعه! والشيخ وأتباعه يقولون: معاذ الله أن نكفر المسلمين، وهذا قول عام لكن المشكلة أن المسلم عندهم غير المسلم عند سائر المسلمين، فالمسلم عند الشيخ ومن يقلده له شروط طويلة عريضة متفرعة سيضطر هو ومن يتابعه أن يختلفوا في هذه الشروط مع العلماء قبل العوام، فالتلفظ بالشهادتين لا يكفي مخرجاً من الكفر، ثم معرفة بعض الشروط دون بعض لا يخرج من الكفر أيضاً، ثم تفسير بعض الشروط لا بد فيها من تقليد الشيخ، وهكذا لا تكاد تنطبق هذه الشروط

---

(١) وقد كرر غير مرة بأن خلافه مع الصفوة من العلماء والقضاة لا مع العوام.

وتفريعاتها وتفسيراتها إلا على من يقلد الشيخ ويتبعه – كما سيأتي مدعماً في الأمثلة القادمة - وهذا تعقيد لما سهله الله ويسره، ثم شوائب الفكر والظنون لا يخلو منها مسلم حتى الصحابة قد تحدثوا بأنهم يجدون ما لو يلقون من السماء لكان أسهل عليهم من التلفظ به، وأدرك بعض التابعين عشرات الصحابة يخشون على أنفسهم من النفاق، فالخواطر والظنون والتساؤلات المحيرة والأخطاء في الممارسات أمر وارد، بل لا يكاد ينجو منه مسلم .

الملحوظة الثالثة عشرة:

ويقول ص١٩ : (وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا...)!!.أهـ.

أقول: يا ترى من هم هؤلاء المشركون الذين يغوصون في أدلة الكتاب والسنة مع فصاحة وعلم وحجج....؟! أليسوا علماء مختلفين معه في دعوى كفر مخالفيه من علماء وعوام؟ لا ريب أن هذا فيه تكفير صريح للمخالفين له ممن نسميهم (خصوم الدعوة) أو (أعداء التوحيد) أو (أعداء الإسلام)!! وهذا ظلم، لأن الشيخ كان يرد على مسلمين ولم يكن يرد على كفار ولا مشركين، وهذه رسائله وكتبه ليس فيها تسمية لمشرك ولا كافر وإنما فيها تسمية لعلماء المسلمين في عصره كابن فيروز، ومربد التميمي، وابني سحيم سليمان وعبد الله، وعبد الله بن عبد اللطيف، ومحمد بن سليمان المدني، وعبد الله بن داود الزبيري، والحداد الحضرمي، وسليمان بن عبد الوهاب، وابن عفالق، والقاضي طالب الحميضي، وأحمد بن يحي، وصالح بن عبد الله، وابن مطلق، وغيرهم من العلماء الذين يطلق عليهم (المشركون في زماننا)!!

وقد استمر علماء الدعوة الوهابية بعد الشيخ في تكفير أو تبديع يكاد يصل للتكفير لعدد آخر من علماء المسلمين –أخطأوا ولم يكفروا - في عهد الدولة السعودية

الثانية كابن سلوم وعثمان بن سند وابن منصور وابن حميد وأحمد بن دحلان المكي وداود بن جرجيس وغيرهم.

وفي القرن الرابع عشر الهجري استمر تكفير الوهابية وتبديعهم[1] لعلماء معاصرين – يخطؤون كما نخطيء - كالكوثري، وأبو غدة، ومحمد حسين فضل الله، والدجوي، وشلتوت، وأبي زهرة، والغزالي، والقرضاوي، والطنطاوي، والبوطي، وعبد الله وأحمد الغماريين، وحبيب الرحمن الأعظمي، والكبيسي، وعبد القادر البيحاني، وعبد الرحيم الطحان، وغيرهم، ولو نستطيع لقلنا عنهم (المشركون في زماننا) وقد قيل!!

ومن المؤسف أنه لا يوقف تكفيرنا وتبديعنا للآخرين واعتدائنا عليهم إلا أمران اثنان: السلطة أو العجز، ولولاهما لما أبقينا أحداً إلا وصمناه بكفر أو بدعة مكفرة! وطالبنا باستتابته ثم من السهولة قتله! لأن الناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

مع أن الواجب على العلماء وطلبة العلم، أن يكونوا أول الناس معرفة بحقوق المسلم، وأن يراعوا وصية النبي ﷺ في حجة الوداع (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) فهي آخر وصية بثها النبي ﷺ في أكثر من مئة ألف من المسلمين، والعلماء يعرفونها بألفاظها وأسانيدها، أكثر من الحكام، فمن التفريط والغش للدين ألا يوقف العلماء عن انتهاك هذه الوصية الكبرى إلا الحكام[2].

---

(١) أقول (تكفيرهم وتبديعهم) لأن بعض الوهابية يكفر، وبعضهم يقتصر على التبديع، والنتيجة واحدة لأن المبتدع عندهم من أهل النار ، من الفرق الهالكة! والمبتدع عندهم يستحق القتل بعد الاستتابة، والبدعة عندهم واسعة جداً حتى أنها تأتي على كل لطف ورحمة بالمسلمين!.

(٢) وحكام المسلمين كثير منهم لا يراعي الدماء المعصومة، لكنهم بالتأكيد أصبحوا أخف شراهة ودعوة للدماء من كثير من العلماء وطلبة العلم، لأن دساتير الدول وقوانينها فيها تأكيد على حقوق الإنسان أكثر من كتب العقائد التي يدرسها ويدرّسها كثير من العلماء.

الملحوظة الرابعة عشرة:

قوله[1] ص١٢ -: (وما ذكرتَ لي أيها المشرك!! من القرآن أو كلام النبي (ﷺ) لا أعرف معناه...)!!.

أقول: يا ترى من هذا المشرك الذي يستدل على الشيخ وأتباعه بالقرآن والسنة؟! أي مشرك لطيف هذا؟!

الملحوظة الخامسة عشرة:

ويقول ص٢٣: (فإن أعداء الله (هكذا!) لهم اعترافات كثيرة يصدون بها الناس منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عليه السلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة...).

أقول: هذا يدل على أن الشيخ يرى تكفير ووجوب قتال هؤلاء الذين يقولون القول السابق، وأنه يعتبرهم مشركين شركاً أكبر؛ كشرك كفار قريش وهذا عين التكفير، وأكبر أحوالهم أن يكونوا مبتدعين فقط، والمبتدع لا يجوز تكفيره فضلاً عن قتله، وكل المبتدعين المقتولين عبر التاريخ إنما كانوا مقتولين لظروف سياسية بحتة؛ يدركها من درس التاريخ[2].

---

(١) يعلم هنا أحد أتباعه أن يقول الواحد منهم للمختلف معه هكذا (وما ذكرت لي أيها المشرك...!) وهو تعليم عام للتكفير ووصف المخالفين بالشرك! فكتاب كشف الشبهات أصلاً وضعه لتعليم الناس العاديين العقيدة وكيف يتخاطبون مع مخالفيهم من (المشركين)! الذين يستدلون بـ (القرآن والسنة) ويكونون داخل (الجزيرة العربية)! أي شرك هذا؟؟!.

(٢) توسعت في هذا في كتاب العقائد فلا يظن ظان أن خالد القسري والحجاج وأمثالهم ممن كانوا يحرقون الكعبة ويقتلون الصالحين أنهم قتلوا الناس حرصاً على الدين!!.

الملحوظة السادسة عشرة:

قوله ص٢٤: (فإنه إذا أقر -يعني المخالف لمنهج الشيخ - أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله!! وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ولكن أرادوا أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره (من صلاتهم وصلاحهم بخلاف الكفار) فاذكر له[1] أن الكفار منهم من يدعو الصالحين ومنهم من يدعو الأولياء...) أهـ.

أقول: الكفار لا يؤمنون ببعض الربوبية، ولا بالألوهية كلها، وهم يعبدون الأصنام ذاتها، ولم يقتصروا على الطلب (طلب الشفاعة فقط)، بل قولهم ببعض الربوبية قالوه انقطاعاً لا اعتقاداً، أو أنه قول بعضهم فقط، لأنه ثبت عن بعضهم على الأقل أنهم يقولون بالدهر ولا يؤمنون بالبعث.

أما المسلمون فإنهم لا يسجدون لأحد غير الله، ولا يعبدون إلا الله، وقد يجهل بعضهم أو يتأول بأن الصالحين من الأحياء والأموات، يجوز التوسل بهم وطلب شفاعتهم عند الله، وسؤال الله بجاههم، وأنهم إن دعوا لهم فإنهم ينفعونهم بإذن الله لا استقلالاً عن إرادة الله[2] وهذا يختلف كثيراً عن هؤلاء الكفار.

---

(١) يخاطب قارئ الكتاب من أتباعه، الذين سيتعلمون التكفير قطعاً إن كانوا مقلدين للشيخ، وهل يجرؤ أحد على مخالفته؟ في الوسط الوهابي السلفي؟ لا أظن أن أغلب قراء الكتاب مقلد.

(٢) حتى غلاة الصوفية الذين يجوزون أن الولي يحيي الموتى -مع بطلان هذا القول- لا يقولون بأنه الولي يفعل هذا استقلالاً عن الله!! وكذا غلاة الشيعة الذين يقولون بالولاية التكوينية للأئمة وأن ذرات الكون تخضع لهم لا يقولون بأن هذا يحدث استقلالاً عن إرادة الله، وإنما يزعم الغلاة من الصوفية والشيعة بأن الله منح الأولياء والأئمة القدرة على هذا بإذن الله مثلما منح بعض الأنبياء كعيسى عليه السلام القدرة على الخلق من الطين كهيئة الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكن بإذن الله ومثلما منح بعض الأولياء كصاحب سليمان القدرة أن يأتي بعرش بلقيس في لحظة كل هذا بإذن الله، فهذه الأقوال مع بطلانها لا يعيدونها إلا لقدرة الله وإذنه وتقديره ومنحه بعض الخصائص لعباده من أنبياء وأولياء ولهم في ذلك أقوال ومؤلفات، واستدلالات عجيبة تركوا فيها قطعي الأدلة لمظنونها مع تعسف في الاستدلال مثل عمل الوهابية في التكفير مع فارق في نسبة الخطأ.

والحاصل أن التشابه بين الكفار والمسلمين المعاصرين –إن سلمنا به - أبعد بكثير من التشابه بين الخوارج وأتباع الشيخ، فالتشابه بينهم من التكفير والتحليق واستحلال الدماء... الخ أكبر وأظهر.

وحجة الخوارج على علي رضي الله عنه هي قريبة من حجة الوهابية على مخالفيهم، فالخوارج قالوا بوجوب صرف الحكم كله لله (لا حكم إلا لله)!! وهي كلمة حق أريد بها باطل مثلما ظن الوهابية من قولهم (لا ذبح إلا لله ولا توسل إلا بالله ولا استغاثة إلا بالله.. الخ). فهذا حق من حيث الأصل لكن قد تكون هناك صور في التطبيق تخرج عن هذا الإطلاق؛ وأقل الأحوال أن تكون هناك ممارسات خاطئة للإطلاقات السابقة، يفعلها البعض بتأويل أو جهل، فهذه الممارسة لا يكفر صاحبها إلا بعد ارتفاع موانع التكفير وقيام الحجة.

ولا حجة تقوم مع جهل أو تأويل، مادام الجاهل والمتأول، يقر بأنه مسلم، ولا ينكر قطعياً أجمع عليه المسلمون كوجوب الصلاة وبر الوالدين وأداء الزكاة وصوم رمضان.... أو تحريم الظلم والكذب والغش وقتل النفس التي حرم الله ....الخ، بل صاحب الردة الفردية الصريحة لم يتفق العلماء على وجوب قتله والحديث فيه ضعيف وتطبيق النبي ﷺ على خلافه– وقد سبق التفصيل - فكيف بمتابعة الشيخ في تلك المضائق التي خطؤه فيها أكثر من صوابه، ولا يكاد يتفق معه عالم من العلماء السابقين واللاحقين إلا من يقلده، ومن أظهر ذلك تقسيم الجزيرة العربية إلى ديار كفر وديار إسلام لوجود بدع هنا وهناك، فهذا لم يسبقه أحد إليه لا أحمد بن حنبل ولا ابن تيمية ولا غيرهما من المتوسعين في التكفير، وقد كانت البدع في عهدهم كالبدع في عهد الشيخ، كما أنه لا ينقصهم التوسع في تكفير الأفعال والأقوال بل والأعيان لكنهم لم يقسموا العالم الإسلامي إلى ديار كفر وديار إسلام، فهذه من انفرادات الوهابية الكبرى التي لم يسبقهم إليها إلا الأزارقة من الخوارج[1].

---

(١) الأزارقة نسبة لنافع بن الأزرق الحنفي، وهم أشد الخوارج، انفردوا عن الخوارج بأمور منها: البراءة من القعدة، والامتحان لمن قصد عسكر المخالفين، وتكفير من لم يهاجر إليهم، وأن من=

الملحوظة السابعة عشرة:

قال ص٢٦: (فإن قال -يعني المخالف للشيخ - الكفار يريدون منهم (يعني يريدون من الأصنام) وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم فالجواب: أن هذا قول الكفار سواءً بسواء!!)! اهـ.

أقول: الذي يقول الكلام السابق لا يكفر؛ لأنه متأول أو جاهل ـ والشيخ يكفره ـ وكونه يتفق مع الكفار في جزئية يسيرة لا يعني مساواته بالكفار أو أن لهما الحكم نفسه[1].

= أقام في دار الكفر فهو كافر، (وهذه كلها في الوهابية) ولهم عقائد أخرى.. لكن من يراجع عقائد الخوارج يعلم أن أغلبهم فيهم اعتدال لا نجده في بعض الوهابية والسلفية، بل ولا في أكثر أهل السنة، كقولهم بأن الخلافة حق لكل من تتوفر فيه الشروط الأهلية للحاكم المسلم دون تخصيص بقريش، وتجويز بعض الخوارج -كأصحاب شبيب- لولاية المرأة وقضائها، وإجماعهم – إلا النجدات- على أن الله لا يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً (وهذا خلاف ما نشيعه عنهم باعتقاد البعض منهم)، وكانوا يعذرون بالجهل، وكانت النجدات منهم يعذرون بالجهل قائلين: (الدين أمران: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا هو الواجب وما سوى ذلك فالناس فيه معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة، .... ومن استحل شيئاً من طريق الاجتهاد مما لعله يحرم فمعذور.. ويرى الإباضية أن دار المخالفين دار إسلام إلا عسكر السلطان – وهذا أخف من قول الوهابية- وأجازوا شهادة مخالفيهم على أصحابهم).. الخ، فمثل هذه الأقوال (الخارجية) فيها اعتدال لا نجد بعضه عند السلفية فلماذا التشنيع عليهم وإلزامهم قول البعض منهم وتحميلهم أخطاءنا في التكفير واستحلال دماء المسلمين؟ (للاستزادة عن عقائد الخوارج وخاصة= =فيما نقلته عن الأزارقة انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٦٧) وقد تناقض في عرض بعض أقوالهم.

(١) علماً بأننا نأخذ أقوال هؤلاء من الشيخ نفسه وهو خصم لهم، فمؤلفات العلماء الذين ردوا عليه لا يقرون بمثل هذه النقولات لكننا نناقش تلك الأقوال على افتراض صحتها إلى قائليها.

بمعنى لو أقسم أحد بغير الله، فقد شارك الكفار في جزئية يسيرة، لكن لا يكفر بسببها، فالشيخ غفل عن مثل هذه الدقائق؛ فوقع في تكفير المسلمين، فتركيز الشيخ على آية ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾، التي فيها وصف خصلة واحدة فقط من خصال الكفار الأصليين، أو أنها حكاية عن انقطاعهم واعتذارهم الواهي، الذي لا يصاحبه صدق نية، وإغفاله لبقية الآيات في وصف عقائد الكفار الأخرى القطعية والكثيرة، فهذا فيه نقص كبير في استيفاء مواطن اختلاف الكفار عن المسلمين.

ثم طلب الشفاعة من النبيﷺ والصالحين مع اعتقاد أنهم جميعاً عبيد الله، وأنهم لا يعطون شيئاً إلا بإذن الله، هذا كله ليس كالسجود للأصنام، وإن كان خطأ أو بدعة صغرى أو كبرى، ولذلك يستطيع مخالف الشيخ أن يلزمه تكفير شارب الخمر، لأنه لا يشربها إلا وهو يحبها والمحبة عبادة، وصرف شيء من المحبة لغير الله شرك وهكذا..

وإن قلتم: نحن لا نعترض على محبة الصالحين وإنما نعترض على عبادتهم.

قيل لكم: هؤلاء لا يعبدونهم وأنتم تسمون توسلهم بالصالحين أو تبركهم بهم عبادة وهم لا يقرون لكم بأن هذه عبادة ولهم أدلة في ذلك -على ضعفها - لكنها تمنع من تكفيرهم فهذا هو التأويل الذي ذكر العلماء أنه يمنع من التكفير.

فإن قلتم: التوسل عبادة.

قالوا: ما دليلكم على ذلك؟

فإن قلتم: لم يفعله السلف؟

قالوا: قد فعله عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب.

فإن قلتم: عمر توسل بالحي لا بالميت.

قالوا: وهل تجوز عبادة الحي؟

إن قلتم: لا؟

قالوا: فلماذا تسمون (التوسل) عبادة؟! هذا دليل على أنكم تسمون الأشياء بغير اسمها.

فإن قلتم: التوسل بالميت عبادة بخلاف الحي.

قالوا لكم: ما دليلكم على التفريق؟

فإن قلتم: دليلنا فعل الصحابة فإنهم فعلوا هذا ولم يفعلوا ذلك.

قالوا لكم: ـ على التسليم لكم ـ فإنهم قد يتركون أمراً ولا يكون محرماً فضلاً عن كونه كفراً مخرجاً من الملة؟! ثم عندنا أدلة في توسل بعضهم بالنبيﷺ ميتاً، كما في حديث عثمان بن حنيف المشهور.

فإن قلتم: هذا عندنا ضعيف.

قالوا لكم: وأكثر الأحاديث التي تستدلون بها هي عندنا ضعيفة، بل هي ضعيفة عند التحقيق، مثل حديث تقريب الذباب وحديث شرك آدم وحواء، وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة الموجودة في كتبكم.

فإن قلتم: الأولى تجنب التوسل للشبهة والاختلاف.

قالوا لكم: أولى من ذلك تجنب تكفير المسلمين وتفضيل كفار قريش عليهم لأن الأصل المتيقن هو الإسلامَ لا الشرك، فلا نترك المتيقن للمظنون.

فإن قلتم: التشديد لا بد منه ليهتدي المسلمون لدين الله ويحذروا تلك البدع والخرافات.

قالوا لكم: والرد عليكم لا بد منه ليحذر طلاب العلم من الوقوع في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم...

فإن قلتم: تعالوا للتحاكم لكتاب الله وسنة رسولهﷺ وترك التقليد.

قالوا لكم: مرحباً وأهلاً فقد قلنا لكم هذا من زمن طويل وأنتم ترفضون، و تستعدون علينا السلطات، ولم تنتهوا عن تكفير الأبرياء حتى كفر بعضكم بعضاً، وتظالمتم فعرفتم عندئذ مقدار ظلمكم لنا في الماضي، و تعرفتم على (بعض) ما كنا نستدل به في براءتنا من الكفر، لأنكم ذكرتم أدلة في الرد على من يكفركم كنا نكررها في الرد على تكفيركم لنا، فاعتدالكم في الأزمنة الأخيرة للأسف كان لمصلحة أنفسكم و حمايتها لا حماية جانب الشريعة.

الملحوظة الثامنة عشرة:

قوله ص٣٣: (ولا يشفع –النبي ﷺ - في أحد إلا من بعد أن يأذن له الله فيه كما قال عز وجل ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾!!... ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد).أهـ .

أقول: على هذا يمكن أن يقال ما قاله بعض معارضي الشيخ من أنه بناء على هذا الكلام فلن يدخل الجنة في زمن الشيخ إلا أهل العيينة والدرعية! ففي كلام الشيخ السابق تكفير ضمني لكل من يرى التوسل بالصالحين أو طلب الشفاعة منهم، وهم جمهور من علماء المسلمين وعامتهم في ذلك الوقت وفي زماننا أيضاً.

وهنا أتذكر صدق كلمة قالها أحد معارضي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله عندما قال ما معناه: (النبيﷺ أخبر أنه سيأتي مفاخراً بقومه يوم القيامة وعلى كلام هذا ـ يقصد الشيخ محمد ـ سيأتي نبيناﷺ وليس معه إلا نفر من أهل العيينة)!! أهـ ذكر هذا عنه الدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف في كتابه (دعاوى المناوئين).

والدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف وفقه الله رد على الكلام السابق رداً عاماً، ولم يتنبه للوازم كلام الشيخ محمد هنا عندما حرَّم الشفاعة على غير أتباعه الذين سماهم (الموحدين) بحجة أن غير هؤلاء ليسوا مسلمين (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)! فالمسلمون في العالم الإسلامي –سوى أتباع الشيخ بنجد وملحقاتها - يكونون عند الشيخ قد ابتغوا غير دين الإسلام![1].

وهذا أمر في غاية التكفير والخطورة لأن العالم الإسلامي فيه هذه البدع والخرافات من زمن طويل، وفيه العلماء المتأولون والعوام الجهلة ولكن لا يبيح لنا أن نقول بكفرهم، فالذين أدركهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هم المسلمون أنفسهم

---

(١) سيأتي إثبات هذا موثقاً من فتاوى الشيخ وغيره من علماء الدعوة.

الـذين تباكيـنا علـيهم مـن هجمـات الصـليبيين في الشـام، وغـزو المغـول في المشـرق، واضـطهاد الفرنجة في الأنـدلس... أما على كـلام الشيخ رحمه الله فلا داعي للبكاء لأن هؤلاء مشـركون متبعون غير ديـن الإسـلام فلماذا البكاء؟! وهذا التكفير لم يكن يوجد عنـد الشيخ ابـن تيمية -مع أخطاء وقـع فيها - فقـد كـان ابن تيمية في زمن يشبه زمن الشيخ محمـد مـن انتشـار الجهـل عنـد العوام وضعف العلماء في دعوة الناس إلى التوحيد الصـافي؛ لكـن ضـعف هـؤلاء وجهـل هـؤلاء لا يبيح لـنا إلا وصـفهم بالتقصير والجهـل والإثـم ويكفـي، أمـا أن نطلـق عليهم الكفـر المخرج مـن الملة؛ فهـذا شـيء آخر تماماً، فالتكفير أمره عظيم وإخراج هذه الشعوب المسلمة من دين الله أمره أشد وأعظم.

بـل إن بقايا الخوارج أنفسهم في الأزمنة المتأخرة لا يكفرون العوام أو يستحلون دماءهم، كما فعل الشيخ رحمه الله وأتباعه -بفتاوى منه - في العلماء والعوام[1].

فسـامحه الله وغفـر لـه فقـد زرع خـيراً كـثيراً لكـن شابه شر مستطير بدافع الحماس، فأمـا الخير فقضـاؤه علـى كثير من البدع والخرافات لكنه بالغ حتى وصل للغلو المذموم، فزالت البدع وبقي التكفير!.

ويعـض الأخـوة يقـول: كيـف نـنقد مـنهج الشيخ وبفضله -بعد فضل الله - كان هذا الوطن الإسلامي الكبير؟!.

نقـول: هـذا لا شـك مـن المحاسـن الكبرى للشـيخ، وقـد ذكـرناها في المقدمة، ولن ينسـاها لـه المخلصـون من الـناس، فـربما لـولا دعوته وقتاله لمسلمي الجزيرة[2] لما توحدوا مـن الخليج إلى البحـر الأحمـر، ومـن جنـوب الشـام إلى الـيمن، لكـن (جمـال النتيجة لا

---

(١) بـل هذه كتب الإباضية ومنتدياتهم تنكر على الوهابية التكفير! فإن صح اتهامنا لهم بأنهم خوارج، فكـون الخوارج ينكرون علينا التكفير دليل على ثلاثة أمور: إما اعتدال الخوارج، وإما غلو الوهابية الفاحش، وإما كلاهما، إن فئة تنكر عليها الخوارج الغلو في التكفير لفئة مغالية حقاً، (فما أشد غلو من اتهمه الخوارج بالتكفير)!.

(٢) نعـم لا نـتابع الشـيخ ولا علمـاء الدعـوة علـى تكفـير سكان الجزيرة المخالفين لهم، فالجميع مسـلمون، وليسـوا كفـاراً ولا عبدة أصنام، لا من تأول في حب النبي ﷺ والصالحين ولا من تأول في التكفير والدماء.

يعني صحة المقدمات)، فالنتائج قد تكون جميلة مع بنائها على مقدمات ناقصة ـ وهذا يعرفه أهل المنطق وغيرهم ـ .

فثورة الخميني مثلاً كانت نتيجتها جميلة من إزالة العلمانية التغريبية من دولة إيران، لكن هذه النتيجة لا يعني عدم نقد الخميني ومغالاته، وكذلك لو قام أحد الخوارج وكوَّن دولة فإن حسن النتيجة لا يعني صحة المنطلقات.

ولنبين هذا بمثال أوضح فنقول: لو قام أحد الحكام بقتل السارق بدلاً من قطع يده، فلا بد أن تقل السرقة وعندئذٍ يأتي المثني على هذا الحاكم ليصف النتيجة الجميلة من قلة السرقة أو انعدامها...!! ولكن فعل الحاكم هنا كان خلاف النصوص الشرعية، ولا بد يوما ما أن يكون لفعله هذا آثار سلبية، لأن شريعة الله كاملة وليس فيها حكم شرعي إلا وهو وسط بين تطرفين.

وكذلك لو قام أحد الحكام بقطع يد كل من قطع إشارة المرور أو تجاوز السرعة القانونية!! فلا بد أن ينضبط المرور وتنعدم الوفيات! في درجة تعجب منها الدول المتحضرة! ويأتي من يثني على نتائج هذا القرار!! وأنه كان قراراً حكيماً وأن الوفيات انخفضت من ستة آلاف في السنة إلى (١٥) وفاة فقط!! وقل عدد الجرحى والمعاقين من مائة ألف في السنة إلى ٨٦ حالة فقط!!

لكن ما رأيكم في شرعية هذا القرار شرعاً وقانوناً؟ وماذا سيسببه على المدى الطويل؟! الإجابة معروفة للعقلاء من علماء الشريعة وعلماء التاريخ وعلماء الاجتماع والقانون.

وكذلك قتال المسلمين لا يجوز لمجرد وجود بدع وخرافات، لأن القتال لا يجوز إلا بنص شرعي (ردة ظاهرة، أو قطع طريق أو بغي)، أما بلا نص فارتكابه أسوأ من تلك البدع والخرافات.

والشيخ محمد رحمه الله ربما لو لم يقاتل المسلمين، واكتفى بمراسلة العلماء وحثهم على الدعوة إلى الله؛ ربما لو فعل هذا لجاءت النتيجة نفسها ولو متأخرة، ولتجنبنا التكفير وما ترتب عليه من ذلك الزمن إلى عصرنا هذا الذي يعتمد فيه المكفرون على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة في تكفير المسلمين.

وإن كان سيد قطب رحمه الله قد بالغنا في نقده لأننا وجدنا في (متشابه) كلامه ما يوحي بالتكفير؛ فإن الشيخ محمد قد وجدنا التكفير في (صريح) كلامه لا متشابهه[1]! فجعلنا سيد قطب كبش فداء لأنه ليس له أنصار عندنا وللشيخ أنصار! وهذا ليس من أخلاق طالب العلم الذي يقول الحق ولو على نفسه، ولا يحمل المسئولية الأبرياء، ولا يتفق هذا أيضاً مع مروءات الرجال الذين يأبون أن يضحوا بالضعفاء حماية للأقوياء.

والخلاصة هنا أن هذا الغلو في التكفير يدعونا لنقد عبارات الشيخ مع الاعتراف بفضله علينا، لكن الضرر في كتبه وإن رآه البعض يسيراً فإنه في الوقت نفسه خطير جداً نظراً للهالة العظيمة الموجودة حول الشيخ رحمه الله، والمشكلة الكبرى عندنا أن فتاوانا اليوم في التكفير تخالف الشيخ تماماً، لكننا نجبر الناس على الإيمان بفتاوى الشيخ التي تحمل غلواً في التكفير، والإيمان بفتاوانا التي كان يراها الشيخ (إرجائية إن لم يرها كفراً) والتي تتفق مع فتاوى خصوم الشيخ في الرد على التكفير!! وهذا جمع بين المتناقضات[2].

ولو أننا قلنا: إن الشيخ اجتهد في التكفير فأخطأ لزال كل هذا التناقض، ولم ينقص دين ولا دنيا ولا مكانة، فالدين لا يهتز لتخطئة أمثال عمر وعلي رضي الله عنهما، فكيف يهتز لتخطئة ابن تيمية أو ابن القيم أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟!.

وبيان أخطاء الشيخ محمد في هذا الجانب (جانب التكفير) مفيد وضروري، لأن التيار السلفي عامة والمجتمع السعودي بشكل خاص علماءه وطلاب العلم فيه تربوا على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة الذين كانوا يميلون لتكفير المسلمين، ولابد أن يتأثر كثير منهم بهذا الجانب، بل امتد التأثير إلى كثير من السنة في الخارج، حسب نشاطنا في الدعوة إلى الله!.

---

(١) وإذا لم يكن قوله بأن شيوخه وشيوخهم وشيوخهم لا يعرفون دين الإسلام مع تفضيلهم لدين عمرو بن لحي على دين الإسلام، وأن أكثر الناس في عصره بنجد والحجاز على إنكار البعث...إذا لم يكن هذا الكلام ونحوه من صريح التكفير فما أدري ما هو التكفير إذن؟

(٢) أقصد أن فتاوى العلماء المعاصرين ترد على شبه التكفير بحجج خصوم الشيخ نفسها التي كانوا يردون بها على الشيخ، ومن أوضح ذلك مسألة الحاكمية.

ومن قرأ كتاب (الدرر السنية) عرف هذا تماماً، بل في هذا الكتاب مجلدان كبيران بعنوان (الجهاد)، كلهما في جهاد المسلمين، وليس فيه حرف واحد في جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، مع أن بعض بلاد المسلمين كان فيها كفار أصليون محتلون...

وتبادل التكفير حصل بين علماء الدعوة أنفسهم عندما اختلف أولاد الأمير فيصل بن تركي (عبد الله وسعود) رحمهم الله، فكان مع كل أمير علماء يكفرون الطائفة الأخرى.

فهذه (الفوضى التكفيرية) هي نتيجة طبيعية وحتمية من نتائج منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي توسع في التكفير؛ حتى وجدت كل طائفة في كلامه ما يؤيد وجهة نظرها.

بل حركة الإخوان في نجد وحركة الحرم وأصحاب التفجير في العليا والمحيا والحمراء والوشم ...الخ، الذين يصمهم الناس بالتكفير، ليسوا غرباء على الثقافة المحلية بل لو قلنا أنهم نتيجة لمنهج الشيخ في التكفير لما أبعدنا ومن شاء فليراجع مصادر هؤلاء وسيعرف هذا تماماً[1].

صحيح أن الشيخ له فضله واجتهاده وعذره وحسناته على هذا الوطن، وهذا من أرجى ما نرجو له، لكن الحقيقة أن تكفير المسلمين واضح في كتبه رحمه الله، فلو رددنا هذا الخطأ واعترفنا به ما الذي يضيرنا؟! رجل من المصلحين اجتهد فأخطأ فلماذا يبقى المجتمع السعودي متحملاً نتائج هذا الخطأ الخطير، ولماذا كل المحاربة لمن رد خطأ مصلح أو عالم من العلماء أو قام بمراجعة فكرية صادقة لمنهجه؟!

---

(١)مع عدم إغفالنا للسبب الخارجي من التسلط الأمريكي خاصة على المسلمين، ودعمهم للكيان الصهيوني سياسياً عسكرياً واقتصادياً، فهذا أدى إلى سخط المسلمين واستلهام التكفير لمن بقيت علاقاته مع الولايات المتحدة سليمة وكأن لم يسيئوا إلى المسلمين خاصة في فلسطين والعراق وقبل ذلك في السودان، فالسبب الخارجي يشجع على معاداة الغرب كله وأمريكا خاصة، وإغفال نقد التكفير ومنابعه الأساسية يشجع على ظلم المسلمين لبعضهم وتفككهم وتنازعهم وتمزقهم النفسي والاجتماعي.

الملحوظة التاسعة عشرة:

قول الشيخ ص٣٦: (فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فهذا يكذبه القرآن..) أهـ.

أقول: عبادة الأصنام هي السجود لها والصلاة لها وطلب الحوائج منها مع الكفر بالنبوات.. وأما المسلم فلا يصلي لولي ولا نبي ويقر بأركان الإسلام وأركان الإيمان ويؤمن بالبعث و الحساب والجنة والنار.. الخ.

ثم في كلام الشيخ تعميم عجيب عندما قال ص٣٧: (الشرك هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها..) وذكر أنهم (يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى! ويدفع عنا ببركته..) اهـ، وأنا أشك في وجود مثل هذه الصورة التي نقلها الشيخ، فهذا إن وجد فهو نادر جداً، أما طلب البركة من تربة قبور الصالحين ونحوها فهو إلى اليوم وهو بدعة وليس كفراً[1] فضلاً عن الشرك الأكبر المخرج من الملة لكل أهل تلك الجهة، بل كان الذهبي وبعض العلماء يجوزه وكانوا يقولون (قبر فلان ترياق مجرب) فهل هم كفار؟ وما زال بعض العوام يفعلون هذا في مناطق مختلفة ولكن هذا لا يعني بالضرورة كفر الفاعل فكيف بكفر كل الناس الموجودين في تلك الجهات بحجة أنهم لم ينكروا أو شكوا في كفر الفاعل أو لم يهاجروا من بلاد الكفر..الخ؟ فهذا أمر آخر مختلف تماماً.

بل لا تخلو منطقة ولا دولة إلى اليوم من وجود أفراد يعتقدون بركة بعض القبور، أو يعتقدون في السحرة والكهان اعتقادات باطلة أو كفرية، لكن هذا لا يعني تكفير الناس الذين لا يفعلون هذا بحجة أن من شك في كفر الكافر فهو كافر.. خاصة وأن هذا الجنس من الناس هم السواد الأعظم من المسلمين على مر العصور، مع أن الشيخ

---

(١) بل الذهبي يرى جواز ذلك.

محمد رحمه الله كان يكفر كل أهل المنطقة التي يوجد بها مثل هذه الممارسات، بحجة أن من لم ينكر فهو كالفاعل.

ويظهر من كلام الشيخ محمد أنه إن علم بحادثة في الحجاز أو عسير أو سدير عممها على أهل تلك الجهة كلها فيكفرهم ويقاتلهم، فهو يعتبر وجود القبر الذي يتبرك به البعض كوجود الأصنام تماماً! وعلى هذا فديارهم ديار شرك وإن كانوا (يرفعون الأذان ويصلون ويصومون ويقيمون شعائر الدين ويذكرون الله)!، فهذه كلها عند الشيخ لا قيمة لها لأنها صادرة من مشركين! (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً)!!.

وهذا التوسع في التكفير وتعميمه على الجهات غير الخاضعة للشيخ حجة من يرى أن الحركة سياسية بالدرجة الأولى؛ لأنه لا يعقل عند هؤلاء أن يظن الشيخ أن يكون أهل الحجاز على إجازة الذبح لأصحاب القبور أو دعاء أصحابها.. فهذا لن يكون إلا في أفراد، وهذه تواريخ الحجاز والحرمين، وتراجم علمائهم وأعيانهم، ليس فيهم من يقول هذا القول الذي نقله الشيخ، لا قبل الشيخ ولا في عصره ولا بعده، فمن شك في تاريخ نجد لن يشك في تاريخ الحجاز.

بل إن علمنا بأن ما نقله الشيخ عن الحجاز كان مخالفاً للحقيقة التاريخية التي تشهد لها كل المؤلفات التي صنفت عن الحجاز، نستدل بهذا على أن ما نقله الوهابية عن نجد كان مغايراً للحقيقة أيضاً، والعقائديون على مر التاريخ يتسرون التاريخ ويحصرونه في مسائل، ويقيمون تفسيرهم للتاريخ والأحداث والخصومات والقتال على قراءة ناقصة للتاريخ، سواء في الماضي أو في تواريخ عصورهم، فالعقائديون من كل طائفة يلجئون لتحريف الواقع التاريخي بما يخدم الأيدلوجية التي يدعون إليها[1].

---

(١) ومن ذلك تفسيرهم لأسباب الفتنة بإرجاعها إلى شخصية أسطورية الدور اسمها عبد الله بن سبأ (مع بطلان هذا بإجماع المؤرخين باستثناء واضع هذه الأسطورة وهو سيف بن عمر)، وتفسير الحنابلة لنشوء الفرق الإسلامية الكلامية كالمعتزلة بأن ذلك كان بسبب ترجمة كتب الفلسفة اليونانية، (مع بطلان هذا وظهور المعتزلة قبل الترجمة التي كانت في عهد المأمون)، ومن هذه ما ينقله الوهابية عن نجد والحجاز وغيرها من البلدان الإسلامية بأنها عادت جاهلية تعبد الأصنام، وأن شركها فاق شرك كفار قريش...الخ، فهذه التلوينات التاريخية يقولها العقائديون لأناس لا يعرفون التاريخ فيصدقونهم بأن هذا هو الواقع ويتابعونهم في بقية الطريق، وقد اعترف =

أما التبرك بالصالحين أو تربة قبورهم فهذه قد تكون عند كثير من العوام وعند بعض العلماء المتأولين ومنهم علماء كبار نتفاخر بسلفيتهم كالذهبي مثلاً.

فلو كان الذهبي معاصراً للشيخ هل نرى وجوب قتله وتكفيره؟! خاصة وأنه كان يرى التبرك بالصالحين وتربة قبورهم ؟!

إذا قلتم: نعم؛ أطردتم وأصبحت خصومتكم مع غيرنا.

وإن قلتم: لا، وافقتمونا بأن هذا الأمر لا يجوز فيه التكفير ولا القتال، نعم يمكن التخطئة والإنكار بلا تكفير ولا سيف.

الملاحظة العشرون:

قوله ص٣٩: (ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب).أهـ .

أقول: هذا يتضمن تكفير المخالفين له في الرأي الذين لا تصح فيهم هذه التهمة أبداً، فليس هناك مسلم على وجه الأرض يقول هذا القول وليس هناك مسلم يقرأ هذه الآية من كلام الكفار ثم يقول بمثل قولهم.

الملحوظة الحادية والعشرون:

ويقول ص٣٩: (فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فأعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين) أهـ.

أقول: وهذا تكفير صريح للمسلمين في زمانه إلا من كان على منهجه لأنه لا يعرف كلمة (اعتقاد) ولا (كتب الاعتقاد) إلا الصفوة من علماء وطلبة علم ذلك الزمان، فإذا كان هؤلاء أشد شركاً من كفار قريش فكيف ببقية المسلمين؟!

=متأخروا الوهابية بأن نجداً لم تكن أرض شرك قبل الدعوة، وترجموا لعلماء نجد، وعلماء الحجاز وحكموا على أهل نجد والحجاز بالإسلام، ويمكن مراجعة هذا في بداية كتاب الشيخ البسام (علماء نجد خلال ثمانية قرون)، بل عنوان الكتاب كاف، فالوهابية لم تظهر إلا قبل أقل من ثلاثة قرون، من منتصف القرن الثاني عشر الهجري.

الملحوظة الثانية والعشرون:

ويقول ص٤٣ : (الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء).

أقول: هذا تكفير صريح.

الملحوظة الثالثة والعشرون:

يقول ص٤٣ : (اعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ بسمعك لجوابها وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك)؟!

فيجيب الشيخ على هذه الحجة قائلاً (فالجواب أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر! لم يدخل في الإسلام وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه! كمن أقر التوحيد وجحد وجوب الصلاة....ـ (ثم ذكر صوراً من هذا) ـ وواصل قائلاً: (فإن كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فهو الكافر حقاً وأنه يستحق ما ذكر زالت هذه الشبهة)أهـ.

أقول: كلام الشيخ هنا عجيب غريب جداً! فهناك فرق كبير جداً بين المنكر لشيء مما جاء به الرسول متعمداً مستهيناً به منكراً له مع اعتقاده أن النبي قد قاله، ومن ترك بعض ما جاء به الرسول ﷺ متأولاً أو جاهلاً هذا أو ظاناً أنه منسوخ أو مخصص أو مقيد..الخ هذا أمر.

الأمر الثاني: لم ينكر هؤلاء شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة كالأمثلة التي ضربها الشيخ من ترك الصلاة أو ترك الزكاة أو الحج أو الإيمان ببعض القرآن والكفر ببعض..الخ.

الأمر الثالث: لو رجع الشيخ للكتب التي تناقش مسائل اختلاف العلماء ولعل أشهرها كتاب (رفع الملام) لابن تيمية رحمه الله لعرف عذر المخالفين فقد لا يثبت عندهم أمر ما أو نهي ما، وعلى هذا فلا يجوز له والحالة هذه أن يقول: هم ينكرون ما جاء به الرسولﷺ؟ لأنهم متأولون وليسوا منكرين، وهناك فرق كبير بين الإنكار المبني على المكابرة وبين التأويل العارض من دليل وشبهة، أو تركهم العمل بدليل يرون ضعفه، فهذا لا يعني أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض! أو آمنوا ببعض ما جاء به الرسول ﷺ ورفضوا بعضاً.

وكذلك لم يراع الشيخ الجهل فالجهل بالشيء يمنع من إطلاق الكفر على الجاهل.

وعلى منهج الشيخ يمكن للعلماء المختلفين أن يكفر بعضهم بعضاً بدعوى كل عالم أن الآخر أنكر شيئاً مما جاء به الرسولﷺ! وأنه بهذا كمن كذّب الرسولﷺ جملة! وهكذا... بينما الصواب غير هذا فالطرف الآخر لا يقر لك بأنه ينكر شيئاً مما جاء به الرسولﷺ، وإنما يقول لك: هذا لم يثبت عندي أو يقول: إنما معناه كذا أو يعارضه كذا... الخ[1].

وكلام الشيخ السابق يدل على أنه لم يحرر مسألة (الأسماء والأحكام) تحريراً يحمي التطبيق، ولم يحرر الموانع (موانع التكفير) كالجهل والتأويل والاضطرار... ولا يعترف إلا بالمكره، فعدم تحرير هذه المسائل والموانع لا ريب أنه يوقع المتكلم في التكفير بكل سهولة[2].

---

(١) كإنكار ابن أبي ذئب على الإمام مالك في رد حديث (المتبايعان بالخيار) قال: يستتاب وإلا ضربت عنقه؟! بحجة أنه رد الحديث أو ترك شيئاً مما أتى به الرسول ﷺ وهذا ضيق أفق من ابن أبي ذئب رحمه الله لأن الإمام مالك لن يترك الحديث إلا لعلة يراها أو نسخ أو نحوه، رحم الله الاثنين.

(٢) يمكن مراجعة ما كتبه الشيخ ابن باز والعلامة الألباني في موضوع التكفير، التي طبعت بعد حرب تحرير الكويت، فقد انقلب المنهج السلفي ضد منهج الشيخ محمد، ولا يعيب هذا الاعتدال السلفي الأخير إلا أمران: الأول: كونه جاء بعد حرب الخليج الثانية فكأنه استجابة للحكومات، والثاني: أنه اقتصر على بيان المنهج مع بقاء الثناء على كتب العقائد التكفيرية ودون مراجعة للمنهج السلفي عامة والوهابي خاصة ومنهما بقيت شرعية التكفير في العالم الإسلامي.

ثم قاعدته تنطبق على كل طائفة من طوائف المسلمين وقد يرد عليكم مخالفوكم ويقولون: أول هؤلاء الكفار أنتم لا غيركم، فأنتم تُكَفِّرون ببعض الكتاب، كعصمة دم المسلم وعدم تكفيره فأنتم عند هؤلاء تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض!! وهكذا... ويستدلون على هذا بالواقع فيقولون: هذا التكفير والقتال منكم ما زلنا نشاهد آثاره في هذه الأيام في بلدنا وفي كثير من الأقطار العربية.

الملحوظة الرابعة والعشرون:

قوله ص٤٨: ـ وكرر نحو هذا ص٥٧ـ (هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ويصلون ويؤذنون فإن قالوا: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السموات والأرض...)!! أهـ.

أقول: هذا الكلام فيه عدة أوهام عجيبة:

الأول: بنو حنيفة ارتدوا مطلقاً وآمنوا برجل زعموا أنه نبي وتركوا أوامر النبي ﷺ لأوامره عامدين.

وهؤلاء يختلفون عن أناس لا يحبون الصالحين إلا لمحبة هؤلاء الصالحين للنبي ﷺ، أو هكذا يظنون، ولا يرفعون أحداً من الصالحين فوق رتبة النبي، ولا يوصلونه لهذا فضلاً عن جعل أحد الصالحين في رتبة الله عز وجل، فهذا لم يقل به هؤلاء الناس مطلقاً ولم يقل به مسلم عاقل[1] على مر التاريخ.

والشيخ يلزم بأشياء لا تلزم، وعلى منهجه يمكن تكفير من بحث عن رزقه عند فلان، أو حلف بالنبي ﷺ، أو حلف بالكعبة، أو غلا في أحد من الصالحين أو غيرهم وهذا خطأ بلا شك.

---

(١) تحرزاً من بعض غلاة الشيعة وبعض غلاة الصوفية.

بل يمكن على هذا المنهج أن نكفر المغالين في الشيخ الذين لا يخطئونه ولا يقبلون نقده؛ الذين يحتجون بأنه أعلم بالشرع وقد يردون حديثاً صحيحاً أو آية كريمة..

وعلى هذا تأتي وتقول: هؤلاء رفعوا مقام الشيخ محمد إلى مقام النبوة أو الربوبية وعلى هذا فهم كفار مشركون... الخ.

فهذا منهج خاطئ والمسائل العلمية لا تؤخذ بهذا التخاصم، بل لها طرق معروفة عند المنصفين من عقلاء المسلمين والكفار.

الملحوظة الخامسة والعشرون:

يقول ص٤٩ وكرر نحو هذا ص٥٨: (ويقال أيضاً الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار كلهم يدّعون الإسلام وهم من أصحاب علي وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما؟ فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم)؟!

أقول: الذين حرقهم علي ـ إن صح التحريق ابتداء[1] ـ هم مرتدون لا يدعون الإسلام كما ذكر الشيخ، ولم يصح ما اشتهر في كتب العقائد من أنهم كانوا يؤلهون

---

(١) قصة تحريقهم أحياء انفرد بها عكرمة مولى ابن عباس ولم يشهد القصة وإنما ذكر أن الخبر بلغ سيده ابن عباس بلاغاً فقال لو كنت أنا لقتلتهم لأن النبي ﷺ يقول: (من بدل دينه فاقتلوه) والحديث في البخاري من طريقين عن عكرمة ولم يخرجه مسلم، وقد رواه عكرمة بلاغاً ولم يكن بالكوفة وإنما كان بالبصرة مع مولاه ابن عباس ولعل الخبر وصلهم مشوهاً، أما روايات شهود العيان فذكرت أن القوم مرتدون وأن علياً قتلهم ولم يحرقهم ثم بعد قتلهم خدد لهم أخاديد وألقاهم فيها ودخن عليهم زيادة في التنكيل والترهيب من عملهم لأنهم لبثوا يأخذون عطاء المسلمين وهم مرتدون فترة من الزمن، ولعل هذا التدخين عليهم هو الذي أوهم بعض المشاهدين أنه أحرقهم وإلا فالإمام علي نفسه من أحرص الناس ألا يعذب بالنار خاصة وأنه من رواة حديث (لا يعذب بالنار إلا رب النار) ولم يصح أن صحابياً حرق أحياء إلا ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من تحريقه المرتد الفجاءة السلمي ـ علماً بأن الشيخ محمد يزعم أن الفجاءة هذا كان قائماً =

علياً إنما صح في البخاري أنهم مرتدون أو زنادقة، (اللفظان وردا في البخاري)، وإن صحت الرواية التي فيها أنهم اعتقدوا في علي الألوهية، فالحجة على الشيخ أعظم لأنهم بهذا لا يدعون الإسلام -كما ذكر الشيخ - ، وإنما جعلوا علياً إلهاً وهذا كفر بإجماع المسلمين وبالنصوص الشرعية.

ثم نرى الشيخ اختار أنهم (اعتقدوا في علي مثل اعتقاد الناس في شمسان..)!! وهذا لم يرد مطلقاً بمعنى لم يرد في روايات الذين قيل إن الإمام علي حرقهم أنهم (يغلون فيه فقط ذلك الغلو المقترن بالإقرار بأركان الإسلام)!! وإنما تركوا الإسلام كله، فهل يريد الشيخ أن يوهمنا أن هؤلاء الذين قتلهم الإمام علي كهؤلاء الصوفية والعلماء ـ من الحنابلة ومن غيرهم ـ الذين يخلطون عباداتهم بنوع من الغلو والتوسل بالصالحين وما إلى ذلك؟!.

الملحوظة السادسة والعشرون:

أيضاً قوله ص٥٠ عن الفاطميين (بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس.. فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء

=بأركان الإسلام!!- وكان الفجاءة قد قام بأعمال قبيحة في الردة، وحرق خالد بن الوليد في الردة لكن خالداً رضي الله عنه ليس من أصحاب الصحبة الشرعية وهو صاحب مجازفات تبرأ من بعضها الرسول ﷺ في حياته كما في قصة بني جذيمة، ولا يعد خالد من المجتهدين، إنما هو صاحب سيف وترس وليس صاحب علم وفقه رضي الله عنه وسامحه، وقد توسعت في ذكر طرق أحاديث وروايات التحريق في الجزء الأول من (النقض الكبير) الذي هو رد على منهاج السنة لابن تيمية رحمه الله، وأعد القارئ أنه سيكون نقضاً كبيراً كاسمه، حافلا ممتعاً، مع اعتدال وإنصاف إن شاء الله .. وأنا متفائل بأن المستقبل هو لهذا الوضوح والبحث عن المعرفة الذي فيه الإنصاف للمردود عليهم، وفيه رفع الظلم عن المظلومين الذين ظلمتهم كتب العقائد المغالية المختلطة بالآراء الخارجية والناصبية.

على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين).أهـ .

أقول: وهذا أيضاً غير صحيح فالحرب بين الأيوبيين والفاطميين حرب سياسية بحتة لا دخل للدين بها.

وكانت البدع يومها في كل مكان في دولة الأيوبيين، والفاطميين، وفي دولة بني العباس في العراق .... الخ، كان الوضع في العالم الإسلامي يومها يشبه وضع العالم الإسلامي في عهد الشيخ محمد تماماً!.

وجاء صلاح الدين مدداً للفاطميين من آل زنكي ثم استولى، ولا بد أن يستخدم الفاطميون والأيوبيون الدين سلاحاً في المعركة كما يفعل حكام العرب اليوم فالأمر ليس فيه غرابة، لابد أن تظهر كل دولة أن حربها للآخرين دينية وليست سياسية حتى تستجيش معها الغوغاء، وقد بدأ استخدام الدين لخدمة السياسة من أيام الدولة الأموية، من عهد معاوية تحديداً.

أما الفاطميون أو العبيديون ـ لا تهمني التسمية ـ فلن يعدموا مدافعين عنهم وناشرين لفضائلهم، بل أسوأ الفاطميين وهو الحاكم بأمر الله الذي اتهم بالزندقة والكفر ومع ذلك فقد دافع عنه بعض العلماء والمؤرخين.

الملحوظة السابعة والعشرون:

وقوله ص٥١: عن (باب حكم المرتد) في كتب العلماء بأنهم ذكروا في ذلك أنواعاً كثيرة (كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو يذكرها على وجه المزاح..)أهـ.

أقول: ليس كل ما ذكره هؤلاء يكون صحيحاً هذا أمر، فقد ذكروا أشياء كثيرة بعضها ردة بالإجماع، وبعضها مختلف فيه، وبعضها ليس ردة عند الأكثر، ولم يتفقوا

في ذكر تلك المسائل، كما أن المسائل التي ذكروها تختلف بحسب المسألة، وبحسب القائل من جهل أو تأويل أو إكراه أو اضطرار..الخ.

الأمر الثاني: أن العلماء في عهد الشيخ يعرفون الأبواب الفقهية التي فيها حكم المرتد، ويدرسونها ويدرِّسونها، في الحرمين والحجاز، وأشيقر وشقراء والرياض، والشام واليمن ومصر والعراق، ....الخ، ولم يفتوا بهذه الاستباحة الجماعية للدماء والأموال؛ الذي يفتي به الشيخ هنا، وإنما يتم الحكم على الشخص بمفرده بعد قيام الحجة عليه.

الأمر الثالث: أن الفقهاء عندما يحتجون على الشيخ بشيء مما ذكره الفقهاء في كتبهم يسارع إلى اتهامهم باتخاذ هؤلاء الفقهاء أرباباً من دون الله، وأن هذا عين الشرك!!

أما الشيخ فإن احتاج لتلك الكتب نقل منها ما يراه يشهد لقوله — مع أنه ليس فيها هذا - وإن احتج بها المخالفون له فاجأهم بقوله أنها (عين الشرك -كما سبق وكما سيأتي -) وأنهم (اتخذوا العلماء أرباباً من دون الله)! ثم لا يكتفي بالحكم على مرتكب ما يراه مكفراً وإنما إن علم عدة حالات معدودة في منطقة ما، ألزم أهلها كلهم الردة واستحل دماءهم وأموالهم، بحجة أن تلك المنطقة بين ساكت ومرتد! فالمرتكب مرتد والساكت مرتد! وهذا يختلف تماماً عما ذكره الفقهاء تحت باب (حكم المرتد)، فإنهم لا يحكمون على المجموع بفعل البعض، ولا يتوسعون في حكم الردة كما يتوسع، ولا يقولون بالردة إلا في أمور واضحة في الغالب، ولا يقسمون بلاد المسلمين إلى بلاد شرك وبلاد إسلام، نعم بعض الفقهاء فيه غلو ولا تخلو من الأخطاء في كل الأبواب، ولكن هذه الكتب الفقهية فيها الاعتدال أكثر من مواطن الزلل، بعكس كتب العقائد، ويجب أن تراجع الكتب كلها عقدية وفقهية وحديثية، وأن تستمر عملية المراجعة والتنقيح والتخطئة والتصويب، فالعلم لا يقف عند مرحلة معينة.

فالحكم على القول أو الفعل بأنه ردة لا يعني الحكم على صاحب الفعل لاحتمال الجهل أو التأويل. فكيف بالحكم على منطقة كاملة فضلاً عن معظم العالم الإسلامي بفعل أفراد جهلة أو متأولين.

الملحوظة الثامنة والعشرون:

ثم يقول الشيخ ص٥٢، ٥١ (الذين قال الله فيهم: (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم..) أما سمعتَ أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون؟)أهـ.

أقول: أولاً: هؤلاء منافقون.

ثانياً: لم يستحل النبيﷺ دماءهم ولا أموالهم ولم يقتلهم بل نهى عن ذلك؛ فهذا يخالف فعل الشيخ مع من حكم عليهم بالردة من المسلمين لا من المنافقين.

الملحوظة التاسعة والعشرون:

أيضاً قوله ص٥٢: (وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ .... ﴾ الآية.

يقول الشيخ -:

(فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح! فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق)أهـ.

أقول:

أولاً: هم زعموا أنهم قالوها على سبيل المزح (إنما كنا نخوض ونلعب) لكن الواقع غير ذلك ، وأنهم يستهزئون بالله وملائكته وكتبه ورسله – كما جاء في أصدق مصدر تاريخي - ومن الرسل نبينا محمد ﷺ وحتى لو اقتصر استهزاؤهم على الاستهزاء بالنبي فقط فالاستهزاء بهﷺ استهزاء بالشريعة نفسها فهذا كفر وردة.

ثانياً: ثم لماذا يصدقهم الشيخ هنا؟! لماذا يصدقهم عندما زعموا أنهم إنما فعلوا ذلك على سبيل المزح ؟! سبحان الله يكذبهم الله عز وجل في كتابه الكريم ويسميهم مستهزئين بالله وبآياته وبرسله، ورسول الله ﷺ يكذبهم في ذلك، ولا يقبل عذرهم؛ لأنه جاءه الخبر من الله بأنهم كاذبون في اعتذارهم بالمزح واللعب ، ، ثم يأتي الشيخ رحمه الله فيقبل قولهم الذي كذبهم الله فيه ورسوله، ويقر بأنهم قالوها على سبيل المزح! واستدل بهذا أن الاستهزاء مزحاً يكفر صاحبه! فأصبح قولهم صادقاً عند الشيخ وأصبح كلام الله عز وجل ورسوله غير معتبر في تكذيبهم، فانظر كيف أصبح كذب المنافقين حجة في تكفير المسلمين!

الملحوظة الثلاثون:

قوله ص٥٣: (وقول ناس من الصحابة (اجعل لنا ذات أنواط..)؟!.

أقول: هؤلاء الذين قالوها ليسوا من أصحاب الصحبة الخاصة (الشرعية)؛ وإنما هم الطلقاء – الذين يدافع عنهم السلفيون - قالوها يوم حنين وكانوا حديثي عهد بكفر.

ثم في القصة دلالة على أن المجتمع لا يخلو من أناس يعتقدون الاعتقادات الباطلة، فهذا مجتمع النبي ﷺ وفيه من يعتقد مثل هذا كالطلقاء.. فهذا يدعو للرحمة بالناس وإرشادهم ولم يكفرهم النبي ﷺ لجهلهم.

الملحوظة الحادية والثلاثون:

قول الشيخ ص٦٣: (الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه..) وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله.. وهذا جائز في

الدنيا والآخرة وذلك أن تأتي عند رجل صالح حتى يجالسك ويسمع كلامك تقول له: أدع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته وأما بعد موته فحاشا وكلا...). أهـ .

أقول: فما رأيك فيمن تأول بأن الاستغاثة بالنبي ﷺ جائزة عند قبره لأن النبي حي في قبره؟!

لا ريب أن من يرى هذا الرأي له جانب من تأويل بل لهم في ذلك حديث عثمان بن حنيف.

ثم قد يأتي آخر ويقول للشيخ: لماذا تجيز لهذا للرجل أن يذهب إلى رجل صالح ويطلب منه أن يدعو الله له؟ لماذا لا تأمره بدعاء الله مباشرة؟ أليس في نصيحتك له تجويز مشابهة عمل الكفار في اتخاذ هؤلاء واسطة بينهم وبين الله؟ ألم يقل الله ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ؟!!.

وهكذا يمكن لآخر من الخصوم أو غلاة الأتباع أن يضيق على الشيخ المخارج حتى يحكم عليه بالكفر مثلما ضيق هو على الآخرين حتى كفرهم.

نعم يستطيع آخر أن يلزم الشيخ في كثير من أقواله ومنها القول السابق، بما ألزم به الآخرين فيقول له: النبي ﷺ له خصوصية، وقد أمر الله المنافقين أن يأتوا إليه ليستغفر لهم؛ لأن إتيانهم إليه دليل ظاهري على التوبة، لكن بأي دليل تُدخل أنت (الرجلَ الصالحَ) في هذه الخصوصية النبوية، وتجوّز أن يأتيه الرجل ويسأله أن يدعو له؟! هل شرَّع هذا الله في كتابه؟ أو قاله رسوله؟ أو جاء عن أحد من أصحابه؟ أو فعله السلف الصالح! وأن هذا لو كان هذا مشروعاً لنقل لنا لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله..الخ، ثم لماذا تقيد طلب الدعاء من الرجل الصالح (أن تأتي الرجل حتى تجالسه ويسمع كلامك)؟! وما الفرق بين هذا وبين من يوصي أحدهم إلى فلان أن يدعو الله له؟!

والحاصل هنا أنه بمنهج الشيخ يستطيع المخالف له المتعنت أن يلزمه الكفر فإن اعتذر بأعذار جاز للآخر أن يعتذر بأعذار مماثلة.

ونحن في هذا كله ندعو لإخلاص العبادة لله وترك الشبهات القادحة في هذا الإخلاص كما ندعو لترك الغلو في التكفير.

الملحوظة الثانية والثلاثون:

ثم ختم الشيخ ص٦٦ بمسألة (عظيمة) وهي (أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً..)!!.أهـ .

أقول: وهذا فيه تقعيد لتكفير سائر المسلمين ممن لا يعرف الحقائق والإلزامات التي ذكرها الشيخ، وبهذا يستطيع أتباع الشيخ أن يختبروا الناس في عقائدهم وأعمالهم عند كل بلدة يدخلونها أو يكاتبونها فإن وجدوا عندهم تحفظاً أو أخطاءً استحلوا قتالهم؛ لأنهم (غير مسلمين)!!

بل إن الشيخ هنا أدخل الاختلال في العمل وعده من علامات الكفر! وعلى هذا يمكن بسهولة التكفير بالمعاصي؟! وبهذا وأمثاله اتهمه خصومه بأنه من الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي.

وموضوع الاختلال يختلف باختلاف المعصية لكن اختلال القلب لا يؤثر في الأحكام الدنيوية فالرسول ﷺ حكم بإسلام المنافقين في الظاهر، مع اختلال قلوبهم الذي علمناه من الله، ، أما الشيخ فلا يكتفي بإظهار المسلم للإسلام ونطقه بالشهادتين ولا يكتفي بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج ..الخ، وقد صرح بأنه يقاتل أناساً يصلون ويصومون ويحجون ويتصدقون ويشهدون الشهادتين!.

ثم ما هو اختلال العمل؟ هل الكبائر كشرب الخمر والسرقة وغيرهما من اختلال العمل؟ هل فاعلها يخرج من الإسلام حسب ظاهر كلام الشيخ؟ إذن فلماذا ننكر على الخوارج تكفير أهل المعاصي؟ ولماذا ننكر على المعتزلة والزيدية القول بخلود أهل الكبائر في النار والمنزلة بين المنزلتين؟! ولماذا ننكر على الآخرين اتهامنا بالتوسع في التكفير والتقعيد له؟!

الملحوظة الثالثة والثلاثون:

وقال الشيخ ص٧٠: لم يستثن من الكفر (إلا المكره).

أقول: وهذا القصر فيه نظر فإن المضطر والخائف والمتأول والجاهل لا يجوز تكفيرهم، وهذا يدل على أن الشيخ لا يعول كثيراً على مسألة الأسماء والأحكام، فقد أهمل أبرز موانع التكفير، كالتأويل والجهل.

أما احتجاجه بأن الله لم يستثن إلا المكره في قوله تعالى: (إلا من أكره) فهذا نعم في هذه الآية أما في غيرها من الآيات والأحاديث الصحيحة فهناك معذورون آخرون غير المكره[1].

وهذه من عيوب منهج الشيخ فهو يعتمد على آية واحدة أو حديث واحد ويترك ما سواه فهذا خلل علمي، فقد يأتي آخر ويقول: لم يحرم الله عز وجل إلا أربع محرمات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾.

فيقول: وعلى هذا فليس هناك أمور أخرى محرمة كالخمر والسرقة والزنا !! هكذا قد يقول وينسى أن الله حرم الخمر والسرقة والزنا وغيرها في نصوص أخرى، وأن الآية السابقة خاصة بالأطعمة.

انتهت أبرز الملحوظات على كتاب كشف الشبهات، وهي ملحوظات رئيسة ـ بعضها أوضح من بعض ـ على رسالة صغيرة مشهورة وهي من أقوى ما كتبه الشيخ، ومن أكثر ما يتفاخر به أتباعه من إنتاجه، وقد تبين منها فيما أزعم أن الشيخ رحمه الله وسامحه وغفر له، قد غلا في التكفير غلواً ظاهراً، فنقول أخطأ وكفى، مجتنبين الغلو من خصومه وأتباعه، لأنه شرعاً لا يجوز أن نحمي الشيخ محملين أخطاءه الإسلام،

---

(١) توسعت في ذكر هذه الموانع وأدلتها في كتاب (التكفير والتفجير – أسباب وحلول) وهو ما كان قد سبق نشره في ثلاث مقالات مطولة بعنوان: (رسالة إلى أخي عبد العزيز المعثم) نشرت في صحيفة الرياض بداية عام ١٤١٧هـ لكن الكتاب لم يطبع إلى الآن.

فنزعم أن هذا التكفير قد دلت عليه النصوص الشرعية، وأنه دين الله، ...الخ، فهذه الطريقة في تبرئة الشيخ وتحميل الإسلام أخطاءه فيها خيانة للدين نفسه، يجب أن يبقى الدين فوق مستوى أن نربط مصيره بمصير من نحب من العلماء أو الحكام أو غيرهم، الدين ليس حكراً على أحد، وليس هناك قراءة واحدة، ولا اتفاق على كل النصوص تصحيحاً أو فهماً، لكن من تسمى بالإسلام ولو منافقاً كاذباً؛ حرم دمه وماله وعرضه، وحفظت حقوقه، فكيف بمن ينتسب للإسلام صادقاً مقيماً للشعائر، مجتنباً الكبائر، ثم بعد هذا نلحقه بالكفار نتيجة فهم دليل أو تلفيق حجة، فهذا أمر خطير، له ثماره ونتائجه السيئة، وهذه التلفيقات التكفيرية يجب أن يكون الموقف منها واضحاً في حال وزمان، فلا نغزلها اليوم لطمع وننكثها غداً لفزع، ولنتق الله فإننا إن جاملنا في إقرارها ذهب ديننا سدىً، وإن أكلنا بها اليوم أكلتنا غداً، أقول هذا نصيحة وسداداً، ما أردت بهذا علواً في الأرض ولا فساداً، والله المطلع على النيات.

تحرير محل الخلاف:

معظم الخلاف بين الشيخ و مخالفيه يكمن في تركيزه على النظرية وتركيزهم على النتائج .

وخصوم الشيخ ليسوا من العوام بل هم خاصة أهل ذلك الزمان باعتراف الشيخ الدرر السنية (٢/٦٢).

فخصوم الشيخ مثلاً يتهمونه بأنه ينكر الشفاعة ويرد عليهم بأنه لا ينكر الشفاعة لكنه في الوقت نفسه يحصر الشفاعة لأتباعه الذين يسميهم (الموحدين)! ويصرح بأن الشفاعة ليس إلا للمسلمين –يعني من كان على رأيه -.

فهم أخطئوا في اتهامه بإنكار الشفاعة مطلقاً وهو أخطأ بحصرها في أتباعه، فهم ينظرون للنتيجة وهو يبقيهم في المقدمات.

وكذلك يقولون: أنت تكفر المسلمين وهو يقسم أنه لا يكفر المسلمين ولا يكفر إلا من كفره الله ورسوله! وسر المسألة أنهم يرون النتيجة من تكفيره لهم ولأتباعهم، لكنه يعتمد على المقدمة بأنهم ليسوا مسلمين أصلاً! فالمسلمون الذين لا يكفرهم هم الموحدون وهذه التسمية الأخيرة لا يسلمون له بها[1].

وهكذا معظم ما يدندن حوله الشيخ وخصومه أن كل طرف متمسك بجانب فهو يتمسك بالمقدمة وهم يعترضون على النتائج، فلذلك لم يحدث تفاهم ولا تحرير موطن الخلاف و قد لا يتم مادام هناك غلاة من الطرفين، كل واحد ينتصر لطرف ويظلم الآخر.

وهذا يشبه ما يجري بين السنة والشيعة من اتهام السنة للشيعة بتكفير الصحابة والشيعة يقولون نحن لا نكفر الصحابة، فإذا نقلت لهم من كتبهم ما يدل على ذلك قالوا: هؤلاء ليسوا من الصحابة هؤلاء مرتدون!! والمرتد ليس صحابياً على منهجنا ومنهجكم!! فأنتم تشترطون في الصحابي بأنه (يموت على الإسلام) وهؤلاء ماتوا على غير الإسلام فهم خارج النزاع! وعلى هذا فلا تصح تهمتكم لنا..

وهكذا يدور المتخاصمون في حلقة مفرغة لأنهم لم يحرروا موقع الخلاف.

---

(١) انظر على سبيل المثال قوله –في الدرر السنية(١/ ٦٣)– مدافعاً عن نفسه من تهمة تكفير المسلمين قال: فإن قال قائلهم– يقصد معارضي الشيخ–: إنهم يكفرون بالعموم! فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!– لكن الشيخ يكمل بما يؤكد التهمة بقوله–: الذي نكفر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله وأن دعوة غير الله باطلة ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد ويسميهم الخوارج!.أقول: إذن فالاتفاق يكاد يكون لفظياً فقط، فتكفير الشيخ للخصوم والمعارضين بسبب تسميتهم للوهابية خوارج لا يجوز، بل لو قام الخصم بتكفيرنا لا يجوز لنا تكفيره، وهذا منهج الصحابة أنهم لا يكفرون من كفرهم، وقد قرر الشيخ هذا في مكان آخر فيعد هذا من التناقضات.

المبحث الثاني

قراءة في أقوال الشيخ
في كتب ورسائل أخرى (الدرر السنية نموذجاً)

أولاً: آراء الشيخ في غير كشف الشبهات:

باستثناء مواضع قليلة كرسالة الشيخ إلى أهل القصيم (الدرر السنية ١/٣٤)[١]؛ نجد كل كتب الشيخ ورسائله تقريباً؛ فيها توسع وغلو في التكفير؛ لا يمكننا أن نعتذر عن تلك الأخطاء إلا بمكابرة وقد وقعت!

ولو أخذنا (الدرر السنية)[٢] التي حوت أكثر كتب ورسائل الشيخ - وكذلك كتاب التوحيد له وسيأتي نقده بعد الملحق - لوجدنا ما يدل على الغلو في التكفير بوضوح في كثير من تقريرات الشيخ أختار من ذلك من كتاب الدرر السنية النماذج السريعة الآتية:

---

(١) التي صرح فيها بأنه لا يكفر من توسل بالصالحين ولا يكفر البوصيري ولا يكفر ابن الفارض ولا ابن عربي ولا يبطل كتب المذاهب...الخ، وله كلام مشابه في المجلد الأول نفسه (ص٨٠).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ، الطبعة السادسة مزيدة ومنقحة، ١٤١٧هـ بلا ذكر للدار الطابعة، وقد عرف ابن قاسم هذا الكتاب بأنه (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، علماً بأن الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله توفي عام ١٣٩٢هـ، وقد كان ابن باز رحمه الله يدرّس هذا الكتاب ضمن دروسه اليومية، وعلمت أنه قد وجه بترك رسائل وفتاوى كانت غاية في التكفير، لكنني وجدت في الباقي ما يكفي وزيادة في إثبات منهج الشيخ وأبرز أتباعه رحمهم الله جميعاً وسامحهم، وسأقتصر على هذا الكتاب في هذا المبحث، ثم أتبعه بنماذج من أخطاء الشيخ في كتاب التوحيد.

النموذج الأول: علماء نجد وقضاتها لا يعرفون الإسلام!

هذا صريح قول الشيخ محمد، بل جعلهم (لا يعرفون لا إله إلا الله ولا يفرقون بين دين محمد بن عبد الله ودين عمرو بن لحي الذي وضعه للعرب)!

والدليل على ثبوت ذلك عن الشيخ قوله ـ كما في الدرر السنية ١٠/٥١ ـ : (... لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني أن لي معرفة وأنا في ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله ولا أعرف دين الإسلام! قبل هذا الخير الذي منّ الله به! وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك!، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله! أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت! أو زعم من مشايخه أن أحداً عرف ذلك! فقد كذب وافترى! ولبس على الناس! ومدح نفسه بما ليس فيه!).

ثم ذكر كلاماً مشابهاً (الدرر السنية١/٥٧) بأن العلماء الذين يخاطبهم ومشايخهم ومشايخ مشايخهم لا يفهمون دين الإسلام **(ولم يميزوا بين دين محمد ﷺ ودين عمرو بن لحي الذي وضعه للعرب بل دين عمرو عندهم دين صحيح!!)**.

أقول: لا ريب عندي، أن هذا فيه تكفير صريح للصفوة من علماء وقضاة أهل نجد وشيوخهم وشيوخ شيوخهم فيكف بالعوام؟! وهذا ما لا نقر به اليوم فكل الكتب التاريخية عن منطقة نجد تذكر العلماء والقضاة وطلبة العلم المسلمين من أيام ابن عضيب في القرن التاسع الهجري إلى أيام الشيخ محمد في القرن الثاني عشر، وقد ترجم المؤرخون المعاصرون لكثير من علماء أشيقر وشقرا وبريدة وعنيزة وحريملاء والعيينة والرياض والخرج والأفلاج وغيرها قبل الشيخ محمد؛ وهناك إجماع معاصر أن هؤلاء ليسوا كفاراً ولا عبدة أصنام، نعم قد يكون عند بعضهم أو كلهم تجويز للتبرك بالصالحين أو ضعف دعوي أو بعض البدع.. وهي أمور غاية ما يقال فيها أنها بدع أو أخطاء عقدية (إيمانية)، لكن أن يكونوا عبدة أصنام ويفضلون دين عمرو بن لحي على دين محمد بن عبد الله فهذا كلام باطل لا يقره منصف، ولا أظن عاقلاً يجرؤ على مثل

هذا الكلام ونبرأ إلى الله من تكفير المسلمين ونسأل الله أن يغفر للشيخ هذا (التكفير الصريح) لعلماء نجد رحمهم الله.

وقد ذكر الشيخ ابن حميد في كتاب (السحب الوابلة)[1] كثيراً من علماء نجد في عصر الشيخ وقبله.

وللشيخ عبد الله البسام[2] كتاب (علماء نجد خلال ثمانية قرون) ولم يتهم أحداً منهم بالبدعة فضلاً عن عبادة الأصنام وتفضيل دين عمرو بن لحي! وكتب الشيخ صالح القاضي مؤلفاً عن (علماء نجد) وكذا الشيخ بكر أبو زيد[3] في كتابه (علماء الحنابلة) وغيرهم، ولم نجد أن أحداً منهم أو من غيرهم ممن ترجموا للعلماء قبل الشيخ أوفي عصره أن أحد هؤلاء العلماء كان يعبد الأصنام أو يدين بغير الإسلام!! ونعوذ بالله من اعتقاد هذا، فهذا مثال واضح من الأمثلة التي تؤكد أن الشيخ وقع في التكفير وأخطأ فيه رحمه الله وسامحه.

النموذج الثاني: علماء الحنابلة وغيرهم في عهد الشيخ كانوا مشركين شركاً أكبر ينقل عن الملة!

ومن نماذج تكفير المعينين في كلام الشيخ قوله في رسالة إلى الشيخ سليمان بن سحيم الحنبلي (كما في الدرر السنية ١٠/٣١) :

(نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق!! ... أنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلاً ونهاراً!!... أنك رجل معاند ضال على علم مختار الكفر على الإسلام!! ... و هذا كتابكم فيه كفركم!!) اهـ.

---

(١) بتحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين .

(٢) عالم حنبلي وهو عضو في هيئة كبار العلماء.

(٣) عالم حنبلي وهو عضو في هيئة كبار العلماء.

وقال ـ (كما في الدرر السنية ١٠/ ٧٨)ـ : (فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فسبابة للتوحيد!... وابن فيروز هو أقربهم إلى الإسلام!).

قلت: مع أن محمد ابن فيروز هذا حنبلي مقلد لابن تيمية وابن القيم وقد اعترف الشيخ بأنه (رجل من الحنابلة وينتحل كلام ابن تيمية وابن القيم)، فسبحان الله العظيم، إذا كان هذا الرجل الحنبلي الذي يقلد ابن تيمية وابن القيم لم يدخل في الإسلام إلى الآن! فكيف بغيره؟!!

بل صرح الشيخ في مكان آخر أنه (كافر كفراً أكبر مخرج من الملة)[1] إذا كان هذا هو حال الحنبلي المقلد لابن تيمية وابن القيم فكيف بالفقهاء من المالكية والشافعية والأحناف والظاهرية فضلاً عن فقهاء الزيدية والإباضية والإمامية والصوفية وسائر العامة؟!!

النموذج الثالث: المسلمون بنجد والحجاز ينكرون البعث؟!

يزعم الشيخ رحمه الله وسامحه أن أكثر أهل نجد وأهل الحجاز على إنكار البعث!! (كما في الدرر السنية ١٠/ ٤٣).

قلت: وهذا مما يعلم بالضرورة أنه باطل وغير صحيح فأكثر المسلمين بل كلهم - بل كل اليهود والنصارى أيضاً - يؤمنون بيوم البعث سواءً في زمنه أو قبله أو بعده، وإنما أصاب الناس فترة كثرت فيها البدع والخرافات؛ وهي قديمة في الأمة الإسلامية وما زالت إلى يومنا هذا في أفراد من المسلمين — كثروا أو قلوا - داخل الجزيرة العربية وفي العالم الإسلامي، ولكن لا يعني هذا أن المسلمين كانوا كفاراً أو أنهم ينكرون البعث! فأين هذا من هذا؟!

(١) انظر الدرر السنية (١٠/ ٦٣).

النموذج الرابع: الكفر الذي يقصده الشيخ هو المخرج من الملة!!

والكفر الذي يطلقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس كفراً أصغر وإنما يريد ذلك الكفر الأكبر المخرج من الملة وقد تكرر هذا كثيراً في كتبه وتقريراته ومن ذلك قوله: (في الدرر ٦٣/١٠): (بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفراً ظاهراً ينقل عن الملة فضلاً عن غيرهما)! أهـ.

أقول: وهذان فقيهان حنبليان، وهاهو التكفير واضح في منهج الشيخ محمد نفسه فكيف بالأتباع؟! ولا يحتاج المنصف إلى أكبر من هذه الإثباتات، فهذه العبارة الأخيرة فيها خطآن كبيران:

الأول: تكفير العالم المعين المسلم المتأول.

والثاني: التكفير المخرج من الملة، وهذا التكفير المخرج من الملة لا يخفى ما يترتب عليه من أمور خطيرة وكبيرة من إباحة الدم والمال وسبي الذرية ومنع التوارث وتحريم الاستغفار أو الصدقة عنهم أو الحج عنهم وغير ذلك من الأمور الكبرى، فلا يستطيع بعدها المسلم الصادق إلا أن يعيش معهم عيش المنافقين، ويكدح كدح أهل الذمة، فليس أمامه إلا السمع أو القمع، يخشاهم إن صدق، ويخشى الله إن كذب، يميته الإسلام ويحييه النفاق.

النموذج الخامس: في تكفير المعين أيضاً!

والشيخ رحمه الله لما خالفه أحمد بن عبد الكريم (وهو عالم حنبلي نجدي) أرسل الشيخ له رسالة فيها (الدرر السنية ٦٤/١٠) (...طحتَ على ابن غنام وغيره وتبرأتَ من ملة إبراهيم وأشهدتَهم على نفسك باتباع المشركين...)!!

أقول: هذا تكفير صريح خاصة على منهج الشيخ.

النموذج السادس: الحرمان الشريفان ديار كفر!!

أما بلدان المشركين عند الشيخ رحمه الله وسامحه فهي كل البلاد التي لم تدخل تحت طاعته أو دعوته ولم يستثن منها الحرمين الشريفين! انظر على سبيل المثال (١٠/ ٦٤،٧٥ ، ٧٧ ، ١٢، ٨٦)[1].

النموذج السابع: تكفير الإمامية.

تكفير الإمامية سهل إذا قسناه بتكفير الحنابلة، ويذكر الشيخ أن من شك في كفرهم فهو كافر (١٠/٣٦٩) نقل هذا عن المقدسي وأقره، مع أن ابن تيمية - على غلوه ونصبه - إلا أن له كلاماً صريحاً بأن هؤلاء مبتدعة مسلمون وليسوا كفاراً، لكن الشيخ رحمه الله يجمع الشدائد.

النموذج الثامن: تكفير من سب صحابياً.

تكفير الشيخ لمن سب صحابياً تجده في الدرر السنية (١٠/٣٦٩) وهذا على أنه موجود في كتب العقائد المغالية إلا أنه غير صحيح فالإمام علي لم يكفر الخوارج وهم يكفرونه ويسبونه وكذلك أبو بكر الصديق؛ ثبت عنه في مسنده في مسند الإمام أحمد بسند صحيح النهي عن إيذاء من يسبه ويغلظ له القول، ثم لماذا يجعل هؤلاء سب الصحابي كفراً وهم يدافعون عن معاوية وقد كان يسب علياً رضي الله عنه وهو من هو ؟ ألم يثبت عنه في صحيح مسلم أمره بسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ أم أن حمى الإمام علي مباح وحمى الطلقاء مصون؟ لماذا جعلوا الدفاع عن الإمام علي وإنكار الظلم في حقه خاصاً بكتب الشيعة فقط[2]؟ (مالكم كيف تحكمون)؟

---

(١) كل هذه في الدرر السنية، وكل التوثيقات في هذا الفصل فهو مأخوذ من الدرر السنية إلا ما بينته في موضعه.

(٢) مع أن كثيراً من كبار علماء أهل السنة كتبوا وألفوا في فضائل الإمام علي ومنهم النسائي في كتابه (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) كتبه رداً على أهل الشام النواصب في بداية القرن الرابع ولقي النسائي حتفه بسبب هذا الكتاب، فقد قام النواصب الدمشقيون بمطالبته بإخراج كتاب مماثل في فضائل معاوية! فقال لا أعرف فيه إلا حديث (لا أشبع الله بطنه)! فغضبوا وقاموا بفرك=

النموذج التاسع: تكفير أهل مكة والمدينة، والمدرسة الوهابية تتابع!

تكفير الشيخ لأهل مكة تجده في (٨٦/١٠)، (٢٩١/٩) وذكر الشيخ أن دينهم هو الذي بعث رسول الله بالإنذار عنه! وزاد بعض الوهابية: بأنهم عبدة قبور! وأن من لم يكفرهم فهو كافر مثلهم وإن كان يبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين[1]!

= خصيتيه إلى أن مات! فكان اللؤم فيهم حتى في قتل العلماء، ومن علماء السنة الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم صاحب المستدرك، فقد أكثر من فضائل الإمام علي والدفاع عنه في المستدرك، في بداية القرن الخامس الهجري، وقام النواصب كالعادة بمطالبته بإخراج أحاديث في فضل معاوية، فقال (لا يأتي من قلبي) وحاصروه في بيته بخراسان، وكذلك الإمام ابن عبد البر إمام أهل السنة في وقته فقد كان كثير الدفاع عن الإمام علي في كتبه ومنها الاستيعاب ولاستذكار، في أوساط القرن الخامس الهجري، ولم يصبه مكروه، إلا أن السلفية المعاصرة تنتقده في التوسع في (ما شجر بين الصحابة)! وهم يعرفون أن ابن تيمية توسع أكثر منه لكن يقصدون من هذا ما ذكره من فضائل الإمام وذم الظلم الأموي، وكذلك تجدهم اليوم يركزون هجومهم على كل من دافع عن الإمام علي ونقد الظلم الأموي فيتهمونه بالرفض مباشرة! والمقصود هنا أنه لا يخلو أهل السنة من قائل بفضل أهل البيت والدفاع عنهم إلا أن النواصب غالباً يعملون على إماتة ذكرهم - كما هو حاصل اليوم- مع إشهار كتب النواصب ككتب ابن تيمية والفراء الحنبلي ومحب الدين الخطيب وسائر كتب السلفية والرسائل الجامعية في موضوع الصحابة فكلها يشوبها كثير من النصب الخفي!

(١) وبعد فتح الوهابيين لمكة والمدينة في عهد سعود الكبير تم إجبار علماء مكة والمدينة على التوقيع على وثيقة فيها الحكم على أهل مكة والمدينة بأنهم قبل الفتح كانوا (في الكفر الأكبر المبيح للدم والمال) وأن بقية بلاد المسلمين يومئذ على الشرك الأكبر! (راجع الدرر السنية (١/ ٣١٤-٣١٧) تجد الوثيقتين، وتستطيع بسهولة أن تعرف أنهما منتزعتان بالإكراه لتشابه الصيغتين، ولشدتهما في تكفير أهل الحرمين، ولأن هؤلاء العلماء كانوا ضد الوهابية قبل الاستيلاء على الحرمين) وسبب الغلو الزائد في الدولة السعودية الأولى أن الحكام كانوا كالعلماء وهابية غلاة، أما في الدولتين السعوديتين الثانية والثالثة فالحمد لله ليسوا وهابية لكنهم قد لا يدركون خطر الغلو الوهابي، ولذلك يتفاجئون بقوة الغلو والغلاة في المملكة، لأن الغلاة احتظنوا كل التراث السلفي المغالي وكل التراث الوهابي وزادوا على ذلك بالحركات الصحوية الحزبية، فتكدس في هذا الوطن الغلو القديم والحديث مع التحزب، والحل هو فتح المجال لمراجعة هذه المناهج والكتب والأفكار والفتاوى.

وقد بقيت هذه العقيدة في أتباع الشيخ ومدرسته إلى أن تم لهم الاستيلاء على الحرمين الشريفين، وأجبروا علماء الحرمين على أن يعتقدوا هذه العقيدة في أهليهم وسكان المدينتين الشريفتين، وذلك في عام ١٢٢٥هـ، وكان الاستيلاء على الحرمين وضمهما قد تم في عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد عام ١٢٢٢هـ تقريباً، والإمام سعود هذا (هو غير الملك المعاصر سعود بن عبد العزيز الذي حكم بعد الملك عبد العزيز، رحمهم الله جميعاً)، فالإمام سعود بن عبد العزيز كان مغالياً في التكفير كالشيخ رحمهما الله، وهو من أئمة الدولة السعودية الأولى، التي كان كل أئمتها السياسيين وهابيين غلاة رحمهم الله، بعكس الدولتين السعوديتين الثانية والثالثة، فهم سياسيون تهمهم المصلحة العامة والتلاحم الوطني، ويمنعون الوهابية من التعدي على بقية المواطنين، وإن كان بعضهم لا يخلو من وهابية خفيفة قد تدفعه لتصرفات فيها محاباة كبيرة للوهابية، غير مدرك للأثر الخطير لهذه المحاباة على المدى الطويل...

على كل حال: يبقى السياسيون أفضل بكثير من الذين يتدينون بتكفير المسلمين وانتهاك حقوقهم، وفي الوهابية عقلاء ومنصفون أيضاً، لكننا نتكلم عن الأغلب الذي نقرأه، فلا يخلو من غلو وإقصاء...

وهذه نسخة توبة علماء مكة والمدينة الذين أكرهوا على إظهار توبة من مذاهبهم السابقة (السنية) واتباعهم للغلو الوهابي الذي كفروا بعده جميع المسلمين...

نسخة علماء مكة المكرمة:

فقد كتبت (نسخة تكفير) أيام سعود بن عبد العزيز بن محمد -وهو من مدرسة الشيخ المخلصين رحمه الله وسامحه - وقع عليها علماء مكة وفيها: (نشهد نحن علماء مكة الواضعون خطوطنا وأختامنا في هذا الرقيم: أن هذا الدين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعا إليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز من توحيد الله ونفي الشرك الذي ذكره في هذا الكتاب أنه الحق الذي لا شك فيه ولا ريب، وأن ما وقع في مكة والمدينة سابقاً ومصر والشام وغيرهما من البلاد إلى الآن من أنواع الشرك ...

أنه الكفر المبيح للدم والمال والموجب للخلود في النار ، ومن لم يدخل في هذا الدين (الذي قام به محمد بن عبد الوهاب) ويعمل به ويوالي أهله ويعادي أعداءه فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر، وواجب على إمام المسلمين (سعود بن عبد العزيز) والمسلمين جهاده وقتاله حتى يتوب مما هو عليه ويعمل بهذا الدين)[1]!!! ثم تم سرد أسماء الموقعين الذين كانوا ضد الوهابية وضد الشيخ، فالإكراه واضح..

نسخة المدينة المنورة:

ونسخة المدينة قريبة في ألفاظها ومعانيها من نسخة مكة، ومن ذلك: (... وأن ما وقع في مكة والمدينة سابقاً، والشام ومصر وغيرها من البلاد إلى الآن من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب أنها: الكفر المبيح للدم والمال، وكل من لم يدخل في هذا الدين، ويعمل به ويعتقده، فهو كافر بالله واليوم الآخر والواجب على إمام المسلمين وكافة المسلمين، القيام بفرض الجهاد وقتال أهل الشرك والعناد! وأن من خالف ما في هذا الكتاب من أهل مصر والشام والعراق وكل من كان على دينهم! الذي هم عليه الآن ، فهو كافر مشرك من موقعه!...)[2].

أقول: أظن أنه بعد هاتين الوثيقتين، أنه يظهر بجلاء، أن مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في موضوع التكفير، مغالية جداً، ولم تجدد في كلام الشيخ أو تراجعه أو تتبرأ من أخطائه، بل يتم وأد مثل هذه المراجعات، التي هي في صالح الإسلام أولاً والمسلمين ثانياً.

ولذلك يبقى وهابية اليوم والأحزاب المستفيدة من هذا التكفير الصريح، يبقون ملقين أسباب التكفير على جهات خارجية، ويبقون في الثناء المتواصل على مدرسة الشيخ محمد رحمه الله، دون أدنى مراجعة، بل دون توقف عن معاداة ومحاربة من ينقد

(١) الدرر السنية (١/ ٣١٤).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣١٦- ٣١٧).

مثل هذه الأمور، وللأسف أنهم يستخدمون الدولة نفسها في محاربة الذي يضع يده على الداء، في ثقافتنا المحلية سواء كان منبع الداء سلفياً أو وهابياً أو حركياً.

النموذج العاشر: تكفير البدو!

تكفير البدو (١٠/١١٣، ١١٤) (٨/١١٨، ١١٧، ١١٩) وأنهم (أكفر من اليهود والنصارى)، وأنه (ليس عندهم من الإسلام شعرة! وإن نطقوا بالشهادتين) انظر الدرر السنية: (٩/٢، ٢٣٨) ولم يسبق أحد من العلماء لتكفير البادية، صحيح أنهم أقل علماً وأنهم قد يتحاكمون للعرف والقواعد القبلية، لكن هذا ليس كفراً مخرجاً من الملة، فهم يصلون ويصومون وفيهم جهل ظاهر، والبادية في عهد الشيخ هي البادية في سائر العصور الإسلامية.

النموذج الحادي عشر: تكفير قبيلة عنزة!

- تكفير قبيلة عنزة في الدرر(١٠/١١٣) وأنهم لا يؤمنون بالبعث!.

النموذج الثاني عشر: تكفير قبيلة الظفير!

- تكفير قبيلة الظفير في الدرر(١٠/١١٣) وأنهم لا يؤمنون بالبعث!.

النموذج الثالث عشر: تكفير أهل العيينة والدرعية:

انظر تكفيره أهل العيينة والدرعية الذين كانوا مع ابن سحيم في الرأي والذين كانوا من معارضي الشيخ في الدرر (٨/٥٧).

النموذج الرابع عشر: تكفير السواد الأعظم من المسلمين!

راجع تكفيره السواد الأعظم في الدرر(١٠/٨).

النموذج الخامس عشر: تكفير ابن عربي

وأنه أكفر من فرعون وأن من لم يكفره فهو كافر بل تكفير من شك في كفره ! في الدرر(١٠/٢٥)، وهذا فيه تكفير لكل علماء الصوفية وكثير من علماء المذاهب الأربعة على الأقل.

مع أنه في رسالة أخرى غريبة عجيبة وهي (رسالته لأهل القصيم) أنكر أن يكون يرى تكفير ابن عربي ! وهذا يدل على أنه ما كل ما ينفيه الشيخ عن نفسه يكون صحيحاً، فهاهو فيها ينفي أن يكون قد كفر ابن عربي وها نحن نجد هذا في كتبه ورسائله بأبلغ مما اتُّهم به، إذ زاد هنا وكفر من يشك في كفر ابن عربي !.

بل وجدت معظم ما ينفيه عن نفسه – وهو قليل - موجود في كتبه ورسائله ! إما لفظاً وإما معنى، وهذا معناه أن له أحوالاً مرة كان يكفر ومرة تخلى عن التكفير أو العكس، أو أنه ينفي هذه التهم سياسة لا تديناً، لاسيما وأن رسالته لأهل القصيم ـ التي يكثر من ذكرها وهابية اليوم ـ قد احتوت على أشياء كثيرة بالغ الشيخ في إنكارها ودفعها عن نفسه، مع أن معظمها موجود في كتبه ورسائله التي نقحها المعتدلون من أتباعه ! ويؤكد هذا أن أهل القصيم يومئذ الذين كان يطمع باستجابتهم له كانوا يمقتون التكفير تأثراً بعلماء العراق، فهذا من شواهد أن رسالته المعتدلة لأهل القصيم كانت سياسية، فكل منهجه على خلافها، لاسيما وأنه بالغ في إنكار التكفير حتى أنه نفى فيها أنه يكفر من يعبد الأصنام من المسلمين الجهلة ! وهذه مبالغة كبيرة، فقد رأينا أنه يكفر علماء وفقهاء حنابلة في نجد لا يعبدون الأصنام لا جهلاً ولا تأويلاً.

النموذج السادس عشر: تكفير من يتحرج من تكفير أهل لا إله إلا الله!

كما في الدرر السنية (١٠/١٣٩)، وهي فتوى غريبة، المقصود منها قطع كل تعاطف مع المخالفين .

وهـذه سمـة العقائـديين الغـلاة من قديم، فهم إن خشوا من تورع الأتباع، أضافوا (من شـك في هـذا فهـو كافر، مـن توقـف فهـو كافر، الواقفية شر من الجهمية، التوقف شك في حكم الله، والشاك كافر، ....وهكذا).

وكـان بعـض العـوام في عهـد الشيخ قـد ذكـروا هـذا الإشكال، بـأنهم يتحـرجـون مـن تكفير من قال (لا إله إلا الله) وهو إشكال كبير، لكن كان علاجه بتكفير من أنبه الضمير.

النموذج السابع عشر: تكفير من يسمي أتباع الشيخ خوارج ويقف مع خصومهم ولو كانوا مـوحدين وينكـرون دعـوة غير الله (١/٦٣)، قلـت: إذن فهـذه شـهادة أن مـا كل النـاس الـذين يقفون مع قبائلهم ضد الشيخ وأتباعه يكون وقوفهم جهلاً بالتوحيد، وأن تلـك القبـائل والمناطق لا تحـارب أهـل التوحيـد، ولكـن يظهـر أنهـم اتبعوا علماءهم في وجـوب التـورع مـن التكفير والحـذر مـن متابعة الشيـخ، ولـو كـان الـذي يحارب الشيخ مشركاً لما شـهد أن التوحيد حق وأنكـر دعـوة غير الله – كمـا شـهد لهـم بـذلك الشيخ نفسه - هذا أمر.

الأمر الثاني أن التجاوز في التكفير في هذه المسألة واضح، فقد سبق أن ذكرنا أن الخـوارج قـد سمـوا علياً ومـن معـه مـن الصـحابة (كفـاراً) وهـي تهمـة أسـوأ مـن اتهـام الوهابيـة بـ(الخـوارج) ومـع ذلـك لم يكفـرهم الإمـام علي ولا مـن معـه مـن المهاجـرين والأنصار.

النموذج الثامن عشر: في كل بلد من بلدان نجد صنم معبود من دون الله!

زعـم الشيـخ سـامحه الله أن كـل بلـد مـن بلدان نجد فيه صنم يعبدونه من دون الله، كما في الدرر (١٠/١٩٣).

قلـت: وهـذا باطـل عنـد كـل مـن لـه أدنى معرفة بتاريخ نجد، وقد لا يعني الشيخ هـنا الأصـنام الحقـيقة وإنمـا قـد يعـني بالأصـنام أولـئك الفقهـاء مـن المقلـدين للمـذاهب

الأربعة، أو الأشخاص الذين يتبرك بهم الناس ويظنون فيهم الصلاح، فإن كان يقصد هذا فهذا غلو في الخصومة، واستخدام للمجاز -الذي ينكره الوهابية تقليداً لابن تيمية - في غير موضعه، لأنه هذا إسراف في استخدام المجاز وتعميم غير صحيح وإيهام للمتلقي البسيط.

النموذج التاسع عشر: تكفير الرازي صاحب التفسير!

تكفير الشيخ للرازي صاحب التفسير في الدرر (١٠/ ٧٢، ٢٧٣) بل زعم الشيخ سامحه الله أن الرازي هذا ألف كتاباً يحسن فيه عبادة الكواكب (١٠/٣٥٥)! وذكر أنه نقل هذا عن ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم وقد راجعت الكتاب المذكور ولم أعثر على هذا الكلام، فإن صح هذا عن ابن تيمية فقد أخطأ بلا شك فالرازي عالم مسلم لن يحسن عبادة غير الله[1]، وقد يكون ألف كتاباً عن فوائد الكواكب وتأثيرها على الزروع، أو ينقل كلاماً عن المنجمين لا يقول به ولا يؤمن به، فيأتي ابن تيمية أو الشيخ سامحهما الله وينسبان هذا إليه، ثم لما ننقل نحن من كلام ابن تيمية أو الشيخ محمد يأتي أتباعه ويقولون إنما ينقلون عن النواصب والخوارج! والله قد حرم الكذب كله والظلم كله، فلا يجوز أن نتهم أحد علماء المسلمين الكبار بهذه التهمة الكبيرة إلا ببرهان قاطع.

النموذج العشرون: تكفير طوائف لا يجمعهم إلا خصومة الشيخ وهم من فعل الشرك (وقد عرفنا توسع الشيخ في تعريفه وأن معظم ما ينكره يدخل في البدعة أو الشرك

---

(١) وقد أثنى عليه الذهبي والسبكي وابن خلكان وغيرهم وهو فقيه ومفسر وأصولي ومتكلم وطبيب، وله أخطاء كما لغيره أخطاء، لكن ليست من الأخطاء الكفرية كما يقول الشيخ، ولو كان يحسن عبادة الكواكب لذمه هؤلاء، أو ذكروا هذا الكفر على الأقل ولو كفرنا كل من أخطأ لن يبقى معنا أحد.

الأصغر وليس الأكبر)، وتكفير من عادى أهل الشرك ولم يكفرهم! وتكفير من لم يحب التوحيد ولم يبغضه وتكفير من لم يعرف الشرك وتكفير من لم يعرف التوحيد وتكفير من يعمل بالتوحيد لكن لم يعرف قدره! ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم (الدرر السنية٢/٢٢).

قلت: كل ما ذكره الشيخ صحيح لو كان يريد بالشرك الشرك الأكبر المجمع على أنه شرك أكبر، أما إلزام الناس بتعريف للشرك وتعريف للتوحيد، لا يوافقه عليه معظم علماء عصره فهذا يجعل الأمر مختلفاً، فلابد من التفريق بين الشرك الأصغر والأكبر، وبين الشرك والبدعة، ثم يكون التكفير والقتال في الذين تحقق فيهم الشرك الأكبر، وهذا ما لم يحدث، فقد رأينا أن معظم ما ينكره الشيخ -وهو مصيب- إنما هو بدع وخرافات أو شرك أصغر على أبعد تقدير - اللهم إلا أن يكون في أرض الجزيرة أفراد معدودون فهذا محتمل، لكن هذا لا يسوغ هذه الخصومة الكبيرة من التكفير والقتال التي خاضها الشيخ وأتباعه مع كافة المناطق، والتكفير الذي يصم به الآخرين من مرتكبي البدع والخرافات هو التكفير الأكبر المخرج من الملة فتنبه لهذا.

النموذج الواحد والعشرون: تكفير أكثر أهل الشام وأنهم يعبدون ابن عربي، وتكفير من يشك في كفر ابن عربي.

وتكفير الشيخ لأكثر أهل الشام وأنهم يعبدون ابن عربي في الدرر السنية(٢/٤٥)، وأتباع ابن عربي لا يعبدونه وإن وجد في عوامهم من يفعل ذلك فلا يجوز تعميمه على أكثر الأتباع.

أما تكفيره من شك في كفر أتباع ابن عربي ففي الدرر السنية(٢/٤٥)، (١٠/٢٥).

النموذج الثاني والعشرون: الفقه عين الشرك!

أرجو أن أكون مخطئاً في فهم كلام الشيخ هنا فإنه في رسالته إلى ابن عيسى الذي احتج عليه بأن الفقهاء يرون غير ما ترى؛ ذكر الشيخ الآية الكريمة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) فقال: فسرها رسول الله والأئمة من بعده بهذا الذي

تسمونه (الفقه) وهذا الذي سماه الله شركاً واتخاذهم أرباباً لا أعلم بين المفسرين خلافاً في ذلك! اهـ كلامه في الدرر(٢/٥٩).

أقول في الجواب:

أولاً الحديث حديث عدي بن حاتم فيه نزاع قوي.

ثانياً: كيف تكون كتب الفقه التي احتج بها الخصم تكون عين الشرك؟! إذا كان يقصد أن خصومه يقلدونها فهو أيضاً يقلد بعض توسعات الفقهاء في باب المرتد.

النموذج الثالث والعشرون: أهل الوشم كفار!

- تكفير أهل الوشم من علماء وعامة تجده في الدرر (٢/٧٧).

النموذج الرابع والعشرون: أهل سدير كفار!

تكفير أهل سدير من علماء وعامة (٢/٧٧).

النموذج الخامس والعشرون:

يقول في الدرر السنية (١/٤٣)، في رسالة له لأحد القضاة المشهورين واسمه عبد الله بن عبد اللطيف: -

(وما أحسنك أن تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله كعمر رضي الله عنه في أوله) أهـ.

أقول: هكذا وكأنه يرى أن المخالفين له ليسوا بمسلمين؟!

النموذج السادس والعشرون:المتكلمون كفار!

نقل في (الدرر السنية١/٥٣): الإجماع على تكفير المتكلمين! وهذا إطلاق غير صحيح، لا يطلقه من يعرف معنى (المتكلم) وأنها إذا أطلقت تعني علماء المسلمين

المهتمين بأمر العقائد وخاصة من الأشاعرة والمعتزلة، فالمتكلم المسلم مسلم وإن وقع في البدعة أو الكفر بتأويل، وقد وقع ابن تيمية – وهو من المتكلمين الحنابلة - في أمور يعدها بعض السلف كفراً كالقول بتسلسل الحوادث، والقدم النوعي للعالم، وتصحيح حديث باطل في أن الله على هيئة شاب أمرد ...تعالى الله عن ذلك، لكن ليس كافراً لأنه متأول ظن صحة حديث باطل، أو صحة فكرة معينة، ...الخ، إذن ما كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه، ولا يكاد يسلم عالم أو عامي من قول كفري، لكن لا يكفر.

وقد نقل الشيخ عن الذهبي والدارقطني والبيهقي وغيرهم تكفير المتكلمين، وهذا نقل باطل، والثلاثة متكلمون! وقد عرفنا من بعضهم على الأقل أنه لا يكفر المتكلمين، عرفنا ذلك في الذهبي على الأقل فكتابه (النبلاء) مليء بتراجم المتكلمين لا أذكر أنه كفر رجلاً منهم، نعم قد يأخذ عليه أخطاء وبدعاً ولكنه لا يكفرهم كما نقل الشيخ محمد، بل إنه – أحياناً - ليعتذر عن بعض من تصدر منه هفوات كبيرة اعتذارات ضعيفة، كأن يقول: لعله قالها في حالة سكر، لعله قال هذا وهو كذا وكذا... ومن شاء أن يتتبع هذا فليرجع إلى الكتاب، بل الذهبي يرى التبرك بتربة قبور الصالحين كما تقدم، فهو على منهج الشيخ كافر كفراً أكبر يخرج من الملة، وما يعتذر به عنه يمكن الاعتذار به عن ابن سحيم وابن فيروز وابن عفالق وغيرهم ممن كفرهم الشيخ من علماء الحنابلة في عصره.

بل للحنابلة ثلاثة كتب في فضائل قبر أحمد بن حنبل، وقد سبق أن ذكرت أن الحنابلة المتقدمين كانوا صوفية تقريباً، لكنهم غلاة في موضوع الصفات وخلق القرآن والصحابة فيكفرون بأدنى مخالفة لمنهجهم.

أما الدارقطني فله كتب منسوبة إليه ولا تصح، وضعها عليه بعض الحنابلة، فلعل نقل الشيخ منها، وأما البيهقي فهو اشعري، ورأي الشيخ في الأشاعرة شديد يكاد يصل للتكفير.

النموذج السابع والعشرون: وأهل الأحساء يعبدون الأصنام!

ويذكر(١/٥٤) : أن أهل الأحساء في زمانه يعبدون الأصنام!! وهذا غير صحيح.

النموذج الثامن والعشرون: وأهل نجد يعبدون الحجر والشجر!

وذكر في رسالته لابن عبد اللطيف (الدرر ١/٥٣ -٥٤):

أن عندهم عبادة الأصنام (من بشر وحجر)، وزاد على ذلك أنه لا يعلم (أحداً من أهل العلم يخالف في ذلك)! إلا من (يؤمن منهم بالجبت والطاغوت)! وأن أهل العلم في بلد ابن عبد اللطيف (ملتبسون بالشرك الأكبر)! بل (ويدعون إليه)!.

قلت: وهذه كلها مبالغات لا حقيقة لها ولا واقع، وغلو العلماء والقضاة في نجد والحجاز والأحساء مسلمون في عهد الشيخ محمد – إن وجد - فهو مثل غلو غيرهم من العلماء والقضاة في العالم الإسلامي، في عهده وقبله وبعده، وفي أيام ابن تيمية وأحمد بن حنبل، وهذه كتبهم ورسائلهم وأهاليهم لم ينقلوا عنهم عبادة أصنام ولا دعوة لها، وأما الغلو في المشايخ والتبرك فيمكن قبول تصنيفها ضمن البدع والخرافات وليس ضمن الشرك الأكبر المخرج من الملة.

النموذج التاسع والعشرون:

قوله (١/٧٣) : (أنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله...).

أقول: هذا الكلام يكرره الشيخ كثيراً، وهو صحيح نظرياً، لكن من حيث الواقع يريد بـ (دين الرسول) ما هو عليه وأتباعه فخصومه من علماء وقضاة وعوام لا يقولون إنهم يعادون دين الإسلام بل هو يعترف أنهم قائمون بأركان الإسلام الخمسة فلم يعادوا دين الرسول ولم ينهوا الناس عنه.

وهم يردون الحجة نفسها ويقولون: أن من دين الرسول ألا نقاتل من قال لا إله إلا الله، وأن ذلك يعصم دمه وماله ويقولون: أن الشيخ محمد عرف هذا ثم نهى الناس عنه وعاداه، وعلى هذا فهو يعادي دين الرسول وينهى عنه! ...

وهكذا لم نخرج من الدوران، وعاد النهر ليصب في المنبع، وتبادل الشيخ وخصومه التكفير لأن الجميع أهمل ضوابط التكفير وموانعه[1]، والكل يجزم ويقطع في أمور بعضها صحيح، وأكثرها متشابهة ملتبسة يصعب القطع فيها، لكن الجميع لا يؤمن بالنسبية في مثل هذه الأمور، فإذا ترجح عند أحدهم مسألة عدها من دين الرسول، وأصبح من لا يتبعها معادياً لدين الرسول!

وهذه فوضى علمية يخلطها تظالم وتكفير متبادل وفجور في الخصومة — فالتكفير أبلغ من السب والذم - وربما ساعد في ذلك الظروف السياسية، والخصومات المذهبية والتعصب للبلد والقبيلة والمذهب، ورحم الله الجميع، ونحن مدعوون لنستفيد من أخطاء الماضي وألا نكرر تلك الأخطاء، فالتاريخ لا يرحم، والخطأ الذي تسترنا عليه اليوم سيصبح غداً خطأين، ويصبح يوم القيامة ثلاثة، خطأ وقع، والتعصب له خطأ ثانٍ، ومحاربة من نبهنا عليه خطأ ثالث، وعند الله تجتمع الخصوم.

النموذج الثلاثون:

ويرى أن الاعتقاد في الصالحين ليس كالزنا والسرقة وإنما هو (عبادة للأصنام)[2]، ويكرر هذا المعنى كثيراً مع أن كلمة الاعتقاد في الصالحين كلمة عامة؛ يدخل فيها التوسل والتبرك ونحوه مما قال به كثير من أهل العلم؛ وخاصة التبرك، وأنا لا أرى هذا ولا هذا وقد تخاصمت مع بعض طلبة العلم ممن يرى التبرك وانتصرت لرأي الشيخ في إنكاره؛ الذي أرى أنه الأقرب إلى الحق، ولكن إقرارنا بحقه في إنكار هذه الاعتقادات

---

(١) مع أن أغلب خصومه لا يتهمونه بالكفر الأكبر ولا عبادة الأصنام وإنما يتهمونه بالخارجية.

(٢) الدرر السنية (١/ ٧٨).

ليس معناه الإقرار بتكفير من لم يوافقه من علماء وعوام لأن معظم ما أنكره الشيخ عليهم غالباً إما اجتهادات صحيحة أو لها وجه، وإما أخطاء وبدع فيه شبهة وتأويل ونحوه مما سبق شرحه.

النموذج الواحد والثلاثون:

ذكر (١٠٢/١): بأنه يكفر الأصناف التالية:

- من عرف دين الرسول ﷺ ولم يتبعه!.
- ومن عرفه وأحبه لكن كان يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك!.
- ومن عرف الدين لكنه سبه ومدح عبدة يوسف والأشقر والخضر..!
- من سلم من هذا كله ولكن لم يهاجر من بلده بلد الشرك إلى بلد التوحيد![١].

أقول: هذه الحالات الأربع أيضاً نجد فيها النهر يصب في المنبع!! وسبق الجواب، بأنهم لا يسلمون للشيخ أن الحق معه في كل ما يقول، أو أن الباطل معهم في كل ما يقولون، والذي يصوب إنكار الشيخ للبدع لا يصوبه في تكفير المبتدعة والجهلة والمتأولين من علماء وعامة.

ثم كيف نستطيع أن نعقل صدق أن هناك من يعرف التوحيد ويحبه ويتبعه ويدخل فيه ويترك الشرك؛ ثم بعد هذا كله يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك؟! هذا لا يعقل.

لا يوجد في الدنيا رجل يحب ديناً أو مذهباً ويبغض أهله إلا إذا كان يبغضهم لشيء يرى أنهم خالفوا فيه ذلك الدين أو ذلك المذهب، مثلما نحن السنة قد يبغض بعضنا بعضاً ظناً من المتخاصمين بأن الطرف الآخر لا يمثل السنة وأنه يسيء لها[٢].

---

(١) والغريب أنه في مواضع أخرى ينكر أنه يكفر من لم يهاجر إليه! وهذا ذهول أو رجوع أو مناورة.

(٢) مثلما تبادل الشيخ وخصومه البغض مع أنهم كلهم مسلمون وكلهم من أهل السنة، ومثلما تبادل الإمام مالك وابن إسحاق البغض وكلهم مسلمون وهكذا سائر خصومات الأقران لا بد أن يصاحبها بغض لكن هذا البغض لا يجوز أن يدفع صاحبه لتكفير خصومه إلا بدليل ظاهر له فيه من الله برهان.

فليس هناك مسلم يكره من دخل في الإسلام ولا نصراني يكره من دخل في النصرانية ولا شيعي يكره من دخل في التشيع ولا سلفي يكره من دخل في السلفية... فهذا منطق عجيب.

نعم، قد يصوبه رجل في بعض ما يذهب إليه؛ وهو كإنكار البدع والدعوة للتوحيد الخالص لكن لا يذهب معه إلى نهاية الطريق ويكفرهم.

بمعنى أنه يعرف أن قول الشيخ فيه حق وباطل؛ فهو يأخذ الحق ويترك الباطل، والشيخ يريد منه إما أن ينكر كل ما يقول به أو يتبعه كله؛ وهذا لا يلزم إلا في دعوة الأنبياء الذين يجب اتباعهم في كل ما يقولون به ويأمرون به وينهون عنه، أما سائر الناس من خلفاء وعلماء؛ فالناس قد خالفوهم في بعض الأمر؛ فلم يصبهم منهم التكفير ولا القتال، فبعض الصحابة تخلفوا عن الإمام علي في قتاله لأهل البغي، وبعض الناس حاربه، وبعضهم خذل الناس عنه، ولم يقل عن المتوقفين ولا المخذلين ولا المحاربين : (إنهم سبوا دين الرسول)! أو (نهوا الناس عن دين الرسول)! مع أن الدين الذي يدين به علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر أصفى وأنقى من الدين الذي يدين به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولو سار الإمام علي على منهج الشيخ لكفر أهل الجمل وأهل صفين والحرورية، بدعوى أنهم (يحاربون دين الرسول)! إضافة إلى أنه كان يملك من النصوص الخاصة –فضلاً عن العامة - ما يستطيع به أن يدعم تكفيره لهذه الطوائف[1].

---

(١) فمن النصوص في الخوارج (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)! ومن النصوص الخاصة في الفئة الثانية: فئة معاوية (يدعون إلى النار) وورد أنهم (قاسطون: أي جائرون)، فهاتان الطائفتان (الخوارج والبغاة) كان يمكن للإمام علي ومن معه من أهل بدر والرضوان أن يكفرهم بها لو استجاب للحماس الداخلي وظروف المعركة الخارجية، كان يستطيع أن يقول من مرق من الإسلام مروق السهم من الرمية فلن يعود فيه! ومن دعا إلى النار فليس بمسلم، و(أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)، لكن الإمام علي ومن معه من أهل بدر كانوا أتقى لله من أن يعملوا النصوص في غير ما هي فيه من تخطئة البغاة والخوارج ووجوب قتالهم.

صحيح أنه قد صحَّ عن الإمام علي أنه كان يقول: (لا أجد إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل على محمد)؛ يعني بذلك نفسه، أي أنه لو لم يقاتل البغاة والخوارج فكأنه كفر بالآية الكريمة ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾[1]، فالكفر هنا يعني به (عدم الاستجابة لأوامر الآية)، لكنه لم يكفر أهل البغي ولا الخوارج فضلاً عن المتوقفين والمخذلين، وعذرهم في الشبهة التي عرضت لهم حتى لو كان يعرف أن بعض رؤوسهم كمعاوية ليس جاداً وإنما هو طالب ملك، لكن السيرة في قتال أهل البغي يجب أن يتم التعامل فيها مع ظاهر مطالبهم وهذا من كمال العدل مع الخصوم، لأن التعامل بالنيات والتوقعات ليس منهجاً شرعياً ولو كان شرعياً لفعله النبي ﷺ مع المنافقين، ولفعله الإمام علي مع معاوية والخوارج.

والخلاصة هنا: أنه إذا كان القتال مع علي بن أبي طالب ليس واجباً على من عرضت له شبهة -مع وجود الأدلة العامة والخاصة الصحيحة والصريحة في وجوب قتال البغاة والخوارج - فالقتال مع الشيخ محمد وتكفير من خالفه لا يجب من باب الأولى.

---

(١) الآية محكمة وقد حاول بعض علماء الحنابلة من الشاميين المنحرفين عن علي -وهو ابن تيمية- أن يتفلسف ويزعم: (أن قتال الفئة الباغية لم يأمر الله به ابتداء)! ونسي أو تناسى أن الصلح أيضاً في الآية نفسها لم يأمر الله به ابتداءً أيضاً! وإنما أمر به بعد القتال! فهل يقول عاقل: إن الصلح بين فئتين غير مشروع حتى يقتتلا؟! فإذا كان جامداً على (الظاهر اللفظي في الآية) فليجمد على ظاهرية كل الآية جميعاً؛ وإن كان يرى (مشروعية الصلح ابتداءً) ولو لم يحدث قتال؛ لزمه أن يرى (مشروعية قتال الفئة الباغية) ولو لم يحدث صلح، أما أن يجمد على نصف الآية ويترك بقيتها فهذا تناقض يدل على الهوى، وقد يتحقق الصلح بلا سابق قتال، كما أنه قد يتحقق البغي بلا سابق صلح، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ سمى فئة معاوية باغية ولم يحدث قبلها إلا دعوتها للجماعة، فإما أن يكون هذا هو الصلح المأمور به في الآية في حالة كون الخصم إماماً شرعياً، وإما أن تحقق البغي لا يشترط فيه صلح سابق، وإن استفدنا (مشروعية الصلح) مطلقاً من خارج الآية نستطيع بسهولة أن نستفيد (مشروعية قتال أهل البغي وشاق العصا) من خارج الآية أيضاً، فتبين بهذا وغير أن حبل النصب قصير، وإن دندن حوله بعض علماء الشام!

وكذا تكفيره لمن لم يهاجر ويترك وطنه ! فهذا خطأ أيضاً لأن الهجرة الشرعية التي تجب ويكفر من تركها مستطيعاً كانت الهجرة إلى النبي .

أما الهجرة بعده ﷺ فتجب بشروط لكن دون تكفير لتاركها ، وقد لا تجب لمصالح أخرى مثلما زماننا هذا ، فإنه لا يجوز لنا تكفير المسلمين المضطهدين في العالم الذين لا يريدون الهجرة من ديارهم.

النموذج الثاني والثلاثون : قوله في الأشاعرة والظاهرية.

نقل الشيخ قولاً (١/١١٢) يوحي بتكفير الأشعري وغيره ممن ينفي الصفات ! وابن حزم على النفي المطلق للصفات وحجته تجدوها في كتابه الفصل ، فاقرؤوها قبل أن تكفروه.

النموذج الثالث والثلاثون : أقواله في الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم.

وقال ص١١٣ المعطل شر من المشرك !! والمعطلة عند السلفية يدخل فيهم الأشاعرة وابن حزم الظاهري ومعظم الظاهرية وأكثر الصوفية والشيعة والأحناف وكثير من أتباع المذاهب الأربعة إلا من كان مقلداً لغلاة الحنابلة ولابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ، وهذا يخرج أكثر الأمة من الإسلام.

النموذج الرابع والثلاثون: عودة لتكفير ابن عربي وابن الفارض.

ثم ذكر (١/١١٣) أن إنكار الرب تبارك وتعالى هو (مذهب ابن عربي وابن الفارض وفئام من الناس لا يحصيهم إلا الله)!! مع أنه ذكر ص٣٤ أنه لا يكفرهم !! فقال : ـ ذكروا عني أنني (أكفر ابن الفارض وابن عربي..) وجوابي على هذا المسائل أن أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم !!) بل صرحً ص١٠٤ بأنه لا يكفر (من عبد الصنم)!!

أقول: كيف يصح عندك أنهم ينكرون الرب عز وجل ثم لا تكفرهم؟! ولا تكفر من يعبد الصنم؟! بينما تكفر من يؤمن بالله ورسوله ويقيم أركان الإسلام ويجتنب المحرمات مع أخطاء تصاحب ذلك سواءً في الاعتقاد أو العمل.

النموذج الخامس والثلاثون: في الأشاعرة أيضاً.

١. وذكر (١/١١٣) أن منكر الصفات منكر لحقيقة الألوهية!!

أقول: وهذا يلزم منه تكفير الأشاعرة وابن حزم وأغلب أتباع المذاهب الأربعة، وهم لا ينكرون حقيقة الألوهية.

وقد عرض بالأشعري وسماه (إمامهم الكبير)!! ص١١٤ يقصد إمام المعطلة أو المتكلمين، وأنا ممن يأخذ على الأشعري أخطاء كبيرة خاصة في دعاواه الإجماع على أمور مختلف فيها، وأشجع الرد عليه بالحق مثلما نشجع الرد على ابن تيمية بالحق أيضاً لا بالباطل، فكلاهما مسلمان فقيهان لهما فضلهما وعلمهما لكن وقعا في بعض الأخطاء كبيرة كانت أو صغيرة، وإن كانت أخطاء ابن تيمية أعظم بكثير من أخطاء الأشعري.

النموذج السادس والثلاثون: تكفير أكثر المسلمين في عهده.

قوله عن المسلمين المعاصرين له ص١١٧ (وكثير من أهل الزمان لا يعرف من الآلهة المعبودة إلا هبل ويغوث ويعوق ونسراً واللات والعزى ومناة!! فإن جاد فهمه عرف أن المقامات المعبودة اليوم من البشر والشجر والحجر ونحوها مثل شمسان وإدريس وأبو حديدة ونحوهم منها)!!.

أقول: لا تعليق! وفي النص التالي جعل (أكثر المسلمين كفاراً).

النموذج السابع والثلاثون: أكثر المسلمين أشد كفراً من كفار قريش!!

وقال ص١٢٠ (شرك كفار قريش دون شرك كثير من الناس اليوم).!

وهؤلاء الناس الكفار هم عند الشيخ الأكثرية يقول ص١٦٠ (فإذا علمت هذا وعلمت ما عليه أكثر الناس علمت أنهم أعظم كفراً وشركاً من المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ!!.

وذكر ص١٦٢ من هؤلاء الكفار (الذي يحكم بغير ما أنزل الله) وهذا عمدة الذين يكفرون الحكام وقد لقي هذا النوع نقداً من العلماء المعاصرين لكن للأسف كان لظروف سياسية وليس عن مبادرة من العلماء حتى يكون لكلامهم مصداقية عند الشباب فهؤلاء الشباب يقولون للعلماء أنتم أصبحتم صوتاً للحاكم فإذا سخط على أناس كفرتموهم وإن نهاكم انتهيتم وبهذا لا يكون لهم مصداقية لكن لو قاموا من زمن بعيد وذموا الغلو في التكفير وردوا عليه لما وقع العلماء في هذا الحرج وكذلك الحكام، أقول هذا مع مطالبتنا بتحكيم الإسلام في كل شؤوننا لكن نريد ذلك التحكيم الصادر من الكتاب والسنة لا من ضيق المذهبية ولا من اختيارات منتقاة من بعض العلماء.
وهذا يتطلب الانفتاح على كل المذاهب الإسلامية مع الحوار والبحث الجاد المتأني والدراسة الموسعة.

النموذج الثامن والثلاثون:

وذكر (٢٣٤/١) أنه لا يكفر إلا: (من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً)!!

ثم مثل لذلك بقوله: (كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الإشراك ويمتنعون من فعل الواجبات ويتظاهرون بأفعال الكبائر، المحرمات...)!!.

أقول: رغم أن الناقل أحد الطرفين، وأن أحد الخصمين لم نسمع قوله بعد، إلا أننا عرفنا عذره من خلال نقل الشيخ عنهم بعض الحجج – كما سبق - فإذا كنا قد عرفنا براءتهم من خلال العرض الناقص من خصومهم فهذا يدل على أنهم في مستوى كبير من قوة الحجة! فهم الآن بلا كتب ولا دولة ولا جامعات ولا منابر ولا دعايات،

لكن عرفنا من عرض الشيخ محمد رحمه الله لحججهم أنهم مسلمون مؤمنون مثلهم مثل سائر المسلمين في العالم الإسلامي يومئذ.

ثم نقول للشيخ ومقلديه: هؤلاء لا يسلّمون لكم بأن حجتكم مقبولة، وأنها واضحة، وأنهم إنما استكبروا وأصروا، فهم على الأقل لا يرون دعوتكم حقاً خالصاً، وإنما يعرفون منها وينكرون، ومثل هؤلاء لم توضح لهم الحجة، فلا يكفي في إبلاغ الحجة أن ترسلها في رسالة أو تكتبها في كتيب، لأنهم يرون أن هذه الحجة التي تكفي فيها الرسالة خاصة بالنبي ﷺ الذي دعوته حق كلها، أما بعد تعقد العلوم وتعدد الاجتهادات، فلا يكفي مجرد بلوغ الدعوة، لا سيما وأنهم يصلهم من علمائهم عن الشيخ تكفير واستباحة دماء، ويتواتر هذا عندهم أكثر من تنصله من التكفير، بل وجدنا بعضهم ـ كابن سحيم ـ على مستوى كبير من الأمانة العلمية في نقله عن الشيخ، بحيث أننا وجدنا ما يصدق أقواله من كتب الشيخ، رغم أن الشيخ قد أسمى فعل ابن سحيم (بهتاناً عظيماً)! فهذا يدعو مخالفيكم للشك والريبة، ولا يثقون بتنصل سبقه وقوفهم على كتب بخطكم فيها ما يخالف التنصل، فهذا وأشباهه من أعذار هؤلاء في عدم الاستجابة والدخول في الدعوة فلماذا تكفيرهم؟ لا سيما وأن معهم الكتب الفقهية، وكتب لابن تيمية وابن القيم تنكر التكفير العام ـ على ما فيها من غلو ـ فمثل هؤلاء المخالفين للشيخ من العلماء وخاصة الحنابلة ـ وخاصة أهل نجد منهم ـ وجدنا ما يكفي من حججهم، في ردود الشيخ عليهم، بعد هذه الأزمان من الانتصار لدعوة الشيخ والدعاية الكبيرة لها سيفاً وقلماً... فهذا الأمر يدعو للإعجاب الكبير بنجد وعلمائها أيام الشيخ محمد وقبله، ويدل على أنهم قد وصلوا لمراحل من العلم قوية، فرحمهم الله جميعاً ورحم الشيخ وأتباعه، وعمهم بعفوه وغفرانه.

فلو سألناهم هل بلغتهم الحجة كما قال الشيخ لكان جوابهم: نحن نقوم بأركان الإسلام بشهادة الشيخ نفسه، لكنه مع ذلك كفرنا هذا الشيخ وأتباعه ورأوا قتالنا إلا أن

نترك ديارنا ونهاجر إليه ونقاتل معه المسلمين الذين حرم الله قتالهم...الخ) فمثل هذه الحجة القصيرة كافية في التورع عن تكفيرهم وقتالهم، فمن كان يرى هذا فلا يجوز تكفيره وقد يجوز قتاله لبغي أو قطع طريق أو ظلم .

النموذج التاسع والثلاثون :

و الغريب أن الشيخ رحمه الله يورد استدلالاً عجيباً (١/١٤٥) وهو: أن إقرار الكفار بتوحيد الله لم يعصم دمائهم وأموالهم؟!

أقول : على التسليم بأنه ليس فيهم دهريون ولا منكرون لليوم الآخر والنبوات، فإن توحيدهم لم يعصم أموالهم لأنهم لم ينطقوا بالشهادتين ولو فعلوها ولو باللسان لعصمت دمائهم وأموالهم كالمنافقين.

أما الشيخ وأتباعه رحمهم الله فلم يكتفوا من الناس بالنطق بالشهادتين ولا تطبيق أركان الإسلام الخمسة ولم تعصم هذه كلها دماءهم ولا أموالهم .

والتناقض عند الشيخ عجيب فهو مرة يبالغ في الإكثار من عدد الكفار كما في (١/١٥٦ -١٦٠) وكذلك في (١/ ٢٦٦): أن الشرك قد ملأ الأرض في عصره بينما يقول (١/٨٣): أن أكثر الأمة على الدين الصحيح!!

النموذج الأربعون: تكفير الجاهل إن نطق بكلمة كفرية!

الشيخ يرى : تكفير من نطق بكلمة كفر حتى ولو جهل معناها! أو ظن أنها لا تكفره (١٠/١٢٥)، واستدل بقصة منافقي تبوك! مع أنه لا يصلح الاستدلال بها، لأن هؤلاء كانوا يعرفون معنى ما يتكلمون به بأنه استهزاء لكن اعتذارهم كاذب، وقد تم التنبيه على هذا الأمر.

الخلاصة:

وهكذا نجد أن منهج الشيخ بشكل عام وكل علماء الدعوة تقريباً، على التكفير، والغلو فيه، وأظن أن الأمثلة السابقة كافية جداً لمن أراد أن ينصف، وهذه اللغة في التكفير هي الغالبة على حوالي (٩٥٪) من كلام الشيخ وأتباعه في التكفير، أو في ما يسمى بمسألة (الأسماء والأحكام)، وهناك قليل لا يتجاوز (٥٪) على خلاف هذا المنهج، قد يكون قالها الشيخ أو أتباعه في لحظة هدوء نفس، أو للسياسة، أو نحو ذلك.

فلذلك يجوز للسياسي أن يوظف هذا القليل من ذم التكفير لكن طالب العلم يجب أن يعرف السمة العامة لمنهج ما أو فكر ما، ولا يجعل القليل هو الغالب أو يعكس القضية، أو على الأقل لينقل الوجهين ثم ليرجح أن هذا الوجه أغلب أو هذا.

ولذلك رأيت أن أنقل من ذلك القليل (الذي لا يتجاوز ٥٪) بعد قليل، حتى تكون الأمانة العلمية أقرب، لأنني رأيت المؤيدين ينقلون من هذا القليل فقط، والخصوم ينقلون من ذلك الكثير فقط، ومحاولة إيضاح كل الصورة، وبيان مقدار النسبية أكمل وأعدل.

تنصل الشيخ من التكفير:

ومع هذا كله نجد الشيخ رحمه الله كثيراً ما يتنصل من التكفير ويدفعه عن نفسه، يقول (وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله)![1]

قلت: حتى مع هذا التنصل فهذه العبارة فيها تكفير ضمني لمن ينكر عليه التكفير! لأن من (أراد تنفير الناس عن دين الله فهو كافر) على منهج الشيخ ومنهج غيره، فالتكفير إن لم يختف في مثل هذه المواطن من الدفاع عن النفس من تهمة التكفير فمتى يختفي؟

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ١١٣)

هل تناقض الشيخ ؟!

الشيخ نفى عن نفسه أموراً أكثرها موجودة في فتاواه فلعل نفيه لها رجوع أو ذهول أو مناورة ومنها:

١. إنكاره أنه يبطل كتب المذاهب الأربعة (الدرر ١/٣٤)،(١٠/١٣)، مع أنه يسميها في موضع آخر (عين الشرك)!(٢/٥٩).

٢. إنكاره أنه يقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء! (الدرر ٩/٣٤)، (١٠/١٣)، وهذه قد لا يكون قالها بالنص، لكن له عبارات في اتهام أكثر المسلمين في نجد والحجاز، من ثلاثة قرون أو أربعة، وقد يفهم من بعض العبارات امتداد التكفير لقرن آخر أو قرنين، وعلى كل ليس شرطاً ألا يثبت الغلو في التكفير إلا إذا قال بالعبارة السابقة، فالتكفير الثابت فيه الكفاية، ويكفيك من القلادة ما (أطاح) بالعنق!

٣. إنكاره أنه يدعي الاجتهاد والخروج عن التقليد (٩/٣٤)، (١٠/١٣)، مع أنه لم يسبقه أحد إلى أمور سبق ذكرها.

٤. أنكر أنه يقول اختلاف العلماء نقمة (٩/٣٤)، (١٠/١٣).

٥. أنكر أنه يكفر من توسل بالصالحين (٩/٣٤)، (١٠/١٣).

٦. أنكر أنه يكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق (٩/٣٤)، (١٠/١٣) وهو يكفر من يعتقد دون ما ذكره البوصيري..

٧. أنكر أنه يقول لو قدر على قبة رسول الله لهدمها، ولو قدر على الكعبة لأخذ ميزابها وجعل لها ميزاباً من خشب (٩/٣٤)،(١٠/١٣)، وقصتهم في المدينة والبقيع مشهورة.

٨. أنكر أنه يحرم زيارة قبر النبي ﷺ (٩/٣٤)، (١٠/١٣).

٩. أنكر أن يكون قد حرم زيارة قبر الوالدين (٩/٣٤)، (١٠/١٣)

١٠. أنكر أنه يكفر من حلف بغير الله (٣٤/٩)، (١٣/١٠).

١١. أنكر أن يكفر ابن الفارض (٣٤/٩)

١٢. أنكر أنه يكفر ابن عربي (٣٤/٩)، مع أنه في مواضع أخرى يرى أنه أكفر من فرعون!، بل يكفر من لم يكفره وطائفته! (انظر: الدرر السنية ٢/١٠، ٤٥/٢٥).

١٣. أنكر أنه يحرق دلائل الخيرات (٨٠/٩، ٣٤)، مع أنهم لما دخلوا مكة حرقوه (٢٢٨/١)!

١٤. أنكر أنه يحرق روض الرياحين(٣٤/٩)، مع أنهم لما دخلوا مكة حرقوه أيضاً! لأنه يدخل الناس في الشرك!(٢٢٨/١).

١٥. أنكر أنه يكفر جميع الناس إلا من تبعه (٨٠/٩)، لم يقل هذا بنصه وإنما بمعناه وقد سبق الإثبات.

١٦. وأن أنكحتهم السابقة غير صحيحة(٨٠/٩) مع أنهم إن كانوا على إنكار البعث ولا يفرقون بين دين محمد بن عبد الله ودين عمرو بن لحي، فهم كفار!

١٧. وأنكر المبادأة بقتال الآخرين وأنه لا يقاتل إلا دفاعاً عن النفس والحرمة، من باب رد السيئة بسيئة مثلها، إضافة إلى قتال من سب دين الرسول!(٨٣/٩)، والعبارة الأخيرة تطمس ما قبلها، فهو يعد مذهبه دين الرسول، ومذهب غيره من المسلمين أشد كفراً من مذهب عمرو بن لحي وكفار قريش.

١٨. ذكر أنه لا يكفر من عبد الصنم ! الذي على قبر عبد القادر ولا من عبد الصنم الذي على قبر البدوي! لجهل الذين يعبدون تلك الأصنام! (١٠٤/١)، لكنه في مواضع أخرى كفر من يفعل دون هذا بكثير، ثم هو لا يعترف بمانع الجهل، ويكتب في إبطال هذا المانع (انظر: الدرر السنية ٣٦٩/١٠، ٣٦٨، ٣٩٢)

١٩. وأنه لا يكفر من لم يهاجر إليه(١٠٤/١)، مع أنه خالف هذا ولكن بوضع شروط تؤدي لهذا مثل : أن يكون الشخص قادراً على إظهار دينه! وهذه

القدرة لها شروط أيضاً من أن يكفر أهل بلده ولا يصيبه أذى! فعاد النهر ليصب في المنبع! فالبلدة التي يتمكن فيها الشخص من هذا يعني أنها أصبحت وهابية والسلام! لأننا رأينا أنه يعتقد أن من الدين كذا وكذا وكذا ... مما لا يصح شرعاً ولا يوافقه عليه إلا مقلدوه، فإذا تمكن المقلد من إظهار هذا الدين في بلده، فيعني الحكم على الفترة السابقة بالكفر الأكبر، كما فعلوا مع علماء الحرمين، وإذا تمكن المقلد من تكفير أهل بلدته قبل هذه الدعوة ولم يتعرض لأذى فمعنى هذا أنها مهيأة لاستقبال سرية صغيرة من عشرة أفراد فقط من وهابية القبيلة المجاورة! ليعلموا الناس العقيدة ولجباية الزكاة لبيت مال المسلمين والأمر بحلق الرؤوس[1]!

٢٠. وأنه لا يكفر من لم يكفر المخالفين ويقاتلهم (١/١٠٤)، وقد رأينا أنه يفعل هذا، فهو يكرر أن من شك في كفر الكفار فهو منهم، والمسلمون في زمنه هم عنده أشد كفراً من كفار قريش!

٢١. وأنه لا يكفر تارك الصلاة(١/١٠٢)، لكن أتباعه اليوم يكفرون تارك الصلاة، وهذا أمر مختلف فيه من قديم، وكان الحنابلة ممن يشدد في هذا.

٢٢. وأنه لا يكفر من لم يدخل في طاعته(١٠/١٢٨)، وقد سبق أنه يشترط فيهم إظهار آراء الشيخ والبراءة من خصومه الذين يسميهم المشركين!.

٢٣. ذكر أنه لا يحكم بالكفر على الجاهل الذي يعمل الشرك والكفر حتى تبلغه الحجة؛ وإنما يقول عمله عمل الكفار (١٠/١٣٦) ولكنه في نصوص أخرى

---

(١) قال عبدالله بن عيسى: (بلغني أنه حلق ناس من أهل تهامة رؤوسهم على ضوء السراج نحو ست مائة رجل في ليلة واحدة؟!، وقد اعترف الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب بأن (بعض البوادي الذين دخلوا في ديننا قاتلوا من لم يحلق رأسه... وأن من لم يحلق رأسه صار مرتداً)، دعاوى المناوئين (١٨٤).

حكم بأن شيوخه وشيوخهم وشيوخ شيوخهم كانوا يفضلون دين عمرو بن لحي على دين النبي ﷺ! وأن أكثر أهل نجد والحجاز على إنكار البعث! وكفر علماء حنابلة وعين أسماءهم، ونحو هذا الذي فيه التكفير صريحاً ويصعب تصديق ما ذكره في هذه المسائل.

٢٤. ذكر بأنه إنما ينفي الإسلام الصرف! الذي لا يخالطه شرك ولا بدع، أما الإسلام الذي ضده الكفر فلا ينفيه! (١٠/١٦)، وقد رأيتم حكمه على أناس بأنهم كافرون كفراً ينقل عن الملة! وأن مشركي قريش أخف من مشركي زماننا بمسألتين! ...الخ!

٢٥. وقد صرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله بأن أصحاب الشيخ محمد لو خرجوا من قبورهم لقاتلوهم! فقال (لو ظهر علينا أهل الدرعية لقاتلونا)!! (٦/١٦)، وهذه شهادة كبيرة على الغلو في التكفير والقتال، فإذا كان الناس في زمن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله يستحقون التكفير والقتال –على منهج الشيخ محمد - مع أنهم كونهم مغالين أيضاً في التكفير والقتال فكيف بالله عليكم ببقية المسلمين؟!! خاصة وأن عبد الرحمن بن حسن كان شديداً في الحق فارق الأمير فيصل بن تركي لأن الأخير طالب بمعاقبة أحد جنوده في الحوش ومنع من ضربه في السوق، فقال عبد الرحمن بن حسن: سلام عليكم وفارقه فلم يرجعه فيصل بن تركي إلا من الحوطة! ولم يرجع حتى ضُرب ذلك الجندي في السوق، فإذا كان هذا حال زمانه ويرى أن الشيخ محمد سيستحل قتالهم وتكفيرهم فكيف ببقية المسلمين؟ وهذا يدل على أن الشيخ محمد رحمه الله وأتباعه كانوا يكفرون ويقاتلون لأدنى سبب.

والخلاصة:

أنه من خلال قراءتي الموسعة لكتب الشيخ ورسائله، أجد تناقضات حادة، فينكر الشيء الثابت، ويتهم الآخرين بالكذب عليه – وهذا يحصل - لكن نجد أيضاً أن كثيراً مما يتبرأ منه موجود في كتبه، وهذا يدلنا على قوة مخالفيه ودقة مأخذهم، كما يدلنا على أن الشيخ رحمه الله إما أنه ينسى، أو أنه يتبرأ سياسة، أو أن من طبعوا كتبه في العقود الأخيرة –وهم وهابيون محليون - قد كذبوا عليه... لكن هذا كله يزول عندما أجد أن المواطن التي فيها تبرئة للنفس من التكفير تحمل تكفيراً أيضاً، لكنه تكفير خفي، كما سبق أن فصلنا في (تحرير محل الخلاف – نهاية المبحث الأول).

والمشكلة هنا أنك إن جئت بقول للشيخ فيه اعتدال استطاع مخالفك أن يأتي بعشرة أقوال فيها غلو، وإن طلبت منه أن يحسن الظن ويأخذ بفتاوى الشيخ المعتدلة – على قلتها وسط هذا الركام التكفيري - سيقول لك: نأخذ بالصريح المتواتر ونترك الشاذ، وهنا سينتصر الغلو، وهذه عقوبة من يرضى بالتحاكم إلى الشيخ؛ وليس إلى النصوص الشرعية.

المبحث الثالث

المسيرة تتواصل!

جاء تلاميذ الشيخ ومقلدوه رحمهم الله وسامحهم ليواصلوا التكفير فقالوا بتكفير من وافق أهل بلده في الظاهر وإن كان يرى خطأهم ومحب الشيخ في الباطن، وتكفير قبائل قحطان والعجمان، وتكفير أهل حايل، وتكفير من خرج إلى البلدان خارج بلدان الدعوة إذا كان يرى إسلام أهل تلك البلدان، وتكفير ابن عربي وابن الفارض — وهذان لم يختص بتكفيرهما الوهابية وإن كان التبديع أليق وأسلم - وتكفير أهل مكة والمدينة، وتكفير الدولة العثمانية، بل وتكفير من لا يكفرها! وتكفير الإباضية وأكثر الفرق الإسلامية، مع آراء مغالية جداً ضد التعليم والمرأة ومظاهر الحياة العصرية.

وسأقسم المسيرة هنا لقسمين:

الأول: أقوال مدرسة الشيخ في تأكيد منهج الشيخ في التكفير:

الثاني: آراؤهم المغالية في الأمور المستجدة وأبرزها التعليم المعاصر.

القسم الأول:

وهو خاص بتأكيد غلو المتأخرين من الوهابية للغلو الذي صدر من الشيخ رحمه الله، فمن أمثلة ذلك:

1. تكفير من وافق أهل بلده ـ كالحجاز أو اليمن أو الشام ـ ولو في الظاهر وإن كان في الباطن محباً للوهابية مبغضاً لقومه، جاء هذا في الدرر السنية(١٢١/٨) قاله الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد رحمه الله.
2. وأما تكفير المسافر إلى خارج بلاد الدعوة خاصة مع اعتقاد إسلام البلدان الأخرى (٤٢٤/٨) وهذا قاله حمد بن عبد العزيز.

٣. وأما تكفير ابن عربي وابن الفارض وأنهما من أكفر أهل الأرض، ففي الدرر (٣٦٦/٨) وهذا عند الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله.

٤. وأما التصريح بأن مكة والمدينة ديار كفر آبين عن الإسلام، ففي الدرر (٢٨٥/٩).

٥. وأما تكفير الدولة العثمانية ففي الدرر(٤٢٩/١٠) وأن من لم يكفرها فهو كافر! لا يعرف معنى لا إله إلا الله! وأن من أعانهم فقد ارتكب الردة صريحة! قالها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البابطين رحمه الله.

٦. وأما تكفير قبيلة قحطان ففي الدرر(٥٠٣/١٠) بسبب تحاكمهم إلى الأحكام القبلية، وهذا عند ابن سحمان.

٧. وأما تكفير قبيلة العجمان ففي الدرر (٥٠٣/١٠) بسبب تحاكمهم إلى الأحكام القبلية عند ابن سحمان أيضاً.

٨. وأما تكفير أهل حايل ففي الدرر(٢٩٢/٩، ٢٩١) وأن جهادهم من أفضل الجهاد.

٩. تكفير الإباضية (٤٣١/١٠، ٤٣٨) عند عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله.

١٠. تكفير من دخل في الدعوة وادعى أن آباءه ماتوا على الإسلام! يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه! وصار ماله فيئاً للمسلمين! (١٤٣/١٠)[1]، وإن كان قد حج فعليه إعادة الحج لأن حجه قبل انضمامه للدعوة كان أيام شركه ومن شروط الحج الإسلام! (١٣٨/١٠) وهذا عند أبناء الشيخ وحمد بن ناصر رحم الله الجميع وتجاوز عنهم ووهب أخطاءهم لصوابهم وغفر لهم ولنا.

١١. تكفير الجهمية (٤٣٠/١٠) وأنهم زنادقة مرتدون بالإجماع هذا عند بعض الوهابية علماً أنهم يدخلون الأشاعرة في الجهمية! وقد اعتدل آخرون من

---

(١) إلا إذا كان آباؤه داخلين في الدعوة أو أنهم لم يرتكبوا شيئاً مما نهى عنه الشيخ.

علماء الدعوة، في الدرر (١٠/٣٧٣) فذكروا الخلاف في تكفيرهم وأن الحكم بإسلامهم ليس مجمعاً عليه، وهذا أخف من مدعي الإجماع على كفرهم.

١٢. تكفير من سمى الوهابية خوارج (١٠/١٨٢) عند الشيخ عبد الله بن محمد مع أنه من المعتدلين، وهذا رد للتبديع بتكفير! ولذلك لم يكفر عليٌّ ومن معه من الصحابة الخوارج مع أن الخوارج كفروهم، وقد اعترف الشيخ بأنه (لا يجوز تكفير من يكفرنا) (١٠/٢٤).

١٣. يرى الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: أن صلاة أحمد خلف الجهمية من أوضح الأدلة على كفرهم (١٠/٤٢٠)، وهذا استدلال غريب عجيب يصعب عليّ فهمه!.

١٤. من قال لا إله إلا الله حال الحرب يقتل ولا يتوقف عنه كما فعل أسامة بن زيد لأن صاحب أسامة لم يقلها قبل ذلك وهم يقولونها قبل ذلك!! (٩/٢٣٩).

١٥. تكفير من بلغته الدعوة ولم يسلم (٩/٢٤٥).

١٦. تكفير من لم يكفر أهل مكة (٩/٢٩١).

١٧. تكفير الأشاعرة وأنهم لا يعرفون معنى الشهادتين (١/٣٦٤، ٣٦٢، ٣٢٤، ٣١٢، ٣٢٠).

١٨. تكفير المعتزلة (١/٣٥٧).

١٩. تكفير الخوارج وأنهم خارجون عن الإسلام (١٠/١٧٧) عند عبد الله ابن الشيخ.

٢٠. تكفير مانعي الزكاة وأنهم خارجون عن الإسلام (١٠/١٧٧) عند عبد الله ابن الشيخ.

٢١. تكفير الناس بالحرمين ومصر والشام واليمن والعراق ونجران وحضرموت والموصل والأكراد (١/٣٨٥، ٣٨٠).

٢٢.وتحدث الشيخ ابن حميد رحمه الله عن (انقلاب الأكثرين عن دين الإسلام وموالاتهم لعبدة الأوثان وأعداء الشريعة من الملحدين والنصارى والرافضة) (٤٧١/١٥)، وأن هذا (عام في القرى والأمصار والبوادي إلا بقايا ممن رسخت في التوحيد عقائدهم) (٤٧١/١٥)!

٢٣. وأن (كل مسلم يوالي الكفار والمشركين واليهود والنصارى ولا ينكر عليهم شركهم ويحسن أفعالهم أو يشك في كفرهم أنه كافر ولو عرف التوحيد وعمل بشرائع الإسلام الظاهرة) (٤٧٥/١٥).

٢٤.ثم ذكر أنواع التشبه بالكفار والركون وذكر منها (اللبس وزيارتهم ولين الكلام ومد العين إلى زهرتهم وتقريبهم في الجلوس واستعمالهم في الوظائف والدخول عليهم والبشاشة لهم أو إظهار ولو شيء من البشاشة! والطلاقة والإكرام العام ومعاونتهم ولو بأدنى شيء والتزيي بزيهم والسكنى معهم في ديارهم والميل اليسير فكيف بمجالستهم ومؤاكلتهم وإلانة الكلام، وتقريبهم في الجلوس) (١٥/ ٤٧٦ -٤٨٢)!

٢٥. ثم يقول (وإذا فهمت ما تقدم تبين لك انحراف كثير من أهالي هذا الزمان وردتهم الصريحة)! وأن من أكرمهم أو أثنى عليهم أو عاشرهم أو لم يعلن البراءة منهم (فهذا ردة من فاعله! يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين! كما يدل على ذلك الكتاب! والسنة! وإجماع الأمة! المقتدى بهم)! (٤٧٩/١٥).

٢٦. وأنه (يحرم السفر إلى بلاد المشركين للتجارة إلا أن يكون المسلم قوياً له منعة يقدر على إظهار دينه وتكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم! والبراءة منهم! وإظهار البغضاء والعداوة لهم، ولا يبدؤوهم بالسلام، وإذا لقوهم في طريق فليضطروهم إلى أضيقه وأن يصرح لهم بأنهم كفار!وأنه عدو لهم ويعلمون

منه ذلك! فإن لم يحصل لم يكن مظهراً للدين[1]! ولا يعتبر فعل الصلاة فقط إظهاراً للدين ولا اعتزالهم واجتناب ذبائحهم)! (١٥/ ٤٨٢ -٤٩١)!.

٢٧. وأن الذين يستخدمون الخدم الكفار في بيوتهم ومكاتبهم وأشغالهم.. ومع ذلك هم تاركون لكثير من الواجبات فاعلون لكثير من المحرمات لا يعرفون من الشهادتين إلا الألفاظ فهم مثل هؤلاء كفار مرتدون (ومن شك في ردتهم عن الإسلام فهو لا يعرف الدين ولم يشم رائحة العلم النافع)! (١٥/٤٨٦)، وأن مثل هذا الاستخدام (محرم بنص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة) (١٥/٤٨٦).

أقول: وبعد هذا الغلو الذي لم أجد له مثيلاً، يعيد كثير من العلماء والدعاة أسباب التكفير والعنف لسيد قطب والمودودي والإخوان المسلمون وحزب التحرير! صحيح أن في هؤلاء غلواً في الجانب السياسي، لكن لا يبلغ غلو الوهابية في الجوانب كلها سياسية وعقدية وفقهية وثقافية واجتماعية، فالإنصاف دين.

تأملوا العبارات السابقة وانظروا هل بقي شئ لتنظيم القاعدة والتيارات الجهادية لم يقل به الوهابيون؟ بل العكس صحيح، فالقاعدة والتيارات الجهادية لا تقول بكل هذا الغلو، فلا أعلم أنهم يقسمون بلاد المسلمين لديار كفر وديار إسلام، بل من أسباب نشأتهم الكبرى أنهم يرون أن الكفار اعتدوا على(بلاد المسلمين) فهم يقرون بإسلام الشعوب الإسلامية، وإنما ينصب تكفيرهم على الحكام، بينما الوهابية تكفر من خالفها من حكام ومحكومين، وتوجب الطاعة لأميرها على كل المسلمين (كما رأينا في البيان الإكراهي لعلماء مكة والمدينة) وهذه من انفراداتهم الكبرى، والدين ليس لعبة سياسية.

---

(١) ومعظم هذا يخص الكفار المحاربين لا المسالمين ولا أهل الذمة ولا المعاهدين، فكيف إذا علمنا أن المقصود بالمشركين في هذه العبارات -فيما يظهر- المسلمون في الدول المجاورة؟! فإذا أطلقوا (المشركين) فغالباً لا يقصدون الكفار الأصليين وإنما يقصدون المسلمين على الأكثر الأعم، والنادر لا حكم له.

إذن فمن الظاهر جداً أنه كان في علماء الوهابية من هو أصرح تكفيراً واستباحة للدماء من القاعدة وتيارات الجهاد في العالم الإسلامي، فالمستهدف الأساس بالتكفير والقتال هم المسلمون، مع إنكاري الشديد للغلو كله، ومن أي جهة كان، لكن يأبى ضميري وخلقي أن أقسو على الأضعف عدداً والأقل تكفيراً وأنسى الأوفر عدداً والأشد تكفيراً والأقدم منبعاً والأكثر متبعاً..

العلم يجب أن يكون هدفه الحقيقة وحدها، ثم بعد ذلك، لن تضر الحقيقة إلا من لا يريد الحقيقة.

القسم الثاني: نماذج من مواقف المتأخرين من التعليم:

سأذكر هنا فتاواهم المغالية في الأمور العصرية، وأشهرها التعليم، وقبل هذا أريد أن أبين أن سبب هجومهم على التعليم المعاصر فيما أظن، هو خشيتهم أن يزاحم العلوم الشرعية التي يوظفونها في نصرة الغلو الوهابي نفسه، وإلا فلا أحد من المسلمين لا يريد أن ينتشر العلم الشرعي، لكن أن يشوه الدين بالغلو، ويسمى هذا (علماً شرعياً) فهذا شئ آخر.

على كل حال: سأذكر النماذج دون الإشارة إلى أسماء قائليها منعاً للإحراج - لأن فيها آراء حادة جداً - ولأن الهدف نقد الفكرة وليس نقد الأشخاص فمن تلك النماذج قول بعضهم:

١. المعلمون الذين تستقدمهم وزارة المعارف من الدول العربية ملحدون (الدرر السنية ١٦/٥)، وزنادقة!! (١٦/١٢).

٢. ووصل التكفير إلى المعين، فكفر بعض العلماء دكتوراً اسمه فوزي الشيبي واتهمه بأنه أكبر داعية للإلحاد والزندقة[1] (١٦/١٢).

---

(١) وعمدتهم في هذا (بلغنا)!

٣. وأن هؤلاء المعلمين القادمين من الدول العربية قد جاءوا لشجرة لا إله إلا الله التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] ليقتلعوها من هذا الوطن(١٦/٨)!

٤. وأن هذه الشجرة قد زالت من تلك الأمصار[2](١٦/٨)!

٥. وأن هؤلاء المعلمين هم من أفراخ الإفرنج وعباد الأولياء ومن تاركي الصلاة وغيرها من شعائر الإسلام (١٦/١٠٠).

٦. وأن من سافر إلى الدول المجاورة لتعليم أو تجارة أو غيرها يجب أن يهجر حتى يظهر التوبة (١٥/٤٦٢).

٧. وكان المواطن القادم من تلك البلاد يغمس في الماء بثيابه بعد صلاة الجمعة ليمتنع من السفر لبلاد المشركين (١٥/٤٦٢).

٨. وفي فتاواهم التحريم والنهي عن كل العلوم غير الشرعية، كالرسوم والأشغال والرياضة والألعاب (١٦/١٥).

٩. والحقوق والطبيعة والتصوير (١٦/١٠).

١٠. والتعليم العصري (١٦/٥٠).

١١. وتعليم البنات(١٦/٧١)..

١٢. وأن العلوم العصرية هي مبادئ الإلحاد (١٥/٤٨٩). وقد بينها كاتب المقالة بأنها الرسوم والأشغال والرياضة والألعاب[3](١٦/١٥).

---

(١) مع ما في هذا من غلو ظاهر في الشيخ محمد، فشجرة لا إله إلا الله جاء بها النبي ﷺ، بل سبقه إليها سائر الأنبياء عليهم السلام، فلو كانت العبارة (الشجرة التي سقاها محمد بن عبد الوهاب) لكانت أليق بمقام النبي ﷺ وأليق بمقام الشيخ محمد مع التجوز في هذا أيضاً، أما أن نرفع من شأن الشيخ محمد على حساب النبي ﷺ فكلا وألف كلا.

(٢) وهذا تكفير صريح للمسلمين في الدول التي كانت وزارة المعارف تستقدم منها المعلمين، كمصر وسوريا والأردن والسودان وفلسطين ودول المغرب العربي وغيرها.

(٣) وقد حاول محشي الكتاب أن يخفف الإطلاق السابق فقال (يعني بالعلوم العصرية التي تؤدي إلى الإلحاد وتعليم التمثيل والأغاني والألحان وتعليم الغيب! بالنجوم والكواكب، وعلوم الفلسفة ولا يعني علم طبقات الأرض والطب والهندسة) اهـ مختصراً، وفي قوله هذا أيضاً غلو ظاهر، فليس هناك علوم تعلم الإلحاد ولا علم الغيب، حتى علم الفلسفة لا يعلم الإلحاد فهو بحسب الفيلسوف، ولعلنا نرى اليوم أن من أكبر المدافعين عن الإسلام أثراً وإقناعاً هم الفلاسفة المسلمون.

١٣. وأنه بتعليم المرأة يحصل التبرج وتمزيق الحجاب وكشف الساق والفخذ والرأس والصدر (١٦/٧٤)، وفتح بيوت البغاء والسينما والرقص والخلاعة! (١٦/٨١).

١٤. وأن النصيحة لكل مسلم ألا يدخل ابنه أو ابنته في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة وباطنها البلاء والفتنة ونهايتها السفور والفجور (١٦/٧٤).

١٥. وأن فتح مدارس البنات مصيبة عظيمة وطامة كبرى (١٦/٧٨، ٨٣).

١٦. واستنكروا على الرئيس العام لتعليم البنات عزمه على تعليم البنات الحساب والهندسة والجغرافيا (١٦/٧٩).

١٧. وأن المنادين بتعليم المرأة هم أفراخ الإفرنج (١٦/٨١).

١٨. وأنهم يحبون الشر ويبغضون الخير وأهله ويقلدون الكفرة ويتشبهون بالمجوس! (١٦/٨١)، وأنهم يحاولون إخراج البنات من بيوتهن ليتمكنوا من التمتع بهن بحيلة التعليم! (١٦/٨٢).

١٩. وأنه لا يرضى بهذه المدارس إلا من لا غيرة عنده ولا رجولة ولا دين والغالب على هؤلاء أنهم من دعاة الفجور (١٦/٨٤).

٢٠. وأن أهل هذه البلاد شابهوا الخارج من الكفار وأفراخهم في عدة أمور محظورة (محرمة) وذكروا منها الملاهي والتنزه والتلفزيون (١٥/٣١).

٢١. وحرموا لعب الكرة للطلاب وغيرهم وأنها سرت إلى المسلمين من الغرب فلم تكن على عهد الخلفاء الراشدين ولا ملوك المسلمين(١٥/٢٠٠، ٢٠٤) وأنها من التشبه بأعداء الله (١٥/٢٠٦)، ولا يمارسها إلا السفهاء (١٥/٢٠٦)، ومما يدل على أنها من التشبه أنها تطابق عمل الأمريكان في وضع أخشاب الكرة[1]! (١٥/٢٠٦)، وأن هذا من التشبه ثم أورد حديث (من تشبه بقوم فهو منهم)! وأنها من جملة المنكر الذي ينبغي تغييره (١٥/٢٠٦)، وأنها من الميسر(١٥/

---

(١) يقصد أن الخشبات الثلاث واحدة عند الكفار وعند المسلمين مما يؤكد التشبه بالكفار! وقد حاولت أن أتصور شكلاً آخر للمرمى يصلح أن نتفرد به عن الكفار ولم أجد!

٢٠٧)، وذكروا من أوجه تحريم الكرة أن فيها نوعاً من المرح وقد قال الله عز وجل (ولا تمش في الأرض مرحاً)[1]! (١٥/٢١٠)، وأنها من اللهو الباطل (١٥/٢١٣)، ومن الضلال (١٥/٢١٤)، وأنها شر من الشطرنج (١٥/٢١٥)، ومن لعب الشطرنج فهو فاسق (١٥/٢١٤).

٢٢. وأن التلفزيون آلة بلاء وشر داعية إلى كل رذيلة ومجون (١٥/٢٤٣)، وأن من رأى إباحة التلفزيون فقد قذف الشيطان بزبده في قلوبهم المظلمة (١٥/٢٣٦)، واتبعوا أهواءهم وهم قوم قد ضلوا وأضلوا من قبل وضلوا عن سواء السبيل (١٥/٢٣٦)..

٢٣. أما الغناء فقد بالغوا في تحريمه حتى حرموا سماع الدف بل أصوات السواني! (١٤/٥٣٦، ٥٣٧) وأن أصوات السواني المسماة المحال من المحرمات بلا ريب! (١٤/٥٣٧).

٢٤. وبالغوا في تحريم الدخان حتى أبلغوه لدرجة الخمر وأنه مسكر كالخمر! (١٥/٥٩، ٦٢) وأفتوا بأن شارب الدخان يجلد ثمانين جلدة كشارب الخمر تماماً (١٥/٩٣)!

٢٥. وبالغوا في تحريم التصوير بكافة أشكاله وأنواعه ما له ظل وما ليس له ظل وجعلوه أصل الشرك (١٥/٢٩٥).

٢٦. وأن لباس الشرطة محرم أيضاً لأنه من التشبه (ومن تشبه بقوم فهو منهم)! (١٥/٣٦٣)، فهو مشابه للباس الإفرنج المشركين (١٥/٣٦٥).

٢٧. وكذلك القبعة (١٥/٣٦٧).

---

(١) هذا من المبالغة في اعتساف النصوص الشرعية للاستدلال بها على التحريم، وهذه سمة غالبة على استدلالات كثير من العلماء سامحهم الله، فالأصل في الأشياء الإباحة وليس التحريم، ولأن تخطيء في التحليل خير من أن تخطيء في التحريم، لأن الأصل هو اليسر والإباحة والتبشير لا التنفير وغير ذلك من يسر الإسلام.

٢٨.والبنطلون (١٥/ ٣٦٧).

٢٩. ومـن جمـع بـين هـذه الألبسـة فـلا فـرق بينـه وبـين رجـال الإفـرنج (١٥/ ٣٦٧).

٣٠. وأن هـــذه الألبســـة دسيســـة ممـــن يـــريدون كـــيد الإســـلام (١٥/ ٣٦٦).

٣١. وإقرارها من إقرار شعائر الكفر والشرك (١٥/ ٣٦٦).

٣٢. وكذا الضرب بالرجل على الأرض والتحية العسكرية (١٥/ ٣٦٣)، وأن هذا الضرب بالأرجل تشبه ضرب الحمير والبغال بأرجلها إذا أحست بشيء يدب على أرجلها ! ففيها مشابهة من الجنسين!(١٥/ ٣٧٩).

٣٣. أمـا التصـفيق الصـادر مـن الـرجال فهـو مـن أبشـع المنكـرات! (١٥/ ٣٩٦)، وأنه من أعمال قوم لوط التي بها هلكوا، ومن التشبه بأعداء الله، (ومن تشبه بقوم فهو منهم) (١٥/ ٣٩٧).

٣٤. وأن التصفيق من خصائص النساء (وقد لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء)!(١٥/ ٣٩٩).

٣٥. وهو من جملة الأمور التي تدل على التخنث! (١٥/ ٤٠٤)، وهو من الكبائر (١٥/ ٤٠٤)!

أقول: هذه نماذج سريعة فقط من فتاوى العلماء المعاصرين من مدرسة الشيخ محمد رحمه الله، وغلوهم ظاهر في تحريم المباحات بل الضرورات فإذا كان القرار السياسي والتربوي قد أهملا هذه التحفظات لمصلحة العباد والبلاد فلماذا لا يتم إهمال (تكفير المسلمين) الذي ما زال في المقررات والخطب والفتاوى، أو على الأقل يتم السماح بمن أراد أن يراجع البنية الفكرية المحلية أن يفعل، أم أن مخالفة العلماء في تحريم الكرة أو تعليم البنات يعد تخلفاً أما طاعتهم في (تكفير المسلمين) فيعد اجتهاداً مقبولاً، وأننا لا نتدخل في العلم، ويبقى التبجيل لكل حامل غلو (فرب حامل غلو إلى من هو أغلى منه).

تكفير الوهابيين لبعضهم:

من نتائج تشدد الشيخ في التكفير أن أتباعه لم يلبثوا من بعده إلا سنوات قليلة حتى كفر بعضهم بعضاً، وسبى بعضهم نساء بعض ـ الدرر السنية (٨/٣٢٩)، (٩/٣٥، ٣٣، ٢٣، ٢٢)ـ، ولهذا أمثلة مشهورة نكتفي بمثالين:

المثال الأول:

أصدر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فتوى يتبرأ فيها من الأمير عبد الله بن فيصل لاستعانته بالدولة العثمانية (الكافرة)! فلما تغلب على الرياض بايعه الشيخ عبد اللطيف ورأى أنه قد أسلم مجدداً (والإسلام يجب ما قبله)! (الدرر٩/٢٢) ومرة قال إن تكفيره لم يثبت عنده! (الدرر ٩/٣٣)[1]؛ وكان قبل ذلك كان قد كفر سعود بن فيصل وجيشه لاستعانته بالكفار أيضاً (٨/٣٩٢)، ثم اضطر للحكم بإسلامه وبيعته لما تغلب! وهكذا مهازل، فمرة يجب جهاد هذا وتكفيره ثم تجب بيعته والجهاد معه ضد الآخر الذي كنا نفتي بإسلامه والجهاد معه! والأمير الآخر لا يعدم فقهاء يكفرون أيضاً! ثم ليس هناك إلا فتوى بالكفر أو بالإيمان فقط؛ لأن الناس تعودوا على هذه اللغة، ولم يسمعوا بقتال أهل البغي والظلم والاعتداء، فمن قاتلناه فهو مرتد كافر مشرك ككفر فرعون وإبليس! ومن قاتلنا معه فهو مؤمن كإيمان الأنبياء والصديقين وهو سلطان الله في الأرض!.

---

(١) والشيخ عبد اللطيف رحمه الله أقدر فيه محاولاته درء الفتنة والمحافظة على النفوس والأعراض والأموال لكنه رحمه الله يبرر كل موقف يتخذه بالشرع، فيجب قتال سعود بن فيصل بالشرع! ويجب نصرته بالشرع! ويجب جهاد أخيه عبد الله بن فيصل بالشرع! ويجب نصرته بالشرع! ويجب حرب المفسدين بالشرع! ويجب طاعة المفسدين بالشرع لأنهم متغلبون! وهكذا ...، (راجع الدرر السنية ٩/ ٣٤ وما بعدها)، هذا الشرع أنهكناه تماماً بمثل هذه التوظيفات. وكنت أتمنى لو أن الشيخ لم يحمل الإسلام كل هذه المواقف المتناقضة، وللأسف أن المنظومة السلفية بشكل عام من زمن قديم تعاني من هذا التناقض والتذبذب حتى أنه ليخيل للقارئ أن السلفي يريد أن (يطوّع الإسلام) لما يريد! فما يتفق مع هواه فهو المطلوب شرعاً بل هو التوحيد الخالص وما يكرهه أو لا يعقله فهو المذموم شرعاً! بل هو كفر وردة!!

المثال الثاني:

تبادل الاتهام بالكفر بين العلماء المؤيدين للملك عبد العزيز رحمه الله وبين جماعة فيصل الدويش، ولا ريب عندي في خطأ الدويش وأصحابه لكن خطأهم ليس كفراً مخرجاً من ملة الإسلام حاشا وكلا، بل هم مسلمون خارجون على ولي الأمر وهذا يسمى عند الفقهاء بغياً، أما العلماء المؤيدين للملك عبد العزيز رحمه الله فقد أصدروا فتوى بـ(تكفير الدويش والعجمان وإثبات ردتهم)! جاءت الفتوى من عدد من العلماء، منهم محمد بن عبد اللطيف ومحمد بن إبراهيم وسليمان بن سحمان وصالح بن عبد العزيز وكافة علماء العارض(الدرر٩/٢٠٩)، وقد أكدوا أنه (لاشك في كفرهم وردتهم ! ...وأن من أعظم الأدلة على ردتهم دعواهم أنهم لم يدخلوا تحت إمرة ابن سعود إلا مكرهين! وأنهم من رعايا الأتراك).

قلت : كان الملك عبد العزيز رحمه الله يرضى منهم بغير تكفير المسلمين، كان بإمكان هؤلاء العلماء الحكم على الدويش وأصحابه بالبغي وكفى، فالبغاة يجب قتالهم حتى يفيئوا إلى الحق، ويرجعوا إلى الجماعة، ونحن اليوم بالإجماع لا نقول بردة هؤلاء وإنما نقول بخطئهم وبغيهم على الحاكم، كل المؤلفات اليوم التي تتحدث عن ثورة الدويش وجهيمان وغيرهم إنما تتحدث عن خروج على ولي الأمر، وهذا يسمى عند الفقهاء بغياً بالإجماع، ولا يسمى كفراً ولا ردة.

وفي الوقت الحالي:

الجميع يعرف أن الوهابية بعد أزمة الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت) انقسمت الوهابية إلى أربعة أقسام، يبغض بعضها بعضاً، ويكيل بعضها لبعض سوء الاتهام، حتى خرج هذا في كتب ومقالات، والصراع مازال على أشده، بل وصل الأمر في الحالات إلى الإعتداء الجسدي، ولولا خشية العقاب الدنيوي لقتل بعضهم بعضاً.

ما على القارئ إلا أن يدخل المنتديات السلفية (وقد أثرت الوهابية في كل السلفيات) وسيرى تبادلهم التكفير والتبديع (ولا فرق بينهما عند الغلاة إذ كل الوصفين عندهم موجب للنار).

من نماذج الاعتدال في المدرسة الوهابية:

ذكرنا أن من الإنصاف ذكر الصورة الأخرى ولو كانت ضئيلة، وقد سبق قبل قليل أن سردت أقوالاً معتدلة، لكنها للأسف قليلة جداً، مع وجود الغموض والتناقض.

لكن بعض الوهابية عاشوا في مصر – بعد سقوط الدرعية – واكتسبوا بعض المعارف وسعة الأفق، فوجدنا في فتاواهم بعض الاعتدال الصريح الذي لا يشوبه غموض.

فهذا الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب يرى: (أن الذي عليه المحققون من أهل العلم هو: عدم تكفير أهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة لأن التكفير لا يكون إلا بإنكار ما علم من الدين بالضرورة أو ارتكاب شيء مجمع على كفر من ارتكبه)، الدرر السنية (١٠/٢٤٤).

وهذا رأي معتدل، يخالف ما عليه والده الشيخ محمد وأكثر علماء الوهابية إلى اليوم، له كتاب في السيرة النبوية سار فيه مساراً معتدلاً وأثنى على عمار بن ياسر وجعله ميزان الحق في تلك الحروب، وهو اعتدال لم أر الوهابية عليه باستثناء الشيخ ابن باز رحمه الله، ففي الوهابية نفور عن أهل البيت لسببين: الأول: تقليداً لابن تيمية وغلاة الحنابلة، والثاني: للخصومة التاريخية أيام النشأة مع الشيعة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

المبحث الرابع

مع خصوم الشيخ ومعارضيه

ومثلما حصل الظلم والتكفير من الشيخ وأتباعه لمخالفيهم فقد ظلمهم المخالفون إلا القليل، ورموا الشيخ بتهم كبيرة مثل ادعاء النبوة وتنقص النبي ﷺ.

وينقسم معارضو الشيخ والدعوة الوهابية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

بالغوا في الذم فكفروا الوهابية وكفروا الشيخ والوهابية، وهذا القسم لا يخفى خطؤه على منصف، فالقوم مسلمون متدينون لكن التقليد والخصومات المذهبية

والسياسية دفعتهم للتكفير، وليس من وقع في التكفير متأولاً يكفر، فالذين كفروا الوهابية أو الشيخ محمد وقعوا فيما حذروا منه من حيث لا يشعرون، لأنهم إن اعتذروا عن بعض ما ينكرونه من غلو في التصوف أو التشيع وأن هؤلاء لهم تأويل وفيهم جهل ..فكذلك الحال في الوهابية الذين لا يسلمون من الجهل والتأويل.

أما اتهام الوهابية بأنهم (صنيعة بريطانية) بناء على مذكرات رجل بريطاني اشتهرت كثيراً عبر منتديات الإنترنت فهي باطلة، وكان ذلك البريطاني الذي نسبت إليه المذكرة (واسمه همفر) قد زعم فيها أنه التقى الشيخ في البصرة وأنه وجهه إلى نجد نكاية بالدولة العثمانية..الخ وذكر أشياء لا أستبيح ذكرها ، فهذا من البهتان والباطل المكشوف، لأسباب أهمها:

الأول: أن الشيخ وأئمة آل سعود (محمد وابنه عبد العزيز) لبثوا يحاربون الرياض ودخنة ومنفوحة وتلك الأحياء القريبة من الدرعية ما يزيد على عشرين سنة، ولو كان عندهم دعم بريطاني لما لبثوا في حرب تلك المدن والأحياء القريبة إلا أياماً أو شهوراً على أبعد تقدير.

الثاني: مذكرات ذلك البريطاني المسمى (همفر) لا تصح وقد أخبرني بعض الأخوة من الشيعة المعتدلين أن الذي وضعها هو أحد المراجع الشيعية الإمامية نكاية في الوهابية وعندي اسم ذلك الشيخ الإمامي الذي وضع تلك المذكرة على لسان همفر، وقد ذكر ما يمكن أن يدل على أن واضع تلك المذكرة هو ذلك الشيخ الشيعي، وإن صح هذا فأنا أستغرب كيف يستجيز مرجعية من علماء الإمامية أن يضع تلك الأكذوبة التي ملأت الآفاق، ولولا أن الأخ الشيعي الذي أخبرني بذلك قد أخذ مني وعداً بكتم الاسمين لذكرتهما.

الثالث: أن لغة الشيخ وكتبه ورسائله تبين -لغير المتعصب - أن الرجل صادق فيما يرى أنه حق وليس تابعاً لأحد، وقد كان يطلب المباهلة ولن يطلبها مسلم إلا وهو

يعتقد ما يقول، وكل كتبه ورسائله وسيرته تدل على أن الرجل صادق في دعوته، ولكن صدقه في الدعوة لا يعني صوابه في موضوع التكفير.

القسم الثاني:

بدعوا الوهابية ولم يقولوا بتكفيرهم لكنهم لم يعترفوا لهم بمحاسن، وهذا تعصب، صحيح أن القوم ابتدعوا في أشياء كالتكفير، لكنهم أحيوا كثيراً من بلدان الجزيرة من الفتور الديني والبدع والخرافات وأظهروا شعائر الدين وكانوا السبب في قيام دولة جمعت شتات القبائل في أغلب الجزيرة العربية، ولا ينكر منصف أن وحدة هذه القبائل تحت راية واحدة خير من فرقتها، حتى وإن طغى بعضها على بعض.

القسم الثالث:

اعترفوا بما مع الوهابية من حق وما أحدثوه من أثر لكنهم آخذوهم وأخذوا عليهم توسعهم في التكفير والقتال ولم يكفروهم أو يبدعوهم..

وهذا القسم الأخير في الحقيقة ليسوا من خصوم الوهابية ولا من مخالفيهم في إنكار البدع والخرافات فكان من الواجب على الوهابية أن يعملوا على احتواء هؤلاء والحكم لهم بالإسلام ولكن للأسف كان كثير من الوهابية يكفر هذا الصنف الأخير.

ومن أشهر معارضي الوهابية:

١. سليمان بن سحيم الحنبلي النجدي (١١٣٠ - ١١٨١هـ)، فقيه أهل الرياض، واسمه كاملاً (سليمان بن أحمد بن سحيم)، وقد كان والده فقيهاً أيضاً ومن مخالفي الشيخ محمد، وهو من قبيلة عنزة، وكان فقيهاً حنبلياً فاضلاً، مدققاً، خرج إلى بلدة الزبير بعد استيلاء الوهابية على الرياض ومات هناك، وقد كفره الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كفراً أكبر يخرج من الملة! بل ربما أفحش الشيخ في ذمه فيطلق عليه (البهيم)! وهذا تجاوز في الذم.

٢. سليمان بن عبد الوهاب التميمي النجدي (١٢٠٨هـ) أخو الشيخ محمد لأبيه وأمه، وكان أعلم منه، وهو فقيه حنبلي من قضاة نجد وعلمائهم ومعتدليهم، ولد في العيينة، وتعلم في حريملاء أيام والده، وتولى قضائها، ورحل لسدير بعد سقوط حريملاء بيد الوهابية، وقد كان له أتباع في العيينة والدرعية، وكان يراسلهم لإقناعهم بالتخلي عن الشيخ محمد والتكفير، فكان أتباع الشيخ محمد إن ظفروا له برسول قتلوه مباشرة! لأنه قادم من بلاد حرب على زعمهم، انتقل بعد سقوط حريملاء إلى سدير، وبقي معارضاً أخاه أكثر من أربعين عاماً، من عام ١١٥٧هـ إلى عام ١١٩٠هـ ثم بعد امتداد دولة الدعوة إلى وسط نجد قدم مع وفد الزلفي مكرهاً، وبقي في الدرعية على معتقده نحو عشرين عاماً، فإنه لم يتوف إلا بعد وفاة أخيه بسنتين، وقد أشاع عنه بعضهم ولم يصح، وهو مثال رائع للعالم المعتز بعلمه الذي لا يدفعه قرب أو بعد على تغيير ما يدين الله به، ويصبر على ما يراه من حق حتى لو كان في شدق الأسد، وللأخ الشيخ سعود السرحان بحث لطيف عن خلاف الأخوين (محمد وسليمان)، وقد قرر الشيخ البسام في كتابه علماء نجد، أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب لم يرجع عن مذهبه في معارضة الشيخ، لكن صوته أخفي، وشفع له من القتل أنه أخو الشيخ، وإلا فهو على مذهبهم كافر كفراً أكبر ينقل عن الملة، لأنه حسب أدبيات الوهابية (يسب دين الرسول)! وله كتاب (الصواعق الإلهية) في الرد على أخيه، وهو من أقوى الردود التي كتبت في الرد على الوهابية، وقد احتفل به معارضو الوهابية وطبعوه عدة طبعات بالهند ومصر وتركيا، وهو إلى اليوم يعد من أقوى الردود على الوهابية، لكون الرجل حنبلياً وأخاً بل شقيقاً للشيخ ويعرف نجداً وأحوال نجد ولا يُتهم بتعصب طائفي ولا قبلي ولا إقليمي، وقد قرأت كتابه في الرد على الشيخ وهو أمكن في العلم وأهدأ نفساً وأقوى حجة رحمه الله ورضي عنه.

٣. محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي الأحسائي (١١٠٠ - ١١٦٤هـ)، من علماء الأحساء الكبار، كان فقيهاً فاضلاً ذا ثقافة واسعة بمقياس زمنه، وله

كتب في الفقه والفلك، وكان السبب في صرف عثمان بن معمر أمير العيينة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مع أن الشيخ محمد كان عند ابن معمر، لكن قوة حجج ابن عفالق دفعت ابن معمر للتخلي عن الشيخ ونصرته، أو كان هذا على الأقل من جملة الأسباب التي دعت ابن معمر للتخلي عن نصرة الشيخ، وكون ابن عفالق يستطيع برسائل من الأحساء أن يقنع ابن معمر بضعف حجج الشيخ وهو صهره، فهذا يدلنا على ما يتمتع به ابن عفالق من قوة علم، وقد كفره الشيخ محمد بن عبد الوهاب كفراً أكبر يخرج من الملة.

٤. عبد الله المويس (١١٧٥هـ)، فقيه أهل حرمة بوسط نجد، واسمه عبد الله بن عيسى التميمي (١١٧٥هـ)، المشهور بالمويسي، والمويس، من أجل شيوخ أهل نجد، أخذ عن علماء نجد ثم رحل إلى الشام وأخذ عن العلامة السفاريني، وللسفاريني وصية خص بها الشيخ المويس، وهو من أجل علماء نجد باعتراف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو الذي استطاع أن يقنع عبد الله بن سحيم بالتوقف عن تأييد الشيخ محمد بعد أن كان من مؤيديها، ولذلك غضب عليه الشيخ وكفره، وقد أورد الشيخ البسام مقتطفات من ردود لابن عيسى هذا على الشيخ محمد (علماء نجد ٣٦٥/٤) وفي ردوده قوة ظاهرة في نقد التكفير الذي كان عليه الشيخ محمد، فاتهمه الشيخ محمد بأنه من الصادين عن دين الرسول! وكفّره مخرجاً له من الملة! و هذا ما ننكره على الشيخ محمد رحمه الله أنه يكفر كل من لم يوافقه ويتهمه بمعاداة دين الرسول، مع أنه لا يجوز لفرد أن يحتكر لنفسه دين الرسول دعوة وتفسيراً ويكفر الناس بناء على هذا الاحتكار..

٥. عبدالله بن أحمد بن سحيم (١١٧٥هـ)، فقيه أهل المجمعة بالقصيم، وكان فقيهاً وحنبلياً وقاضياً لبلدان سدير كلها، ولم يكن شديد العداء للوهابية، لكنه يعارض غلوها في التكفير.

٦. عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي وهو من شيوخ الشيخ محمد ومن أشد معارضيه في دعوته.

٧. محمد بن عبد الله بن فيروز الأحسائي (١٢١٦هـ)، وآل فيروز تميميون من الوهبة قبيلة الشيخ محمد، كان ابن فيروز هذا وأبوه وجده من العلماء الحنابلة، وكان آية في الحفظ والذكاء، حتى أنه قيل أنه يملي صحيح البخاري من حفظه، وكان يقوم على شؤون طلابه، فيتكفل بنحو الخمسين، وقد رحل إلى البصرة مع حاشيته وتلاميذه بعد استيلاء الوهابية على الأحساء في عهد عبد العزيز بن محمد، فاستقبله أهل البصرة وأعيانها وعلماؤها استقبالاً حافلاً، فكان يوماً مشهوداً (حسب تعبير الشيخ البسام)، وبقي هناك يدرس علوم الشريعة وقد تم توسيع مسجد البصرة بعد وصوله إليها لكثرة المقبلين عليه، وكان الحكام والسلاطين يطلبون منه اختيار القضاة والمعلمين، وقد حمل بعد وفاته على الرؤوس من البصرة إلى بلدة الزبير حيث قبر بجانب قبر الزبير بن العوام، ورثاه أهل الأمصار من سائر المذاهب، وكانت له مكانة كبيرة عند السلطان العثماني، وقد كان يعارض الشيخ محمد بقوة، وكان لمعارضته شهرة وأثر لمكانته العلمية الكبيرة في فنون العلم الشرعية المختلفة، وكان الشيخ يكفره كفراً أكبر ينقل عن ملة الإسلام! وبالحكم بالكفر الكبير على مثل هذا العالم النحرير عرفنا أن الشيخ محمد غلا في التكفير.

٨. محمد بن علي بن سلوم (١٢٤٦هـ) الملقب بـ (الفرضي)، من مواليد سدير، من فقهاء الحنابلة، فر إلى البصرة من الوهابية، مع شيخه ابن فيروز الأحسائي.

٩. عثمان بن منصور الناصري (١٢٨٢هـ) من أهل سدير، تلقى العلم بنجد والعراق، وقد أثنوا عليه داخل الجزيرة وخارجها، وله شرح لكتاب التوحيد للشيخ محمد، لكن يظهر أنه شرح لم يتابع فيه الشيخ في كل ما قال، وقد تولى القضاء في سدير، ثم حائل في أيام تركي بن عبد الله وفيصل بن تركي (وهذه من أدلتنا على أن الدولة السعودية الثانية لم تكن وهابية أو أنها تخلت عن الوهابية) وكان للشيخ رأي شديد في الوهابية فيرى أنهم من الخوارج، وله كتب في الرد على غلو هذه الدعوة ومنها: (جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة) فلذلك أطلق علماء الوهابية فيه التكفير والذم الشنيع، ومن هؤلاء الشيخ

عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف فجاءت اتهاماتهم لهذا الشيخ القاضي الحنبلي النجدي بأنه : (يسب دين الله والكذب على الله ورسوله والصد عن سبيل الله ومعاداة دين الله و... و ....الخ) وهذه من مظالم الوهابية إلى اليوم، كل من اختلف معهم عرجوا بتهمته إلى السماء واتهموه بالتهم الثقيلة كسب الدين وسب الله ورسوله والصد عن دين الرسول ...الخ! نعوذ بالله من جور الخصومة، وخصوصاً من أهل الغلو.

١٠. عثمان بن سند البصري (١٢٥٠هـ) فقيه بصري، يرى أن الوهابية يكفرون عموم المسلمين الذين على هذه الأرض! وأستغرب من الدكتور عبد العزيز العبد الطيف كيف جعل هذه من (مفتريات عثمان بن سند)! فواقع بعض الكتابات الوهابية المعتمدة في المذهب على هذا، وإن لم يقولوا ذلك بنص العبارة، وقد سبقت الأمثلة.

١١. محمد بن سليمان الكردي (١١٩٤هـ) نشأ بالشام، وهو مفتي الشافعية في المدينة المنورة بعد أن رحل إليها، وكان من معارضي الدعوة الوهابية وله ردود على الشيخ أسماه (مسائل وأجوبة وردود على الخوارج)، وواضح من العنوان أنه يتهم الشيخ محمد والوهابية بأنهم (خوارج) لغلوهم في التكفير، لكن التنابز بالألقاب غير مناسب، ثم الوهابية لا تكفر بالمعاصي، وإنما تكفر بدقائق في الإيمانيات، أغلبها مرجوح، وعلى هذا، فهم ليسوا (خوارج) بالمعنى المطلق، لكنهم وافقوا الخوارج في مسائل وخالفوهم في أخرى.

١٢. مربد بن أحمد التميمي (١١٧١هـ)، من كبار علماء نجد، طلب العلم بنجد والشام، وتولى القضاء في حريملاء، وهو الذي سافر إلى صنعاء والتقى بالعلامة الجليل محمد الأمير الصنعاني صاحب سبل السلام، وكان قد أثنى على الشيخ محمد ودعوته في قصيدة، فأقنعه الشيخ مربد بالتبرؤ من تلك القصيدة بعد أن أطلعه على كتب الشيخ نفسه، فرأى الأمير الصنعاني أن فيها تكفيراً للمسلمين، ورجع عن قصيدته تلك ناقضاً إياها بقصيدة أخرى حاول الوهابيون التشكيك فيها، ومن أشهرهم ابن سحمان في كتابه (تبرئة الإمامين

الجليلين)! نظراً لما للأمير الصنعاني من مكانة علمية كبيرة، لكن القصيدة ثابتة، وهي في ديوان الصنعاني، وقد أثبتها البسام وحمد الجاسر وغيرهم، وقد قتل الوهابيون هذا الفقيه في بلدة رغبة عام ١١٧١هـ.

١٣. سيف بن أحمد العتيقي (١١٨٩هـ)، ولد بحرمة وانتقل إلى الأحساء، وكان فقيهاً جليلاً.

١٤. صالح بن عبد الله الصائغ (١١٨٣هـ)، فقيه عنيزة وقاضيها، وكان قد رد على قصيدة الأمير الصنعاني التي كان يثني فيها على الشيخ، ولمز الصنعاني بأن تأييده للشيخ محمد لأن الصنعاني (زيدي)! ولعله يعني أن منهج الزيدية يميل مع الثورة ضد الأوضاع القائمة، وخفي عليه أن الزيدية لا يرون التكفير، ولا الثورة على من يرونه عادلاً، ولا الثورة العشوائية بلا ضوابط وشروط، ومشروع سياسي عادل، كما أن الصنعاني سني مجتهد، لكن بلا نصب ولا تشبيه... لكن يهمنا هنا أن الصائغ كان حنبلياً نجدياً معارضاً للشيخ.

١٥. أحمد بن علي البصري القباني، من سنة أهل العراق، ألف في الرد على محمد بن عبد الوهاب كتاب (فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب)، والكتاب وصفه الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف بأنه (مجلد ضخم).

١٦. عبد الله بن داود الزبيري (١٢٢٥هـ) من سنة أهل العراق، من بلدة الزبير، تلقى العلم في الزبير والأحساء، وكتب في الرد على الوهابية كتاب (الصواعق والردود) وجد حفاوة من بعض علماء السنة بالعراق والشام وحضرموت، وأثنى عليه ابن حميد الحنبلي المكي صاحب السبل الوابلة على ضرائح الحنابلة.

١٧. علوي بن أحمد الحداد الحضرمي (١٢٣٢هـ)، من كبار علماء السنة بحضرموت، وله عدة كتب في الرد على الوهابية.

١٨. عمر بن القاسم بن محجوب التونسي (معجم المؤلفين)

١٩. محمد بن عبد الله بن كيران المغربي (١٢٢٧هـ) من علماء فاس بالمغرب.

٢٠. محمد بن عبد الله بن حميد (١٢٩٥هـ) إمام الحنابلة بمكة المكرمة، صاحب السبل الوابلة، وكان مدرس الفقه الحنبلي بمكة وإمام المقام الحنبلي.

٢١.عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عدوان (١١٧٩هـ)، من علماء الوشم.

٢٢.حسن بن عمر الشطي الدمشقي (١٢٧٤هـ)، من علماء دمشق، وهو فقيه حنبلي مشهور.

أبرز التهم التي وجهها العلماء للشيخ محمد:

١ـ التكفير: وهذه أقوى وأصح وأبلغ وأخطر تهمة وجهها خصوم الشيخ محمد إليه وإلى أتباعه، حتى أن أشد المدافعين عن الشيخ ودعوته من العلماء السلفيين لم يستطع إلا أن يقر بهذه التهمة، كالشوكاني مثلاً، - وهو في جانب التوحيد سلفي باعتراف الوهابية أنفسهم - فهو على تعصبه للدعوة الوهابية وتقريظه الكبير لها وللشيخ محمد، لم يستطع إلا أن يقول(ولكنهم يرون أن من لم يدخل تحت دولة صاحب نجد، ممتثلاً لأوامره، فهو خارج عن الإسلام) – راجع البدر الطالع(٥/٢)، وكذلك منصور الحازمي – وهو سلفي – مع ثنائه على الشيخ محمد إلا أنه أخذ عليه مسألتين : الأولى: تكفير أهل الأرض بمجرد تلفيقات... والثانية: سفك الدم المعصوم بلا حجة ولا برهان) – أبجد العلوم ١٩٤/٣، وكذلك الشيخ السلفي محمد صديق حسن خان أعلن براءة أهل الحديث من الوهابية لأنهم لا يعرفون إلا بسفك الدماء (انظر: دعاوى المناوئين ص ١٦٠)[1].

---

(١) وقد اعتذر عنه الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف بأن مصادره في ذلك مسيحية! وتناسى الدكتور الفاضل أن سفك الوهابية للدماء موجود في مصادر الوهابية نفسها، فهذا ابن غنام يذكر في تاريخه أكثر من ٣٠٠ غزوة ، كل تعبيراته تقول: وفي هذه السنة غزا المسلمون الكفار ....(وهذه الغزوات إنما هي من مسلمين لمسلمين في أوساط نجد والحجاز والأحساء ...الخ)! ثم المسيحيون إنما يكتبون أخبار الوهابية من المسلمين، فلم يكن في نجد مسيحيون، ثم الدكتور وغيره من المدافعين عن الوهابية نجدهم في النتيجة لا يقبلون النقل إلا من الوهابية، فلا يقبلون روايات علماء أهل السنة من المخالفين للوهابية، وكأنهم يجبروننا على فهم ما جرى وفق ما تقوله الوهابية فقط! وكأن المسلمين الآخرين كفار قريش أمام النبي ﷺ، وهذا غلو وتطرف، فالمسلمون المخالفون للوهابية في نهاية الأمر صادقون في اتهام الوهابية بالتكفير والقتال فهذا رأيناه متحققاً من كلام الشيخ نفسه ومن كلام أتباعه بما لا نستطيع أن نلقي اللوم فيه عن مسيحي ولا يهودي.

ومن المحايدين الذين وصفوا الوهابية بالتكفير الشيخ المحدث أنور شاه كشميري، فهو يرى أن الوهابية يتسارعون في الحكم بالتكفير (دعاوى المناوئين١٦٠).

وأما مخالفو الوهابية فأقوالهم في هذا كثيرة جداً، وسأقتصر هنا على نماذج من أقوال أهل السنة، مبتدئاً بأقوال الحنابلة منهم:

فهذا الشيخ السني الحنبلي ابن عفالق يقول عن الشيخ محمد أنه: (حلف يميناً فاجرة بأن اليهود والمشركين أحسن حالاً من هذه الأمة)[1]، قلت: وهذا واضح في قول الشيخ بأن مشركي زماننا (ويقصد بهم المسلمين المخالفين له) أكفر من كفار قريش بخصلتين، وبداهة أن كفار قريش أكفر من أهل الكتاب، فلم نجد الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف في كتابه دعاوى المناوئين يحشر الشيخ الفاضل ابن عفالق بهذا القول وأمثاله في زمرة (الكذابين)؟! لماذا وأقوال الشيخ محمد في هذا ظاهرة صريحة كما سبق في نقد كشف الشبهات؟

وهذا الشيخ السني الحنبلي سليمان ابن سحيم يقول عن الشيخ محمد: (ومن لم يوافقه في كل ما قاله ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره! ومن وافقه وصدقه في كل ما قال، قال: أنت موحد! ولو كان فاسقاً محضاً..)[2].

وهذا الشيخ السني الحنبلي السلفي النجدي عثمان بن منصور من قضاة أمراء آل سعود في الدولة السعودية الثانية[3] يقول: (قد ابتلى الله أهل نجد بل جزيرة العرب من

---

(١) دعوى المناوئين للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف ص١٦٤، الطبعة الأولى -وهي رسالة جامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض- طبعة دار الوطن، ١٤١٢هـ..

(٢) المصدر السابق ١٦٤

(٣) هذه ستة تقريظات سلفية في نسق واحد! شيخ وسني وسلفي وحنبلي ونجدي وقاضي! وعمل لأمراء آل سعود أيضاً وهذه سابعة، وترجم له البسام وبكر أبو زيد وصالح القاضي وارتضوه وأثنوا عليه وهذه ثامنة، لكن غلاة الوهابية في آخر الأمر لا يقبلون في الوهابية ولا في السلفية إلا قول من يثني فقط، فهم يستشهدون إلى اليوم بأقوال القصيمي -الذي آل به الأمر إلى الإلحاد- في الدفاع عن الشيخ محمد، ولا يوردون السلفي الحنبلي في نقد الشيخ محمد، فالنتيجة معهم محسومة الفشل، وكأنهم يقولون: سنأخذ أقوال من يثني ويمدح ويبرئ ولو كان فاجراً أو ملحداً =

خرج عليهم وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها.... بتلفيقات ما أنزل الله بها من سلطان)[1]! وقال (ولكن هذا الرجل – ويقصد الشيخ محمد - جعل طاعته ركناً سادساً من أركان الإسلام)[2]!

وكذلك الشيخ سليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ يقول : (كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب؟ فقال: خمسة، قال: أنت جعلتها ستة، السادس: من لم يتبعك فليس بمسلم، هذا عندك ركن سادس من أركان الإسلام)[3].

قلت: وكلام الشيخ سليمان هنا إلزام وإلا فالشيخ محمد لا يقول بهذا، لكن نتيجة شروطه المعقدة لثبوت الإسلام يؤدي إلى هذه النتيجة.

ويقول الزهاوي: (لو سأل سائل عما تمذهبت به الوهابية ما هو؟ وعن غايته ما هي ؟ فقلنا في جواب كلا السؤالين: هو تكفير كافة المسلمين، لكان جواباً على اختصاره تعريفاً كافياً لمذهبها)[4]

ويقول : الشيخ أحمد زيني دحلان: (لا يعتقدون موحداً إلا من تبعهم فيما يقولون..[5])

=أو يهودياً أو نصرانياً، وستهم كل من ينقد ولو كان من أصلح عباد الله وأعلمهم وأخشاهم لله، فهم يمنعون من النقل عن المسلمين وغير المسلمين، أما غير المسلم فيكفي أن يدعوا أنه غير مسلم، وأما المسلم فيقولون مبتدع، وإن نقلنا من السنة قالوا: هذا بعيد عن الدعوة وليس من أهل نجد، وإن نقلنا عن حنبلي ومن أهل نجد، قالوا: هذا من خصوم الشيخ وحاسديه! فلم يبقوا أمامنا إلا النقل عن الشيخ وأتباعه، ففعلنا في هذا البحث وأثبتنا وجود التكفير في أقوال الشيخ فضلاً عن الأتباع، فماذا بقي بعد؟ علماً بأنهم يبيحون لأنفسهم النقل عن تجار الكتب وبائعي الضمائر والمغفلين والملحدين، ولذلك فنحن هنا لا نتحدث مع الغلاة، فحكمهم المسبق معروف لنا مسبقاً أيضاً.

(١) دعاوى المناوئين للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف ص ١٦٦.

(٢) دعاوى المناوئين ص ١٦٦.

(٣) دعوى المناوئين ص ١٦٦.

(٤) دعاوى المناوئين ص ١٦٧.

(٥) دعاوى المناوئين ص ١٦٦.

ويقول السيد السني الحداد الحضرمي:

(وإذا أراد رجل أن يدخل في دينه يقول له: اشهد على نفسك أنك كنت كافراً، واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين، واشهد على العالم الفلاني والفلاني أنهم كفار...فإن شهد بهذا قبله وإلا قتله...)[1].

ثم يعقب السيد الحداد على فعل الوهابية هذا بقوله: (كيف لا ترضى بالأحياء أن تجعلهم مشركين حتى تعديت على أموات المسلمين من سنين عديدة تقول: ضالين مضلين حتى عينت أناساً من أكابر العلماء المحققين....).

ويقول الشيخ السني حسن الشطي الدمشقي (مدار الدعوة الوهابية على تكفير المسلمين..)[2].

وهكذا كل مخالفي الشيخ سواء كانوا من أهل السنة الأشاعرة أو من السلفيين كالشوكاني والأمير الصنعاني وعثمان بن منصور – بل بعضهم متعصب له - يقررون أن الشيخ محمد وأتباعه يغلون في تكفير المسلمين من علماء وعامة، وهذا ما وجدناه في كتبه.

ونجد الفرق الأخرى من غير أهل السنة كالشيعة والإباضية متفقين مع أهل السنة بأن الشيخ محمد وأتباعه قد غلو في التكفير فهذا محمد جواد مغنية –وهو شيعي إمامي - يقول: (وليس من شك أنهم يريدون بالموحدين الوهابية أنفسهم، وبالمشركين جميع المسلمين بلا استثناء)[3].، وهذا قد وافقه عليه أمثال الشوكاني وهو سلفي قح له مؤلفات في تحريم البناء على القبور والدعوة للتوحيد الخالص وذم البدع،

---

(١) المصدر السابق ١٦٥، وقد ذكر الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش في كتابه (أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جنوبي الجزيرة العربية) –وهو رسالة دكتوراه في جامعة الإمام أيضاً– قصصاً تؤكد على كلام السيد علوي الحداد، أو على الأقل أن هذا فعله بعض الوهابية وعلى هذا فليست هذه من (اختراعاته) كما ذكر الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف.

(٢) المصدر السابق.

(٣) دعاوى المناوئين ص ١٦٨.

إلا أنه لا يكفر المسلمين ولا يعمم على الجميع بفعل البعض، ولا يكفر الجاهل ولا المتأول، وعلى هذا كل علماء المسلمين إلا بعض غلاة الحنابلة وبعض غلاة الشيعة وبعض غلاة الخوارج فإنهم يكفرون من خالفهم في العقائد.

ولكن يجب أن أنبه على أمر وهو أن التكفير الوهابي يقل ويضعف في حالة الضعف ويقوى في حالة القوة، من باب التقية والسياسة وليس من باب الاعتقاد والإنصاف أو حتى التناقض، هذا ما يظهر لي والله أعلم.

وأحياناً كثيرة يلجئون للتعمية والخداع مثل قول بعضهم (نحن لا نكفر المسلمين فهذه تهمة باطلة، فمعاذ الله أن نكفر مسلماً! وإنما نكفر المشركين ومن يسب دين الرسول)! فهذا القول قول مخادع، لأن الشطر الثاني من القول ينخدع به من لا يعرفهم، والقول يجمع بين الدعاية والتكفير يعرف هذا من أدمن على قراءة مؤلفاتهم ليفهم سر الخلاف بينهم وبين المسلمين، ليحرر موطن الخلاف، وسيجد أن موطن الخلاف أن المسلم من معارضيهم عندهم مشرك! وعلى هذا فيستطيع الواحد منهم أن يقسم خمسين يميناً أنه لا يكفر المسلمين! وهو لا يقصد إلا المسلمين حسب تعريفهم الشائك والخاطئ لمن يطلق عليه كلمة (مسلم).

هذا إذا استثنينا سنوات الضعف والخلاف بين أمراء الدولة السعودية الثانية، أو في هذه الأيام التي يواجهون فيها ضغطاً من الدولة بنقد المنهج التكفيري، فهنا الأمر قد يختلف، إضافة إلى أن بعضهم لا يرى التكفير أيضاً، لكن كلامنا على التراث الأول للوهابية والأفعال الأولى، كلامنا على السائد وليس على الاستثناء المحكوم بظروف الضغط أو الخلاف أو المجاملة أو الخداع.

٢ـ ادعاء النبوة: ومجمل التهمة (أنه ادعى النبوة بلسان الحال لا بلسان المقال)! وهذه تهمة جائرة ظالمة، لكن من الإنصاف أن نقول أنهم لم يطلقوها هكذا...ولا يقصدون أنه ادعى النبوة جهاراً ولكنه في نظرهم أنزل نفسه وأصحابه منزلة النبي ﷺ

وأصحابه، وأنزل بقية المسلمين منزلة الكفار، ولكن بعضهم أضاف إلى ذلك أنه كان يدمن على قراءة سير المرتدين كمسيلمة والأسود العنسي....الخ، وهذه زيادة اتهام بأنه يقصد التنبؤ، وعلى كل فهي تهمة باطلة جائرة وإن كانت أخف من اتهام الشيخ لهم بالكفر الأكبر ومعاداة دين الرسول.

وقد ردد تهمة ادعاء النبوة في حق الشيخ محمد بالتفصيل السابق محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، وأحمد القباني، والسيد علوي الحداد الحضرمي، والشيخ حسن عمر الشطي الدمشقي، والشيخ أحمد زيني دحلان، وجميل الزهاوي وعبد القادر الإسكندراني ومختار أحمد باشا المؤيد والسمنودي ومحمد توفيق والشاعر عبد الرحمن بن عمر الأحسائي والشيخ يوسف النبهاني....

وقد انبرى في ردها علماء الدعوة وأشهرهم لسان الدعوة سليمان بن سحمان وفوزان السابق وغيرهم، وطولوا في ردها لكن لم يردوا على لب هذه الشبهة وهو ما أراده بعضهم من كلمة (بلسان الحال)، فإن هؤلاء الخصوم للشيخ يقصدون بعبارة مختصرة معاصرة: أن الشيخ احتكر الإسلام، وجعل مخالفيه مشركين، وجعل دينه هو دين الرسول ومن خالفه فقد سب دين الرسول، ومن وصف الوهابية بأنهم خوارج فقد سب دين الرسول... وهذه التهمة صحيحة إلى حد بعيد للأسف، لكن لا يتهم الشيخ أنه فعلها متعمداً، وقد مرت الأمثلة العديدة على هذه (الحدة في تنزيه النفس والمذهب الذي تفرع عنه تكفير المخالف)، فهذا هو الذي حيَّر عقلاء مخالفيه — دون المتعصبين منهم - ودفعهم للقول: بأن الشيخ نصب نفسه مكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومخالفيه مكان كفار قريش بل أعظم، فهذا في نظرهم ادعاء للنبوة بـ(لسان الحال)، وهذا بلا ريب تجاوز منهم في العبارة لكن لا يلزم منه التكفير، بخلاف تكفير الوهابية لهم فهذا صريح، ونحن نبرأ من ظلم بعضهم لبعض، ونقول بإسلام الطائفتين جميعاً، وأنهم بين باغ ومبغي عليه، صائل ومصول عليه، وفي كل حق وباطل،

والعدل أن نأخذ على الوهابية المبالغة في التكفير، ونأخذ عليهم المبالغة في الاتهام و تسويغ الواقع وما عليه بعض الناس من بدع وخرافات.

٣ـ التجسيم والتشبيه: واتهامات خصوم الشيخ له في هذا الأمر في غير محله، ليس لأنه لا يوجد في كلام الوهابية شئ يسير من تشبيه أو تجسيم، فمثل هذا قد يوجد في كلام أكثر السلفية، وخصوصاً من يقلد ابن تيمية وابن القيم، ولكن لأن موضوع (الصفات) ليس من اهتمامات الشيخ ولا الوهابية المتقدمة إنما اهتمامهم منصب على التوحيد، وهذه التهمة كأنها محاولة من فقهاء عصره للتشنيع عليه عند علماء زمانهم وأغلبهم أهل كلام إما أشعرية أو ما تريدية أو زيدية أوإمامية، والصفات عند أهل الكلام موضوع حساس جداً، ولذلك كأن الغرض من هذه التهمة الإكثار من التهم، بل الشيخ وأتباعه أخف تشبيهاً – إن كان فيهم تشبيه مقصود - من ابن تيمية والحنابلة المتقدمين، والشيخ قد يذكر شيئاً من الفقه أو الصفات أو التاريخ تقليداً أو يذكره عرضاً، أو يختصر فيه كتباً ...فلا يحاسب على نقل خطأ أخطأ فيه من سبقه، خاصة وأن موضوع التجسيم – وإن كان خطيراً - لكنه لا يرجع بالأذى على بقية المخالفين، وإنما اهتم بموضوع الصفات ووقع في التشبيه وتحمس له متأخرو الوهابية، تأثراً بالكتب السلفية المطبوعة كالدارمي وعبد الله بن أحمد والإبانة لابن بطة وأصول الاعتقاد للالكائي والشريعة للآجري والسنة للخلال ونحوها، ففي هذه الكتب تجسيم وتشبيه كبيران.

٤ـ إنكار كرامات الأولياء: والشيخ لا ينكرها، لكن يختلف مع علماء عصره تبعاً لاختلاف ابن تيمية مع علماء عصره في هذا الباب، وأنا أميل هنا لرأي الشيخ وابن تيمية ومن معهما في موضوع الكرامات لأن الصوفية وغيرهم بالغوا فيها كثيراً، وأكثر القصص في هذا الباب لا تثبت... والتحرز من الغلو في الصالحين أولى من الهلاك فيه.

وقد اتهم العلماء الوهابية بتهم أخرى كثيرة، لكن أكثرها غير صحيح أو محل نظر إلا في مسألتي التكفير ثم القتال المبني على التكفير، فهاتان التهمتان ثابتتان واضحتان، لمن أراد الإنصاف.

لكن هذا لا يجعلنا نهمل حسناتهم وتحولات بعضهم واضطرار قسم ثالث للتكفير في زمن القوة و السيطرة الوهابية، وفي حالات الإكراه – كما رأينا في بيان علماء الحرمين - ولدراسة تطور الوهابية وتأثرهم بالظروف وتخليهم أو تخفيفهم من التكفير في السنوات الصعبة، لهذا كله وقت وجهد آخران.

الملحق

الفقرة الأولى:

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رغم ما قيل من الكلام الكثير فيه مدحاً وقدحاً، إلا أنه من الواضح أنه اجتهد، وكان مخلصاً لدعوته، شديد العزيمة، قدم خيراً كثيراً لو أن مدرسته تلافت سلبيات دعوته، وأوسعت المجال لمراجعة إنتاجاته، الشيخ محمد رحمه الله لم يكن طالب سلطة، ولكنه استخدم السلطة في خدمة الدعوة، وسبب دعوته وحماسه الكبير — من خلال قراءتي لسيرته - أنه أصيب بردة فعل حادة نتيجة انتشار بعض البدع والخرافات في عهده، وزاد من ردة فعله ما رآه من برود علماء وقته في النهي عنها، وربما سمع أو قرأ لبعضهم تجويز لها وتأويلات يحسن فيها هذه الخرافات والبدع، فأثر هذا كثيراً على شخصيته الحدية أيضاً، فأصبح لا يقبل بأنصاف الحلول، ولا بالاعتذارات غير المقنعة له، فدفعه هذا إلى الاستعجال في رؤية النتيجة السريعة، فاندفع للدعوة بحماس ومجازفات وإصرار، مع قلة علم وكثرة ورع، وإذا اجتمعتا كان لهما الأثر الكبير على تصرفات الشخص، فيزداد حدة وغلواً فيما يطالب به وخاصة إذا توجهت له الأمور...

ومن خلال قراءة كتب الشيخ محمد وجدته ليس بذاك العالم المحقق المدقق، مع ضعف ظاهر في الحديث والتاريخ (ومنهما يتشكل الوعي عند العالم المسلم)، فلذلك أخذ يقمش كل التشددات في الحكم على الأمور بشرك أو بدعة، فيستشهد بمطلقات النصوص الصحيحة وصريحات النصوص الضعيفة، وأكثر من بناء الأحكام التكفيرية الصريحة على حديث ضعيف أو أثر موضوع أو قياس فاسد مع صحة نية وقوة عبادة وهمة تدفع الجبال، وكثيراً ما تجد منه مبالغة وتعسفاً في تحميل الصحيح من النصوص الشرعية ما لم تحتمله من تكفير أو تبديع، وهو يركز على كلمة الشرك أكثر، ولا يراعي

ضوابط التكفير، ويستشهد لآرائه بما شذ من الأقوال وعسر من الاستنباط وأفرزته اللحظة، ثم يجمع بينها للعوام التابعين أو العلماء الخاضعين ، فيخيل للقارئ البسيط منهم – وهم أغلبية أتباعه - أن هذا علم عظيم وأن العلماء في وقتهم خانوا أمانتهم ولم يحذروهم من الشرك، وأن الناس قد عادوا لجاهليتهم الأولى، وأنه لا فرق يومئذ بين المصلين الصائمين وبين من يعبد اللات والعزى، فانطلقوا معه لا يلتفتون إلى غيره، لأنه قد حذرهم من العلماء والعوام على حد سواء، فزعم أن العلماء كعلماء بني إسرائيل (أصبحوا أحباراً ورهباناً اتخذهم الناس أرباباً)، فتبعه البدو وأعملوا سيوفهم في الدماء مع طمع، وألسنتهم في التكفير مع لكنة! وساعدتهم الظروف واتجه لهم الزمان، من ضعف الدولة العثمانية وتفرق الأمراء بنجد، واستخفاف المجاور القوي ، إذ ظنوهم سحابة صيف تقشع عن قريب، وثورة أعراب محصورة، وفي وسط نجد القاحلة، إلى أن تمكنوا من الاستيلاء على نجد كلها، وصاغوا الناس بعقيدتهم في كل بلدة تتبعهم، ثم انتشروا فاتحين البلاد شرقاً وغرباً، وكان من المفترض أنه بعد أن هدأت الأمور وتشكل الكيان السياسي أن تتم مراجعة الماضي والتخلي عن الغلو ونصر الاعتدال، فالهدف قد تحقق والحجة قد بلغت، لكن الغلو استمر، وانصرفت الهمة إلى نشر هذا الفكر والتخندق حوله ، ومواصلة ذم ما يخالفه من قراءات واجتهادات، بل تم تدعيم التباهي به والتزهيد في غيره، وفتح مراكز في شرق الأرض وغربها، تدندن حول تقسيم المسلمين لمشرك وموحد، إلى أن بدأ الانقسام بين السلطة والدعوة، إذ وجد الوهابية (الأصليون= المطردون مع الثورة والتكفير الوهابي والسلفي) أن ما يكفرون به المسلمين من دقائق الأمور موجود بأضعاف بين أظهرهم، داخل السلطة التي يعتبرونها سلفية، فكفروها، ويظهر لي أن الدولة كانت مطمئنة لنظرية سلفية أخرى (وهي الطاعة وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)! ولم تنتبه الدولة إلى أن السلفية (سلفيات) والوهابية (وهابيات)، والخير كل الخير في العدل والاعتدال، فلا تحكم فئة على جميع الفئات والمذاهب، كان من المفترض أن يتم الاعتراف بالمذاهب والطوائف والتيارات السلمية، وعدم إرضاء الأقلية على حساب هضم الأغلبية.

إذن فهناك سلفية طاعة ووهابية ثورة، والطاعة تغلب في السلفية، كما أن الثورة تغلب في الوهابية، ويلتقيان في التكفير والإقصاء وعدم الاعتراف بالآخر، ومع الأيام خرج من تحت عباءة الوهابية (الإخوان) أصحاب الدويش، ثم خرج من عباءة السلفية (جماعة جهيمان) ثم خرج من الفئتين (أصحاب العنف والتكفير الحاليين) فظهر للدولة أن الأمور معقدة ومتشابكة وليست كما يشرحه (وهابيو البلاط) من أن الخير كل الخير في (السلفية والوهابية)، فكان هذا التطمين غير صحيح، لأن من راجع التكفير السلفي وضخامته وتشعبه وتفرعه عرف بيقين أنه متى ما احتاج السلفي للتكفير - في أي زمان ومكان - كان هذا أسهل عليه من بلع ريقه وأقرب إليه من حبل وريده! والوهابي أبلغ.

وهؤلاء المكفرون رغم خطئهم الفادح لكنهم مطردون مع التكفير السلفي للمسلمين ومع الثورة الوهابية ضد المشركين والكفار في جزيرة العرب!

لكن رأى بعض الوهابيين -بعلم أو بجهل - أن المصلحة تقتضي التخلي عن أكثر ما قرره الشيخ محمد (من تكفير وثورة) والتمشي مع الشق المسالم للسلطان من النظرية السلفية السلبية التي بدأت من منهج ابن عمر (نحن مع من غلب)، فاصطدم الشقان (المسالم والتكفيري) عند أبواب السلطة، هذه تريد الخروج بلا عودة، وهذه تريد الدخول بلا رجعة، هذا (سلفي) يقلد السلفية المدمرة تكفيراً وقتالاً، وهذا (سلفي) اختار سلفية الطاعة العمياء، وكلا المنهجين بين تكفير وسلبية.

نعم للاستقلالية والحرية والصدق في القول ونصرة المعرفة والعلم وحفظ الحقوق والمطالبة بها، واحترام الإنسان والغوص المعرفي، والتشابك مع العالم فيما يعود بالنفع، والتخلي عن القراءة الساذجة لهذا الدين العظيم.

لكن لا وألف لا، لسفك الدماء والعنف والظلم وضيق الأفق وضياع الحقوق والغلو في الدين، خاصة وأن الثائر لا يملك مشروعاً سياسياً عادلاً، وإنما اضطهاد مضاعف، وما نموذج (طالبان) منا ببعيد، ولولا أن الدولة السعودية من أيام الملك عبد العزيز أخذت على نفسها الدفع للأمام في التقدم الحضاري لكان نموذج طالبان في

الجزيرة ماثلاً، لكن ما قام به الملك عبد العزيز خفت مع الصراع (الرجعي القومي) أيام عبد الناصر، ثم مع الصراع (السني الشيعي) أيام الخميني، وفي الحالتين، يظهر أن الدولة رأت الاستفادة من السلبية السلفية داخلياً إلى سلفية إيجابية خارجياً، فكان هذا صواباً سياسياً على المستوى التكتيكي، وخطأ شرعياً على المستوى الاستراتيجي.

واليوم بعد أن تكشف للدولة ما لم يكن من قبل، فهي مطالبة بالتحديث الثقافي أولاً، فالمعلومة والمعرفة يجب أن تكون هدفاً في حد ذاتها، دون سؤال: ماذا سنستفيد من هذه المعرفة أو هذه المعلومة.

المعرفة لا تخون، وإن أحزنتك ساعة أفرحتك دهراً، وهي أساس التنمية والحضارة، وهو الضمان الاستراتيجي للاستقرار والنمو والتقدم، فللمعرفة سلطة على العقول والقلوب والتصرفات.

والسلفية والوهابية وكل المذهبيات التي لا تقبل الآخر تسهم في ظلم المعرفة، ومحاربتها، وحرمان الناس منها، ولذلك نجد أن ما يحدث من تعليم عندنا يصب كثير منه في التجهيل للأسف، وكانت آخر نتائجه هو هذا العنف الأعمى، وهذا طبيعي، فلا نطمع من تيارات الغلو أن يعرفوا حقوق غير المسلمين، إذا كانوا يجهلون حقوق المسلمين، لا نطمع معهم في العدل مع كافر مسالم إذا كان التعليم العام والجامعي والخطب والمواعظ والمؤلفات والفتاوى تدور حول وجوب إهدار حقوق المسلمين، فإذا استمر هذا التجهيل عقوداً فلا نظن أنه سيزول بفتوى نستخرجها من بين كل هذا الركام المتكدس عبر القرون.

الفقرة الثانية:مصطلح الوهابية:

مع أن كلمة (الوهابية) ليست صفة ذم ولا مدح، فليست ذماً حتى لو اعترفت الوهابية أنها مذهب، فالمذهب الذي يعتمد على أدلة صحيحة لن يضره الاسم الجديد

ولا تسمية الناس له، وليس من شرط المذهب أن يكون في القرون الثلاثة الأولى، كما أن التيار أو المذهب الذي يبني فكره وعمله على أدلة ضعيفة؛ لن ينفعه التسمي بأحسن الأسماء ولو كان في القرن الأول، فالعبرة بصحة العلم وصفاء الإيمان وحسن العمل وليس بالتسمي ولا بالتمني.

وعجبي ممن يكرر من المقلدين بأن لفظة (الوهابية) إنما أطلقها الخصوم، ويدندنون حول اللقب والتسمية مع أن اللفظة أو التسمية خارج النزاع هذا أمر.

أما الأمر الثاني: فقد كان علماء الدعوة يجيزون استخدام (الوهابية) ويرددونها في كتبهم دون خوف من اتهام بمذهب، بل ربما ألفوا الكتب والرسائل في عقائد الوهابية ودعوتهم ولا ضير في ذلك.

ومن علماء الدعوة الذين استخدموا مصطلح (الوهابية) سليمان بن سحمان، وقبله محمد بن عبد اللطيف (الدرر السنية ٨/٤٣٣) وغيرهما، وكذا المدافعون عنها كالشيخ حامد الفقي ومحمد رشيد رضا وعبد الله القصيمي وسليمان الدخيل وأحمد بن حجر أبو طامي ومسعود الندوي وإبراهيم بن عبيد صاحب التذكرة وغيرهم، يستخدمونها، مع أن الشيخ حامد الفقي رحمه الله قد حاول أن يشكك في نيات كل من استخدم هذا المصطلح واقترح أن يطلق عليها (الدعوة المحمدية) لأنها تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب! وليس إلى والده (عبد الوهاب) وقد قلده من المتأخرين الشيخ صالح الفوزان في إنكاره على أبي زهرة وغيره، ومطالبة الفقي والفوزان بأن نطلق على الوهابية (الدعوة المحمدية لا الوهابية) لأن الشيخ اسمه (محمد) هذا اقتراح منهما غريب عجيب، لسبب يسير وهو: أن أغلب المذاهب المشهورة لا تسمى بأسماء أصحابها، وإنما تسمى بأسماء آباء أو أجداد أصحاب المذاهب، فالمذهب الحنبلي مثلاً نسبة لحنبل وحنبل هذا هو جد أحمد بن حنبل (اسمه أحمد بن محمد بن حنبل)، والشيخ الفوزان أو الشيخ الفقي رحمه الله ومن تابعهما لا يعترضون على هذه تسمية

(الحنابلة) بهذا الاسم، ولا يطلقون على المذهب الحنبلي (المذهب الأحمدي)!، وكذلك المذهب الشافعي نسبة لشافع (وشافع هذا جد الشافعي الرابع فالشافعي اسمه: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع)، فلماذا لا يطلقون على المذهب الشافعي (المذهب المحمدي)! وكذلك الحنفية نسبة لأبي حنيفة، وحنيفة ليس اسم صاحب المذهب، وإنما اسمه النعمان بن ثابت، وكذلك الأشاعرة المنتسبين لأبي الحسن الأشعري، فالأشعر جد جاهلي قديم لقبيلة الأشاعرة كلهم الذين منهم أبو الحسن، فهو: الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، فهذا جد قبيلة الأشاعرة، الذي بينه وبين أبي الحسن الأشعري صاحب المذهب عشرات الآباء.. وكذلك (الإباضية) نسبة لعبد الله بن إباض، ...وهكذا لا تكاد تجد مذهباً يسمى باسم صاحبه إلا في النادر، كالمالكي نسبة لـ (مالك بن أنس) والزيدية لـ(زيد بن علي) والجعفرية لـ(جعفر الصادق)، فالذي يطلق الوهابية على مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس أبعد عن الصواب ممن يطلق الحنابلة على أتباع أحمد بن محمد بن حنبل، فضلاً عن غيره.

ثم الشيخ صالح الفوزان مثلاً يطلق على أتباع محمد بن سرور بن نايف زين العابدين كلمة (السرورية) فلماذا لا يسميها (المحمدية) أيضاً! ونحن نسمع بين السلفية اليوم ألقاباً يتنابزون بها كالجاميين والمدخليين والبازيين والألبانيين والقطبيين والبنائيين...الخ.

الفقرة الثالثة: من العلماء المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ومن أشهر معاصريه من العلماء والمصلحين:

١. الحسين بن محمد المغربي الصنعاني (١١١٩هـ)، صاحب (بدر التمام) وعليه اعتمد ابن الأمير في كتابه المشهور سبل السلام.

٢. والحسيني الدمشقي(١١٢٠هـ) صاحب كتاب أسباب ورود الحديث.
٣. وأبو المواهب الدمشقي مفتي الحنابلة (١١٢٦هـ).
٤. والشيخ تقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي (١١٢٨هـ).
٥. والشيخ عبد الله بن سالم البصري ثم المكي (١١٣٤هـ).
٦. وشيخ الجامع الأزهر إبراهيم الفيومي (١١٣٧هـ).
٧. والمحدث أحمد بن القاسم البوني التميمي (١١٣٩هـ).
٨. وعلي بن مراد العمري مفتي الموصل (١١٤٧هـ).
٩. ويحي بن عمر الأهدل الزبيدي (١١٤٧هـ).
١٠. والعجلوني الكبير من فقهاء المحدثين بدمشق (١١٤٨هـ).
١١. والشيخ عبد الغني البرهاني شارح البيقونية (١١٥١هـ).
١٢. والشيخ أحمد السملالي المغربي (١١٥٢هـ).
١٣. ويوسف الحسيني مفتي الحنفية بحلب (١١٥٣هـ).
١٤. والشيخ عبد المعطي الخليلي مفتي الشافعية بالقدس (١١٥٤هـ).
١٥. والشيخ المجتهد أحمد اللمطي (١١٥٧هـ).
١٦. والتهانوي الهندي صاحب اصطلاحات الفنون (١١٥٨هـ).
١٧. والمنصور الحسين بن القاسم اليماني (١١٦١هـ).
١٨. والعجلوني من أهل الحديث، صاحب كشف الغطا (١١٦٢هـ).
١٩. والشيخ محمد حياة السندي من علماء المدينة (١١٦٣هـ).
٢٠. ومحمد بن عبد الرحمن الغزي مفتي الشافعية بدمشق (١١٦٧هـ).
٢١. وسالم النفراوي (١١٦٨هـ).
٢٢. وإبراهيم الويداني مفتي النوازل (١١٦٨هـ).
٢٣. وسليمان المنصوري الحنفي (١١٦٩هـ).

٢٤. وحامد العمادي مفتي دمشق وابن مفتيها (١١٧١هـ).

٢٥. وعبد الله الشبراوي شيخ الأزهر (١١٧١هـ).

٢٦. وإسحاق المتوكل اليماني (١١٧٣هـ).

٢٧. وعبد المنعم القلعي مفتي مكة (١١٧٤هـ).

٢٨. ومحمد سعيد سنبل الشافعي المكي (١١٧٥هـ).

٢٩. وأحمد بن عبد العزيز الهلالي (١١٧٥هـ).

٣٠. وشاه ولي الله الدهلوي من أكبر المجددين في الهند (١١٧٦هـ).

٣١. والبرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة (١١٧٧هـ).

٣٢. وعبد الكريم الشراباتي محدث حلب (١١٧٨هـ).

٣٣. وأحمد بن محمد الورزازي حبر تطوان (١١٧٩هـ).

٣٤. وعبد الرحمن بن إدريس الحسني شيخ المغرب (١١٧٩هـ).

٣٥. وعبد المحسن بن أسعد الأسعد مفتي المدينة (١١٨٣هـ).

٣٦. وعلي بن محمد المرادي أحد علماء عصره بدمشق (١١٨٣هـ).

٣٧. وعبد المحسن بن علي الأشيقري تولى الإفتاء في الزبير (١١٨٧هـ).

٣٨. وحمد بن احمد السفاريني صاحب المنظومة في العقيدة (١١٨٨هـ).

٣٩. وأحمد بن يوسف الحديث اليماني (١١٩١هـ).

٤٠. ومحمد التافلاتي مفتي الحنفية بالقدس (١١٩١هـ).

٤١. ومحمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية بالحجاز (١١٩٤هـ).

٤٢. وسليمان الأهدل محدث اليمن (١١٩٧هـ).

٤٣. وعلي بن محمد الشرواني رئيس علماء الحنفية بالمدينة (١٢٠٠هـ).

٤٤. وعبد السلام الداغستاني (١٢٠١هـ).

٤٥. وعبد الوهاب الأحسائي الحنبلي (١٢٠٥هـ).

٤٦. والزبيدي صاحب تاج العروس (١٢٠٥هـ).

٤٧. والمرادي مفتي الشام صاحب سلك الدرر (١٢٠٦هـ).

٤٨. وعبد القادر الكوكباني الزيدي المحدث شيخ الشوكاني (١٢٠٧هـ).

٤٩. وسليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ محمد في حريملاء.

٥٠. وعبد الله بن سحيم النجدي في الرياض.

٥١. وأخوه سليمان بن سحيم.

وغيرهم كثير جداً – وقد سبق بعض العلماء من معارضي الشيخ لم نذكرهم هنا - وقد تركنا العشرات من العلماء المعاصرين للشيخ بل هناك كتب مؤلفة في تراجم علماء القرن الثاني عشر أشهرها (سلك الدرر في تراجم علماء القرن الثاني عشر)، وهذا دليل على أن الوضع في العالم الإسلامي ليس ممعناً في الجهل فضلاً عن الشرك الأكبر! كما يتصوره البعض بناء على ما كتبه بعض علماء الدعوة ومؤرخيها، كما أنه ليس من العدل أن نهمل كل جهود هؤلاء أو نزدريهم، وللأسف أن هؤلاء على مقتضى كلام غلاة الوهابية مشركون شركاً أكبر! وكأن الإسلام كان قد انطفأ حتى بعثه الشيخ مجدداً وهذا خلاف الواقع، لكنه ظن كثير من أتباع الشيخ للأسف.

الفقرة الرابعة: الغلاة في الشيخ على خلاف ما نهى عنه:

ومن دلائل ذلك أن معظم ما نهى عنه الشيخ في كتبه وأشهرها الغلو في الصالحين قد تحققت فيهم بغلوهم في الشيخ غلواً عظيماً، كما أنهم لم يستفيدوا من التقريرات العظيمة التي كتبها في النهي عن التقليد والإعراض عن الحق، فكان تعصبهم للشيخ خالياً من أكثر ما ينهى عنه، ولعلنا نأخذ نموذجاً من ذلك وهي تلك (المسائل الجاهلية) التي ذكر الشيخ محمد أن النبي ﷺ جاء وأبطلها وكانت من الأسباب الرئيسة في عدم قبول كفار قريش للحق، وتلك الخصال نراها اليوم بوضوح في الغلاة من أتباع الشيخ ومنها – مع اختصار وتصرف -:

١. قول الشيخ: إن دينهم – يعني أهل الجاهلية - مبني على أصول أعظمها التقليد!!
فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم...

قلت: والتقليد في غلاتنا أظهر من أن نمثل له وخاصة في العقائد، فهم ينزلون أقوال العلماء في العقائد منزلة النصوص الشرعية تماماً إن لم يكن أعظم، ويكفي أحدهم في الاستدلال أن يقول: قال الإمام أحمد ...أو قال شيخ الإسلام ابن تيمية... أو قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب... وكأنه يستدل بنص شرعي قطعي الدلالة والثبوت! وهذا خلل كبير جداً لا أرى من يهتم به إلا القليل جداً من العلماء قديماً وحديثاً فضلاً عن غيرهم، بل حتى المنكرين على أهل التقليد إنما ينكرون عليهم التقليد الفقهي ويتجنبون إنكار التقليد العقدي وهو أكثر فتكاً في الأمة من التقليد الفقهي، لأن المتفقهين يقبلون التعايش مع بعضهم أما المقلدون في العقائد فهم يرثون أقوالاً في تكفير من لم ير هذا الرأي أو رأى ذاك، ويورثونها لمن بعدهم، ولعل ابن حزم والمقبلي من القلائل الذين أنكروا التقليد العقدي والمقبلي أقوى الرجلين في هذا الجانب وأكثر اعتدالاً وأقل تناقضاً وأدق في معرفة عقائد المذاهب الإسلامية.

٢. قول الشيخ: ومن أكبر قواعدهم –يعني أهل الجاهلية - الاغترار بالأكثر!
ويحتجون به على صحة الشيء ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله!

قلت: وهذا ظاهر في كثير من غلاتنا من مقلديه ومن السلفيين عند قوتهم وكثرتهم، وإن شعروا بالضعف والقلة جأروا (طوبى للغرباء)!

٣. وذكر منها الشيخ: الاحتجاج بالمتقدمين كقوله تعالى –حاكياً حجة فرعون - (فما بال القرون الأولى)؟!

قلت: وهذا في غلاتنا أيضاً مثل قول بعض غلاة السلفية – عندما ترشدهم لبعض أخطائهم - : (من سبقك إلى هذا؟!) بينما لا يسألون عن من سبقهم إلى أخطائهم ومنها أشياء كثيرة ذكرناها في بعض الأبحاث وفي كتاب العقائد.

٤. وذكر منها الشيخ: الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال.

قلت: وكذا بعض مقلدي ابن تيمية مثلاً عندما يقولون: من أنت حتى تستدرك على ابن تيمية! وهو صاحب الذكاء والمنطق والفلسفة وكذا وكذا ..الخ.

٥. وذكر منها الشيخ: الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء!

قلت: وهذا يفعله بعض المغالين اليوم عندما يقولون: ما يتبع هؤلاء إلا القلة ممن لا وزن لهم ولا شهادات ولا مناصب...، وكذلك لما تحدثهم عن أحد العلماء أو الباحثين، يبادرونك: بأنه لا يعرفه أحد ولم يذكره العلماء بخير!

٦. وذكر منها الشيخ: الغلو في العلماء والصالحين.

قلت: وهذا أمثلته كثيرة، ولو يقرأ المنصف ما يكتبه الغلاة عن الإمام أحمد وابن تيمية والشيخ محمد، لتخيل أنهم يتحدثون عن مخلوقات خارقة ليست من الجن ولا الإنس ولا الملائكة، فهذا يعلم تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض، وهذا ينتهر منكر ونكير، وهذا يخبر بمسير التتار قبل أن يتحركوا من مواطنهم... ثم بعد هذا نجد هؤلاء الغلاة الذين يقبلون هذه الخزعبلات من أشد الناس ذماً للغلو وأهله (راجع ما كتبناه عن الغلو في كتاب العقائد).

٧. وذكر منها الشيخ: اتباع الهوى والظن والإعراض عما أتاهم الله.

قلت: وهذا ما يفعله بعض غلاتنا اليوم عندما تأتيه بالدليل الشرعي فيجيبك بأن ابن تيمية أو ابن القيم يرى كذا وكذا.. وأن العلماء يقولون كذا ...، ولو أن قائل هذه الأقوال من العوام لهان الأمر لكن نجد الوصية بالعلماء المقلدين بين طلبة علم متمكنين هم أول من يعلم أن الأفضل من العلماء يتبع للأقل علماً والأكثر تعصباً، وإلا فنحن نعرف أن في هيئة كبار العلماء مثلاً علماء بحق لكن لا صوت لهم وهم تابعون خاضعون لعلماء آخرين لا حظ لهم في تحقيق ولا إنصاف، وهنا يكون قبض العلم عندما يتخذ الناس رؤساء جهالاً فيُضلون ويَضلون..

٨. وذكر منها الشيخ: اعتذارهم عن اتباع ما أتاهم الله بعدم الفهم (وقالوا قلوبنا غلف)؟

قلت: وهذا رأيته من بعضهم عندما تحاورنا فقال: اعتبرنا أغبياء لا نفهم!

٩. وذكر منها الشيخ: نسبة باطلهم إلى الأنبياء.

قلت: وهذا في غلاة السلفية والوهابية، ينسبون التكفير لله ورسوله.

١٠. وذكر منها الشيخ: تناقضهم في الانتساب فيدعون الانتساب إلى النبي ﷺ ويتركون اتباعه؟!

قلت: وهذا أيضاً في بعض غلاتنا عندما تقول له إن النبي ﷺ قال كذا فيتعذرون بأن بعض الفقهاء قال كذا وأنهم أكثر فهماً للحديث منا! بينما إن كان الموضوع في صالحهم تراهم يجأرون بقول مالك (كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر)!.

١١. وذكر منها الشيخ: قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين.

قلت: وهذا في بعض غلاتنا كقدحهم في الصوفية بفعل البعض، وقدحهم في الشيعة بفعل البعض، بل قبل ذلك قدحهم في الإمام علي أو جعفر الصادق بفعل بعض الشيعة، حتى أن رجلاً من غلاة السلفية يزعم بأن علياً قاتل للرياسة لا للديانة! ويصرح آخر بأن جعفر الصادق ماسوني كذاب! ونحن هنا لا نبرئ أحداً من خطأ، لا أبو بكر ولا علي ولا جعفر الصادق ولا الشافعي، فالجميع بشر لهم أخطاؤهم مثلما لغيرهم لكن لا يجوز أن نتهم أهل البيت بالباطل ونترك الشيعة ليدافعوا عنهم! فالصادق مثلاً حاشا لله أن يكون ماسونياً أو كاذباً كما يزعم الجبهان، فالغريب في معتدلينا سكوتهم المطبق في الرد على هؤلاء، بينما نشاطهم وحماسهم لا يبارى في الرد على من خطّأ ابن تيمية أو البربهاري أو الشيخ محمد وهذا تناقض في المواقف ودليل على تأثرنا بردة الفعل أو خشيتنا من اتهام البشر وأمننا من اتهام رب البشر.

١٢. وذكر منها الشيخ: أن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه!! (نحن أكثر أموالاً أولاداً وما نحن بمسبوقين)؟!

قلت: وهذا أيضاً في بعض غلاتنا عندما يحتجون على من خالفهم بقولهم: ألا ترى أن الله أنعم علينا بالمال والمنصب و..الخ! وإذا أصاب غيرهم المنصب والمال قالوا (هذه الدنيا أعطاهم الله إياها لتكون عليهم حسرة يوم القيامة)! وهذا شائع في جميع الغلاة، فإذا أصابهم مكروه قالوا: هذا ابتلاء! (فالله إذا أحب قوماً ابتلاهم)! وإذا أصاب خصومهم مكروه، قالوا: (هذه عقوبة الله وما ينتظره أعظم)! وهذا كله من التألي على الله فلا أحد يعرف سر هذا المكروه أو هذه النعمة إلا هو، والواجب على المسلم إن أصابته سراء أو أصابت خصمه المسلم أن لا يجزم بشيء من هذا أو هذا وإنما يرجو لنفسه ويخشى عليها، وكذا يرجو للمسلمين ويخشى عليهم ولو كانوا من ألد خصومه.

١٣. وذكر منها الشيخ: ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة!

قلت: وهذا سبق التمثيل عليه.

١٤. وذكر منها الشيخ: الاستدلال على بطلان الحق بسبق الضعفاء كحال المشركين الذين قالوا: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه).

قلت: وقد سبق شيء من هذا.

١٥. وذكر منها الشيخ: أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم!

قلت: وهذا في غلاتنا من أوضح الأمور، عندما تأتيهم بدليل فيقولون: هذا لم نسمع به من مشايخنا وليس موجوداً في مصادرنا، مع أن الحق لا يشترط أن يكون كله مذكوراً عندنا، وقديماً حارب الغلاة العلوم المفيدة من هذا الباب كفضل المنطق مثلاً.

١٦. وذكر منها الشيخ: أنهم مع ذلك لا يعملون بما تقوله طائفتهم!

قلت: وهذا أيضاً في غلاتنا، فهم لا يعرفون أن ابن تيمية لا يكفر الجهمية ولا الرافضة! و أنه لا يجوّز أن يجزم الشخص بأن الطائفة الفلانية ناجية والطائفة الفلانية هالكة لأن

هذا من التألي على الله، ولا يعرف بعضهم أن بعض متقدمي الحنابلة كانوا يكفرون أبا حنيفة! وأن أحمد بن حنبل لم يكن يكفر بالتبرك بقبر النبي (ص) ومنبره.

١٧. وذكر منها الشيخ: كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه!

قلت: وهذا ظاهر في بعض غلاتنا تجدهم يردون عليك الحق إذا قال به فلان، فإذا علموا أن فلاناً -ممن يحبونه- قد قال بهذا القول سهل عليهم الأمر وصوبوه وهدأت نفوسهم.

١٨. وذكر منها الشيخ: إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم.

قلت: وهذا كإنكار بعض غلاتنا أن من ديننا ذم الظلم والبغي وأنه لا حجة إلا في قول الله ورسوله، وأن منهج الجرح والتعديل يكشف أن في مصادرنا في العقيدة أحاديث موضوعة وهكذا...الخ..

١٩. وذكر منها الشيخ: أن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾؟.

قلت: وهذا واضح في جزم غلاتنا بأنهم هم الناجون فقط وغيرهم من الفرق الإسلامية ممن لا يتابعهم على ما يرون هالكون وفي النار! لكن البعض يستدرك بأن غيرهم من المسلمين (الهالكين عندهم) يمكن أن يخرجوا من النار بالشفاعة لكنه يبقى احتمالاً ضعيفاً!!.

٢٠. وذكر منها الشيخ: التعبد بتحريم الحلال!

قلت: وكم من حلال يحرمه غلاة الوهابية، وقد سبق أنه وصل تحريمهم إلى تحريم التعليم في وقت من الأوقات ولولا فرض السلطة لكثير من الحلال بالقوة لما استطاع أحد أن يقنعهم ولو جاء بأوضح الأدلة الشرعية، فهم لا يقنعون إلا بما قالته طائفتهم.

٢١. وذكر منها الشيخ: التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله!

قلت: هذا كلام الشيخ محمد كان يرد به على من يرى أنهم مقلدون يردون الحق الذي جاء به الشيخ بذكر فقهاء آخرين قالوا بخلافه، ورغم أن عبارة الشيخ فيها قسوة، لكن ألا ترون معي أن الحالة التي يشكو منها الشيخ محمد؛ قد عادت، ففي هذه المرة هم الذين يقلدون ويأبون المراجعة.

٢٢. وذكر منها الشيخ: معارضة شرع الله بقدره!

قلت: هذا في غلاتنا، فهم يقولون سلط الله الحجاج على أهل العراق، ولا يقولون سلط الله أمريكا على طالبان... فيحتجون بالقدر فيما يحبون من مصائب الآخرين، وينفونه في ما يكرهون من مصائبهم.

٢٣. وذكر منها الشيخ: التعصب للمذهب.

قلت: الأمثلة واضحة.

٢٤. وذكر منها الشيخ: تحريف الكلم عن مواضعه.

قلت: هذا من أوضح الأمور في غلاتنا، فتحريفهم الكلم عن مواضعه لا أجد له مثيلاً في طائفة من الطوائف أو منافساً إلا بعض غلاة الشيعة.

٢٥. وذكر منها الشيخ: تلقيب المخالفين بألقاب باطلة.

قلت: وهذا أيضاً في غلاتنا من أظهر الأمور، كوصفهم كل من دافع عن الإمام علي من مظالمهم أو ذم البغي بالتشيع والرفض، ووصفهم من نفى التجسيم والتشبيه بالجهمية، ووصفهم من نقد منهج الوهابية في التكفير بالإرجاء والقبورية.

٢٦. وذكر منها الشيخ: التكذيب بالحق.

قلت: وهذا ظاهر في غلاتنا من تكذيبهم كل حق يقوله مخالفوهم ومكابرتهم في عدم قبوله.

٢٧. وذكر منها الشيخ: افتراء الكذب على الله.

قلت: مثل قول بعض غلاتنا في الماضي والحاضر بأن الله أثنى على كل من رأى النبي ﷺ وأن الله وعدهم كلهم بالجنة! مع أن فيهم من ارتد ونافق وأساء السيرة، وقد أثبتنا أن هذا القول قول على الله بغير علم واعتساف في تأويل الآيات الكريمة التي لم

تنزل إلا في فضل المهاجرين والأنصار ومن في حكمهم ثم من أحسن العمل يدخل في التابعين بإحسان (يمكن مراجعة هذا بتوسع في كتاب الصحبة والصحابة).

٢٨. وذكر منها الشيخ: كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك كما قال (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض)؟!

قلت: وهذا في غلاتنا ظاهر جداً، فهم يستعينون بالسلطة عند ضعف الحجة لكبت خصومهم ومنعهم من النشر ومنع كتبهم من الدخول ومنعهم من السفر، وربما طالبوا بالتصفية الجسدية لبعض مخالفيهم لمنع الفساد في الأرض! وحماية الناشئة!.

٢٩. وذكر منها الشيخ: رميهم الصالحين بانتقاص دين الملك.

قلت: كقول بعض غلاتنا بأن من خالف العقيدة السلفية فإن قلبه معقود على الخروج على ولي الأمر! وهذا ليس بلازم فقد خرج قوم من جميع الطوائف بما فيهم الحنابلة قديماً وحديثاً الوهابية فالمسألة لا يجوز فيها المزايدة، وكنا قد قلنا هذا الكلام قبل أحداث العنف والتكفير الأخيرة في المملكة، وبالتحديد كنت قد ذكرت هذا في كتاب العقائد (باب الحنابلة والسياسة)، وكانت وقتها المملكة من أهدأ الدول وأبعدها عن العنف، لكنني كنت أعرف أن المنهج السلفي الحنبلي والوهابي منهج يحمل في داخله التفكك، لأنه يدعو لكراهية المسلم لأدنى مخالفة فكيف بما يرونه من كفر الحكام والحكومات؟ من رأى تكفير مثل الإمام أبي حنيفة و العلامة ابن فيروز فلا نستغرب منه تكفير فلان وفلان...

٣٠. وذكر منها الشيخ: رميهم إياهم بتبديل الدين..

قلت: وهذا واضح في ردود غلاتنا، فكل ردودهم على مخالفيهم من المسلمين يرمونهم فيها بتبديل الدين..

٣١. وذكر منها الشيخ: تركهم الواجب ورعاً!

قلت: كترك بعض غلاتنا تصويب الإمام علي ورعاً! وتركهم ذم الظالمين ورعاً! وتركهم الحكم للمسلمين – سواهم - بالنجاة ورعاً!

٣٢. وذكر منها الشيخ: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

قلت: سبق هذا.

٣٣. وذكر منها الشيخ: دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.

قلت: هذا في غلاتنا ظاهر؛ كدعوتهم للتكفير والتبديع بغير علم، مع جهلهم بضوابط التكفير ومثله التبديع، واليوم أحسن وهابيو البلاط في مراعاة ضوابط التكفير وموانعه، لأن السلطة أرادت منهم ذلك، وحسناً فعلت وفعلوا، ويكون الأجر على قدر النية، لكن على السلطة أن تكمل شيئاً لله، وهو أن يطلبوا من العلماء مراعاة ضوابط التبديع أيضاً، لأن الغلاة وفي العلماء غلاة، يبغضون من يظنون أنه مبتدع أكثر من بغضهم لليهود والنصارى، وفتاواهم لا تحصر في ذم وبغض المبتدعة، وهم عندهم كل من سواهم، واليوم قد حصل الكفار على حقوقهم في فتاوى الغلاة ومحاضراتهم وندواتهم وخطبهم وهذا شئ حسن، ولكن بقيت حقوق المسلمين، فالواجب على الدولة أن تدعو العلماء إلى مراعاة ضوابط التبديع، ومثلما هناك موانع من الجهل والتأويل في مسألة الكفر فالموانع نفسها يجب أن تكون في مسألة البدعة (وللألباني تقرير جيد لهذا التلازم)، علماً بأنه لا يوجد مسلم غالباً إلا وفيه خليط من بدعة وسنة، وهذا ما قرره ابن تيمية نفسه، والله قد نهانا عن تزكية النفس، فتزكية النفس محرمة شرعاً واجبة مذهباً.. والشرع مقدم على المذهب بالإجماع النظري، وإن اختلف التطبيق.

٣٤. وذكر منها الشيخ: دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه.

قلت: من شرع الله ألا تكفر مسلماً ولا تغتاب ولا تتكبر ولا تكذب على الناس ولا تستحل أعراض المسلمين ولا تفتخر بنسب أو بمنطقة ..وهذا للأسف في غلاتنا.

٣٥. وذكر منها الشيخ: المكر الكبار.

قلت: وهذا يفعله غلاتنا كثيراً، وخاصة في المواطن البعيدة عن رقابة السلطة، وخاصة في الجامعات الإسلامية فمكرهم كبار في كبار! يمكرون ببعض التلاميذ السذج

ويطلبون منهم مذكراتهم ليستفيدوا منها زعموا! ثم يعطونها لثلاثة! ثم يفصل الطالب المسكين! بعد حرمانه في ثلاث مواد!

هكذا مكر بسلاسة...!

٣٦. وذكر منها الشيخ: أن أئمتهم إما عالم فاجر أو عابد جاهل.

قلت: قول الشيخ محمد السابق فيه قصر حاد لا أرتضيه لكن أرى غلاتنا يلجئون لبعض الشيوخ ممن لا يخشى الله في الآخرين أو ممن لا يفهم الموضوع مثار الاختلاف فيفتون في السؤال، ليأتي الجواب العضال! وللأخ الصديق الشيخ عبد الله بن بجاد العتيبي مقال عن (صناعة الفتوى) ليته يستكمله وينشره في بحث لطيف خفيف.

٣٧. وذكر منها الشيخ: تمنيهم الأماني الكاذبة.

قلت: كتمنيهم بأنهم سيكونون في الفردوس وغيرهم في جهنم (تلك أمانيهم)! فلا يجوز التألي على الله فإن أبوا نقول لهم: (قل هاتوا برهانكم عن كنتم صادقين).

٣٨. وذكر منها الشيخ: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

قلت: ومن زعم أنه وطائفته هم الناجون وغيرهم هم الهالكون فقد وافق قول الشيخ هنا، وأتباعه في هذا رأس.

٣٩. وذكر منها الشيخ: الفخر بالأحساب.

٤٠. وذكر منها الشيخ: الطعن في الأنساب.

قلت: أمثلة هذه النقاط واضحة في غلاتنا، مع أنه فخر بلا علم، والفخر بالحسب والنسب بحسب الهدف منه، فإذا كان الهدف منه الحث على الخير فهو حسن، وإن كان الهدف منه إضفاء مزايا على بقية الناس فهذا قبيح، وأما الطعن في النسب فمذموم على كل حال، لكن من انتسب إلى غير أهله، فيجب بيان ذلك عند أهل النسب، لأنه محرم، ومعيار الشرع في الفضل هو التقوى، والتقوى أصبحت كلمة، وعند الله الميزان.

٤١. وذكر منها الشيخ: أن الذي لا بد منه عندهم تعصب الإنسان لطائفته ونصر من هو منها ظالماً أو مظلوماً.

٤٢. وذكر منها الشيخ: أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره.

٤٣. وذكر منها الشيخ: تعيير الرجل بما في غيره.

٤٤. وذكر منها الشيخ: عظمة الدنيا في قلوبهم.

٤٥. وذكر منها الشيخ: رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا.

قلت: وهذه النقاط في بعض غلاتنا من أخذهم الرجل بجريرة غيره، والتعصب للطائفة أو القبيلة أو المنطقة ورميهم المؤمنين بحب الدنيا وهم من أحرص الناس على الدنيا ..الخ.

٤٦. وذكر منها: لبس الحق بالباطل.

قلت: وهذا من أوضح الأمور في غلاتنا فإذا قال الواحد منا قولاً ألبسوه لباساً غير لباسه وقدموه ليستفتوا فيه بعض الناس، وهذه المسألة من أوضح السمات في غلاتنا، وهي سمة عامة في كل غلاة الفرق الإسلامية.

٤٧. وذكر منها الشيخ: كتمان الحق مع العلم به.

قلت: وهذا في بعض غلاتنا ومعتدلينا، ويرددون في ذلك بعض الشعارات الصحيحة لكن في غير موضعها مثل: ما كل ما يعلم يقال! وحدثوا الناس بما يعرفون! التدرج في الدعوة! وغير ذلك من الأعذار التي يعطلون بها واجب إنكار ما تحتويه الكتب من تكفير واستهانة بحقوق المسلم، كما يتم كتم العلم الصحيح ومجاملة الباطل بمثل هذه الشعارات التي ينزلونها في غير مواقعها، وإذا كانوا قد أنزلوا الآيات الكريمة في غير ما أنزلت له فسواها من باب أولى.

٤٨. وذكر منها: القول على الله بلا علم.

قلت: وهذا كثير جداً فهم يرددون أن الله أراد كذا وفعل كذا لأجل كذا ...وحرم كذا وأباح كذا..الخ.

٥٠. وذكر منها: التناقض الواضح.

قلت: مثل غلو غلاتنا في تكفير وتبديع الفرق الإسلامية بأقوال هي دون ما يقولها بعض سلفهم، فإذا جئت لهم بأقوال قالها بعض سلفهم تقتضي على منهجهم التكفير أو التبديع كأقوال البربهاري وأبي يعلى وابن تيمية في عقيدة الشاب الأمرد مثلاً أخذوا في الإرجاء والاعتذارات بأعذار هي دون أعذار من يبدعونهم ويضللونهم، وكذا تجدهم يبالغون في ذم الخارجين على عثمان وتكفيرهم مع غلوهم في الثناء على كل الصحابة وخاصة الطلقاء! مع أنه كان في رؤوس الخارجين على عثمان صحابة رضوانيون! بل في معارضيه بدريون، وهم أولى بالدفاع من الطلقاء! ومن التناقضات المشهورة تشنيعهم على من اتهم ابن تيمية بالنصب وسكوتهم عمن اتهم أبا حنيفة بالكفر والزندقة!

٥١. وذكر منها: الإيمان ببعض المنزل دون بعض.

قلت: كإيمان بعض غلاتنا بـ(تلك أمة قد خلت)! وتركهم الإيمان بـ(فقاتلوا التي تبغي)! مع أن الآية الأولى ليست قطعية الدلالة على ما يزعمون لنزولها في سياق الرد على اليهود في انشغالهم بنسبة هذا النبي وذاك إلى اليهود وتركهم العمل، بعكس الأخيرة.

٥٢. وذكر منها: مخالفتهم ومجادلتهم فيما ليس لهم به علم!!

قلت: كجدال بعض غلاتنا في التاريخ -عبد الله بن سبأ والقعقاع نموذجاً - وهو لا يعرف عن الروايات في الموضوع ولا تحرير المسألة ولا محل الخلاف.

٥٣. وذكر منها: دعواهم اتباع السلف! مع التصريح بمخالفتهم.

قلت: وكذا غلاتنا فهم يزعمون أنهم على منهج السلف الصالح ويقصرون السلف الصالح على أربعة أو خمسة في القرنين الثالث والرابع واثنين في القرن الثامن ويهملون السلف الحقيقي وهم المهاجرون والأنصار مع كبار التابعين بإحسان، لكن

معظم الأمور التي يدندنون حولها من تكفير وتجسيم وتشبيه وغلو في العلماء وغير ذلك... لم يكن عليها هؤلاء السلف الحقيقي وإنما نشأت مع الحنابلة من عهد المتوكل في منتصف القرن الثالث.

وأخيراً نقول: هكذا كثير من المسائل التي عدها الشيخ محمد من مسائل الجاهلية هي موجودة اليوم بين الغلاة من أتباعه حاشا المعتدلين فأصبح الغلاة الذين يمنعون من تخطئته ولو بالدليل والبرهان من أبعد الناس عن دعوته ومنهجه وربما لو كان حياً لبدأ بتكفيرهم وقتالهم! ولأثنى على من يظنونه خصماً له مثلما نظن أن الإمام علياً لو كان حياً لبدأ بالإنكار على الغلاة من الشيعة وجلدهم.

الخلاصة في هذه الفقرة:

أن الغلاة غالباً من وهابية وغيرهم، يوصون بالعدل ويظلمون، يأمرون بكل بر وينسون أنفسهم، وليس أكثر طرفة من مدحهم العقل وأمرهم بالتفكر والتدبر، مع ثنائهم على الرحمة والإحسان، وهكذا لا تكاد تجد لهم أمراً إلا خالفوه، ولا يدركون هذه المخالفة.

وهم بحاجة قبل أن ينصحوا غيرهم أن يراجعوا أنفسهم، ولن يستطيعوا إلا بهدوء نفس وتعوذ من الشيطان، واعتراف بأن نفوسهم كسائر النفوس البشرية يعتريها النقص، فليتهم بدلاً من هذا الجري في مضمار الخصومة والردود والتلفيق أن يأخذوا قسطاً من الراحة للمراجعة والتقييم، فهما كثرت الردود لهم أو عليهم إن لم تقترن ببرهنة واضحة على التجرد والإنصاف سيشعرون يوماً بعد بانقشاع الناس من حولهم وإن جاملوهم في الوجوه، فمن العقل أن تتم المراجعة في وقت القوة المتبقية، ويتم بيان بعض الأخطاء سواء في المنهج أو المضمون البشري المتوارث، مع حسن الظن بالمخالف، والعلم بأن سوء التصرف مع المختلفين معهم في الرأي هو الذي أكثر من عدد المخالفين وأحد أنيابهم وألهب حماسهم.

الرجوع عن الباطل اليوم فضيلة قبل أن يكون الرجوع عشوائياً من حق وباطل إلى حق وباطل آخرين.

الفقرة الخامسة: الزيدية:

نظراً لجهودي المتواضعة في كشف ظلم الغلاة ضد أهل البيت، قد أكثر السلفيون في نسبتي إلى الزيدية! ولو كان حقاً هذا لأعلنته، فالزيدية أفضل بكثير من غلاة السلفية علماً وورعاً وتاريخاً ونسباً ...

وعلى كل حال: فالزيدية مذهب كغيرهم من المذاهب يؤخذ منهم ويرد، وهم من جملة الفرق المظلومة عند غلاة السلفية، وفي الزيدية علماء وفضلاء وزهاد ولهم فضل كبير في تاريخ الإسلام الفكري والسياسي، وعندما أعترف بإسلامهم وفضلهم أو بإسلام وفضل الشافعية والحنفية والمالكية والظاهرية لا يعني هذا أن ننتسب لواحد من هذه المذاهب، علماً بأن الانتساب لأحد المذاهب الأربعة أو للزيدية أو للظاهرية أو الجعفرية أو الإباضية ليس محرماً شرعياً ولا عيباً قبلياً حتى يذمه هؤلاء الغلاة، بل لو كان الأمر كما يصور هؤلاء لكان الانتساب لمذهب رجل من أبناء رسول الله ﷺ (الذين هم خيار من خيار والذين نصلي عليهم في كل تشهد) أفضل من الانتساب لمذهب رجل من بكر وائل أو بني تميم أو الأصابح، ثم الزيدية وخاصة المتقدمين منهم، كانوا أئمة أهل السنة فالإمام زيد بن علي رحمه الله وكذا النفس الزكية ناصرهم أكثر أهل الحديث والفقه في زمنهم، بل إن ثلاثة من الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي) كانوا من أتباع أئمة الزيدية في زمنهم، فأبو حنيفة كان من أتباع وتلاميذ زيد بن علي ثم من أتباع النفس الزكية بعده، (وقد سمه المنصور لهذا السبب) وكذا كان الإمام مالك يفتي بالخروج مع النفس الزكية وقد سجن لأجل ذلك بسبب فتواه (ليس على مستكره بيعة) وكان الشافعي مع أحد أئمة الزيدية في اليمن؛ وكاد الرشيد أن يفتك به، وكان معهم أيضاً من كبار علماء أهل السنة محدثون وفقهاء كبار كمنصور بن المعتمر وسلمة بن كهيل وسفيان الثوري (وكان يقول بعد قتل إبراهيم بن عبد الله الزيدي: ما أظن الصلاة تقبل إلا أن فعلها خير من تركها) وهذا يدل على شدة تأثره وتأنيبه نفسه،

وناصرهم أيضاً الأعمش وعباد بن العوام ويزيد بن هارون وهشيم بن بشير (أول شيوخ الإمام أحمد) والعوام بن حوشب ومسعر بن كدام وشعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث (وكان يسمي القتال مع الزيدية: بدر الصغرى) والحسن بن سعد الفقيه ويزيد بن أبي زياد ومحمد ابن أبي ليلى وقيس بن الربيع وأبو عمرو بن العلاء اللغوي القارئ المشهور، وسلام الحذاء وأبو داود الطهوي وفطر بن خليفة وعيسى بن أبي إسحاق السبيعي وأخوه يونس وأبو خالد الأحمر وعبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وأسامة بن زيد (وهو محدث وليس الصحابي)، ومسلم بن سعيد وخليفة بن حسان وإسحاق بن يوسف الأزرق والأصبغ بن زيد وهشام بن حسان وصالح المروزي والحجاج بن بشير وأبو العوام القطان وعبد ربه بن زيد وعبد الحميد بن المحبق والحكم بن موسى وعمران بن شبيب وعباد بن منصور وخالد بن عبد الله الواسطي (وليس القسري الأمير المشهور بالظلم) ويونس بن أرقم والمفضل الضبي وعمر بن عون ومؤمل بن إسماعيل، - والحسن بن صالح بن حي وأخوه علي بن صالح بل كانا زيديين - وغيرهم كثير من أهل العلم والفضل والفقه، يمكن لمن شاء مراجعة تاريخ الطبري (الأعوام ١٢٢هـ، ١٤٥هـ) ومقاتل الطالبيين للأصفهاني وغيرهما من المصادر، وفيها بعض الروايات تذكر إجماع المحدثين والفقهاء على نصرة الزيدية في تلك الأزمان ولا يستثنون إلا أفراداً.

إذن فالانتساب للمذهب الزيدي لو أريد الانتساب له لفعلت، لا يمنعني إلا أنني أجهل تفاصيل هذا المذهب ومنهجه في الجرح والتعديل وقبول المرويات، ولو أنتسب إليه فقد انتسب إليه أو نصر أصحابه من هو أفضل وأعلم مني، بل من هو أعلم وأفضل من أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، فضلاً عن البربهاري وابن بطة وأبي يعلى وأمثالهم، وإنما نفيت الانتساب للزيدية للأسباب السابقة ولأنني أعرف عن نفسي أنني من حيث الواقع سني النشأة والمصادر والممارسة العبادية

فصلاتي وصومي وحجي وإمساكي عن الخوض في دقائق العقائد كل هذا وفق المنهج السني، من بحث عن الدليل وجرح وتعديل ومصادر سنية ...الخ، وهذا لا يعني أنني إن اكتشفت حقاً عند الزيدية أو عند غيرهم سأتنكر له بحثاً عن التزكية من الغلاة! تلك التزكية التي هي أقرب بالجرح من التزكية، ولو كنت أريد بالعلم تزكية الناس ونيل الجاه لما كنت في هذه الخصومات من أكثر من خمس عشرة سنة، ولعرفت بسهولة كيف أجامل الغلاة وأكفر المسلمين وأترفع على عباد الله لأصل للجاه والمال والمنصب كما يفعل بعضهم بسهولة أيضاً!

صحيح أن في بعض الزيدية غلواً وتبديعاً وترفعاً على الناس كما في بعض المذاهب ذلك... لكن ما أدري لماذا افتخار غلاة السلفية على الزيدية وليس عندهم نسبهم الشريف ولا تدينهم الرصين ولا عقلهم الصريح ولا زهدهم في الدنيا ولا نضالهم من أجل الحرية والعدالة ولا تاريخهم البطولي؟!

ولا أرجع هذا الهضم من السلفية للزيدية إلا إلى الجهل بالذات قبل الجهل بالآخر، والناس أعداء ما جهلوا، حتى أن غلاة السلفية يعدون كلمة (زيدي) عاراً وسبة؟! حقاً إن الأمر غريب!

وكأن المفتخرين من غلاة السلفية يوازون الزيدية علماً وأعلاماً، وعقلاً وفضلاً، وتاريخاً ونسباً!.

الفقرة السادسة

معظم الأمور التي يكفر بها الشيخ وأتباعه المسلمين ليست مكفرة، بل يرى جوازها جمهرة من علماء المسلمين، بل الحنابلة أنفسهم على تشددهم يرون جواز هذا، كالإمام أحمد بن حنبل، وإبراهيم الحربي الحنبلي وعبد الله بن أحمد بن حنبل .....والعلماء الذين يرون جواز هذا عند غيرهم من باب أولى، ويحسن بي هنا أن أوثق بعض ما سبق..

فعلى سبيل المثال:

١. التبرك بالقبور والتمسح بها يجعله الشيخ (شركاً أكبر)، ولكنه عند أحمد بن حنبل إمام المذهب (لا بأس به)! ففي كتاب العلل ومعرفة الرجال (٢/٤٩٢) لعبد الله بن أحمد بن حنبل قال (سألته – يقصد أباه - عن الرجل يمس منبر النبي (ص)ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله عز وجل؟ فقال (أحمد بن حنبل): لا بأس بذلك!

فالشيخ وأتباعه هنا، بين عدة خيارات:

- إما أن يقولوا : إن هذا لا يصح عند أحمد، وعلى هذا يلزمهم تكذيب عبد الله بن أحمد، وطرح كتب أحمد بن حنبل التي انفرد عبد الله برواياتها كالمسند وفضائل الصحابة والعلل، وهذا ما لا يستطيعونه.
- وإما أن يقولوا إن أحمد بن حنبل رحمه الله بهذا القول هو مشرك شركاً أكبر ينقل عن الملة! وهذا لن يقولوه ولا يحق لهم ولا يستطعون..
- وإما أن يقولوا: إن هذا ليس بشرك وأن صاحبه لا يكفر وهنا يلزمهم الحكم بالإسلام لمن كفرهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه لأن غاية ما نعلم عنهم أنهم يرون التبرك والتمسح بقبور الصالحين والأولياء وما سوى ذلك فدعاوى وإلزامات خصومهم الوهابيين.

وعلى هذا إذا كان الخلاف كبيراً بين الإمام أحمد والشيخ محمد فأحدهما يقول (لا بأس به) والآخر يقول: (شرك أكبر) فهذا خلاف واسع جداً، لا يصلح بعده أن يقول الشيخ محمد ومقلدوه إنهم على منهج أحمد بن حنبل في العقيدة.

ثم معاصرو الشيخ من العلماء قد يرون التبرك بقبور الصالحين على هذا النحو ولا يرون هذه عبادة لغير الله ولا شركاً بل ربما رأوا رأي أحمد بن حنبل بأن هذا ليس محرماً ولا مكروهاً أصلاً.

وحجة أحمد بن حنبل وغيره من العلماء -الذين خالفهم الوهابية – الذين هم جمهرة علماء المسلمين، في هذا القول بأنه (لا بأس به أو مباح أو مندوب) أن بعض الصحابة كأبي أيوب الأنصاري وابن عمر كانوا يفعلون مثل هذا عند المنبر أو القبر وسط الصحابة ولم ينكر عليهم أحد من الصحابة مما يدل على أن هذا إجماع سكوتي.

فإن قال قائل: هناك فرق بين قبر النبي (ص) ففي تربته بركة وأما من سواه فلا...!

نقول: الشيخ يجعل هذا عبادة، وعبادة الأنبياء لا تجوز، وهو يكرر أن من عبد نبياً أو ولياً فهو مشرك، وهو صادق في هذا القول، لكنه غير صادق بأن من تبرك فقد أشرك، فهناك فرق كبير جداً بين قول الشيخ العام الذي يوافقه عليه كل المسلمين، لكنه مخطئ في إدخال صور كثيرة وممارسات ضمن الشرك وهي ليست بشرك أصلاً، لا أكبر ولا أصغر، لا يبيح عبادة الأنبياء والجميع يتفق معه في هذه المقدمة، فهذه ليس فيها نقاش، إنما النقاش والإنكار جعل التبرك والتوسل شركاً أكبر وقد فعله صحابة من أهل بدر والرضوان ولم ينكره عليهم أحد من الصحابة ولا التابعين، فعلى هذا يلزمكم تكفير أبي أيوب الأنصاري وابن عمر وأحمد بن حنبل، بل وتكفير الصحابة الذين لم ينكروا عليهم هذا، مع الشهادة بالتوحيد في عصر الصحابة لمروان بن الحكم فقط! فهو الوحيد الذي أنكر على أبي أيوب وضع خده على القبر الشريف (وهنا نقطة: وهي أنني أجد كل أمورنا مصبها في بني أمية! حتى في مثل التشددات العقدية التي نلقاها عند الوزغ بن الوزغ مروان بن الحكم، والتشدد الفقهي في وصلات شعر النساء والركعتين بعد العصر والإتمام في الحج، نجده عند معاوية رأس الفئة الباغية في عهد الخلافة الراشدة، والاثنان من أهمل عباد الله للعدل والإحسان والحقوق، ومن أهتك عباد الله لما حرمه الله من سفك ولعن ونهب أموال وأثرة...الخ، وغلاة السلفية ومنهم غلاة الوهابية يسيرون سيرهم حذو النعل بالنعل... فلا يهمهم عدل ولا حقوق إنسان ولا رفع ظلم ولا

تخفيف أثرة اللهم إلا ماجاء عرضاً أو ندرة أو مضاهاة للآخرين، وإنما همهم الأول في هذه الأمور التي فرقوا بها عباد الله بين مشرك وموحد، مهتد وضال)..

٢. إبراهيم الحربي الحنبلي –وهو من كبار تلاميذ أحمد بن حنبل - قال: قبر معروف الكرخي الترياق المجرب (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٣/٩)، وأقره الذهبي بل زاد الذهبي شارحاً هذا بقوله: (يريد إجابة دعوة المضطر عنده – أي عند القبر - لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء في السَّحَر مرجو، ودبر المكتوبات، وفي المساجد....).

قلت: وعلى هذا لو كان أحمد بن حنبل وإبراهيم الحربي والذهبي معاصرون للشيخ محمد لكانوا بأقوالهم السابقة كفاراً كفراً أكبر ينقل عن الملة!

ولو سردت أسماء العلماء الذين يرون الرأي السابق ونحوه مما يجعله الوهابية شركاً أكبر لطال بنا المقام.

وحقيقة الخلاف هو أن الشيخ لم يحرر المعنى الشرعي لأكثر المصطلحات التي يستخدمها كالشرك والعبادة ولاستعانة والدعاء والتوحيد والإيمان بل والإسلام...الخ.

فتجده ينتصر لتعريف حاد لهذا المصطلح أو ذاك ثم يسوق الناس بعصاه ليأطرهم على هذا التعريف وتكفير من يخالفه.

وقد يجد له سلف في حدية التعريف كابن تيمية وابن القيم، أو بعض أهل اللغة، لكن لا يجد له موافقاً على تنزيل هذا التعريف الحاد على واقع المسلمين، لأن التعريف ظني أولاً ولأن هناك موانع ثانياً ...ولأن ...ولأن...الخ.

فمثلاً: العبادة لو نرجع لتعريفها عند الشيخ بل وعند علماء اللغة سنجدهم تدور حول معنى واحد وهو: (الخضوع والتذلل) لكن هل نطبقه مطلقاً بحيث أن من خضع لسلطان ظالم، أو تذلل لأبويه، أو لمعشوقته... هل نجد هؤلاء عابدين لغير الله؟! كلا

فالله قد أمر بالخضوع والتذلل للوالدين (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) فهل هذا الخضوع والتذلل عبادة لهما؟.

ووصف الله المؤمنين مادحاً لهم بقوله (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) فهل المؤمنون يعبدون المؤمنين؟.

وقال عن والدي يوسف وأخوته (فخروا له سجداً)

فهل عبدوهم بهذا؟ ألم يرسل الله كل الأنبياء – كما يقول الشيخ محمد - بتوحيد الألوهية؟ كيف ويعقوب عليه السلام والد يوسف عليه السلام نبي مرسل؟ فهل كان مشركاً بهذا السجود؟ هل نقول إن الله يعاتب الأنبياء على الخطأ في الحكم بين أصحاب النعاج ولا يعاتبهم على الشرك الأكبر؟ نعوذ بالله من هذا القول.

إذن فهناك فرق كبير بين من يخضع لصنم أو شخص معتقداً فيه الألوهية، ومن يخضع تكريماً أو حباً أو خوفاً أو طمعاً معتقداً فيه البشرية وأن الألوهية لله وحده.

وكفار قريش كانوا يظنون أن الأصنام آلهة، وأنها تضر وتنفع وترزق وتشفع أذن الله أو لم يأذن، وأنها مستحقة للعبادة وأن العبادة لا تأتي إلا لها فكل عبادتهم لها ودعاؤهم ورجاؤهم وذبحهم ونذرهم ....ولا ينال الله من رجائهم وخوفهم وعبادتهم ونذرهم شئ، فأصبح الله عندهم مجرد اسم، له الخلق فقط، وهذا لم يكن موجوداً في المسلمين الذين قتلهم الوهابيون وهم يصلون الجمعة في مسجد العيينة باعتراف الوهابية أنفسهم، فهل يا ترى كانوا يؤدون الصلاة لهبل واللات ومناة؟! .

إذن فالمسلمون هم يعرفون أن الله وحده هو الذي بيده كل شيء، ولكنهم عند خضوعهم لبشر أو طلبهم شفاعته لا يقولون ذلك وهم معتقدون فيهم الألوهية، وهذا فرق كبير بين العبادة الشركية التي تجعل من المطلوب إلهاً، ومن الممارسات الأخرى -مباحة كانت أو ممنوعة - التي تجعل من المطلوب بشراً منحه الله شفاعة أو بركة وإلا فلا يملك لنفسه شئ إلا بفضل الله ورحمته وتأييده وإذنه وأن الأمر كله لله.

وهكذا كثير من الآيات التي يستدل بها الشيخ لا يذكر الآيات الأخرى التي تمنع فهمه الحاد لهذه الآية أو تلك.

الفقرة السابعة: أحاديث ذم نجد بين العراق ونجد:

سبق أن ذكرنا أن حجة خصوم الوهابية في وصفهم بالخوارج أسهل من حجة الوهابية في تفضيل كفار قريش على مسلمي زمانهم، ومن الأحاديث التي استدل بها خصوم الوهابية في التشنيع على الوهابية حديث (هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان) الذي أوله الوهابية بأن المراد نجد العراق وأوله السلفية المتقدمون بهذا لأجل ذم الشيعة وأهل الرأي والمعتزلة، وهذه دلائل على أن نجد المقصودة في الحديث هي نجد الحالية وهذا لا يعني تعميم الذم بكل أهل نجد ولا إنزاله على كل زمان، بل لا يعني هذا الجزم بصحة الحديث – رغم كونه في الصحيحين - لأنه آحاد ، فمن حجج من يرى أن نجد الحديث هي نجد المعروفة اليوم:

١. أن (نجد) إذا أطلقت نجد فلا تعني إلا نجد المعروفة وسط الجزيرة، مثلما نطلق الحجاز على الحجاز المعروف على ساحل البحر الأحمر الذي يمتد على طول البحر الأحمر ويكون مركزه شاملاً لمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة...، وليس كل ما حجز بين بحر وجبل يكون (حجازاً) في الناحية العرفية وإن جاز هذا من الناحية اللغوية، ولهذا فـ (نجد) إذا أطلقت انصرف المعنى على العرف كما نطلق الحجاز وينصرف هذا على العرف، والعرف مقدم على الوضع اللغوي بالإجماع، أما نجد من حيث الوضع اللغوي فصحيح أنها تشمل كل ما ارتفع من الأرض، وكذا الحجاز لغوياً تشمل كل ما حجز بين بحر وجبل.

٢. مما يدل على أن نجد غير العراق - وأن نجد المعروفة عرفاً هي نجد المعروفة اليوم - أن هناك ميقاتين من مواقيت الحج، ميقات أهل نجد وميقات أهل العراق، ولو كانت نجد والعراق مختلطة لقيل ميقات نجد الأولى ونجد الثانية، كما يقال في الثغور الإسلامية عن أرمينيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

٣. ومن الدلائل على ضعف هذا التأويل أن شرق المدينة هو نجد الحالية ، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ أشار بيده نحو المشرق، وكان يوم أشار يخطب في المسجد النبوي، فشرق المدينة هو نجد المعروفة، وليس العراق، ومن شاء أن يتأكد فليفتح خريطة الجزيرة العربية ويستعين بمدار السرطان –الذي لم يضعه الوهابية ولا مخالفوهم - فهو يمر جنوب المدينة المنورة وجنوب الرياض، فلو أخذت

خطأ مستقيماً على الخريطة واتجهت به من المدينة شرقاً فلن يخطئ الدرعية أو البطحاء أو ما بينهما! فإذا ثبت أن النبي ﷺ أشار بيده نحو المشرق - والحديث في الصحيحين - وقال (هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان) فشرق المدينة هو وسط نجد المعروفة وهي المقصودة وليس وسط العراق، وهذا لا يعني ذم كل نجدي ولا ذم نجد في كل الأزمان، كما أن مدح المدينة لا يعني الثناء على كل مدني، وإنما العبرة بالأغلب أو بفترة دون فترة أو أن الذم مخصوص بظهور الردة ...الخ، فهذا التخريج خير من ذلك التأويل المتكلف الذي ننكره — أعني ننكر التأويل -على المعتزلة والأشاعرة عندما نرى أنهم يتكلمون في الصفات، وأن هذا دليل بغضهم للحديث ودليل محاربتهم للسنة ....الخ تلك المظالم التي نقع في أبشع منها عندما نريد.

٤. ظهور العلم بالعراق دون نجد فمعظم أهل الحديث وأئمة الفقه واللغة عراقيون....

وهذا يؤكد أن العراق فيه من الخير والعلم والحضارة الإسلامية بشتى معالمها ما ليس في نجد، ولا بقية أمصار المسلمين، فأئمة المسلمين في الحديث والفقه والتفسير واللغة والمنطق عراقيون...

فإن صححنا حديث الصحيحين في ذم نجد فنجد العرف أولى من إلزاق هذا الذم بنجد اللغة ثم تخصيص نجد من هذا النجود اللغوية وجعله خاصاً بالعراق... فهذا تكلف كبير في تأويل الحديث وصرفه عن مدلوله...[1]

---

(١) نحن معاشر السلفيين ورثنا (ذم العراق) من خصومهم النواصب أهل الشام – وما أكثر ما ورثناه منهم!- فخطب الحجاج وزياد، ما زالت تتردد في الأسماع، وقد حرف بعض الرواة في بعض ألفاظ الحديث وأبدل كلمة (نحو المشرق) التي في الصحيحين ..بكلمة (نحو العراق) إمعاناً في ذم العراقيين وعداوتهم، وقد كان للدولة الأموية أثرها البالغ في ذم العراق حتى تأثر بذلك بعض الفقهاء وأهل الفضل، حتى أن الإمام مالك له أقوال يجعل فيها أحاديث أهل العراق كأحاديث أهل الكتاب (لا تصدقوهم ولا تكذبوهم)، هذا وهو مالك في مكانته فكيف بسائر الناس... والغريب أن بعض الحنابلة كابن تيمية (وهو شامي) يبالغ في ذم العراق مردداً من ضمن ما يردد كلام الإمام مالك السابق دون نظر في مدى صوابه، ولو قال له أحد: حسناً فالإمام أحمد بن حنبل (عراقي) وعلى هذا لا تصدقوه ولا تكذبوه! لبهتوا...!

وعلى هذا فقرن الشيطان خرج بنجد ولعل المراد بذلك مسيلمة الكذاب، وتبعهم الخوارج، وتبعهم القرامطة....الخ، فلماذا كل هذا الحماس في رد دلالة الحديث، ألا يخشى المؤولون أن يكون هذا الإصرار في الرد والتأويل من (تلك الزلازل والفتن) ومن (تزيين الشيطان)؟! ثم سبق أن قلنا أن ذم منطقة ومدح أخرى إنما هي بخصوص سبب أو حسب الأغلب أو نحو ذلك، فلو سلمنا بأن نجد المذمومة هي العراق أليس في العراق فضلاء وصالحون في الماضي والحاضر؟ ألم يكن في العراق كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين فمن الصحابة بالعراق علي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعمران بن حصين وسعد بن أبي وقاص وأمثالهم بل نزل الكوفة مع علي بن أبي طالب ثمانمائة من الأنصار، ثم تبع هذه الطبقة طبقة كبار علماء التابعين، كأويس القرني خير التابعين، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وشريح بن الحارث قاضي الأمة، والربيع بن خثيم، وسويد بن غفلة، والحارث الأعور، وأبو وائل، وزر بن حبيش، والأسود بن يزيد، وسعيد بن جبير، ثم إبراهيم النخعي ومن في طبقته كالشعبي وسالم بن أبي الجعد، الحكم بن عتيبة، سلمة بن كهيل، حماد بن أبي سليمان إمام أهل الرأي، أبو إسحاق السبيعي، ثم أبو حنيفة وطبقته كالأعمش وإبان بن تغلب، وعاصم بن أبي النجود القارئ المشهور، ومنصور بن المعتمر، ومسعر بن كدام، والحسن بن صالح بن حي، وسفيان الثوري، والإمام زفر، والقاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، ثم وكيع وطبقته كأبي معاوية الضرير وابن فضيل وحفص بن غياث وأبي بكر بن عياش، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبيد الله بن موسى العبسي شيخ البخاري وطبقته، ثم كان معظم أهل الحديث من الكوفة فضلاً عن بقية العراق كالبصرة وبغداد وواسط والأهواز والموصل ......

وبالعراق من غير الكوفيين الحسن البصري وابن سيرين، وقتادة وأحمد بن حنبل والخطيب البغدادي وابن الجوزي ونحوهم، ومن أهل اللغة سيبويه وأبي عمرو بن العلاء والأخفش، ومن الشعراء المتنبي والبحتري وأبي تمام ....الخ.

بينما لم يطأ الصحابة والتابعون وسط نجد إلا مقاتلين لأهل الردة - باستثناء قلائل كثمامة بن أثال - ولم يظهر بها من أهل العلم المشهورين غير يحي بن أبي كثير الطائي من شيوخ معمر وطبقته وهو مع هذا غامض إلا عند الخاصة، ثم استمرت فترات كبيرة من الجهل، ولعل أصلح أحوالها هي تلك المرحلة التي سبقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد كان فيها عدد كبير من القضاة والعلماء، ومع ذلك فتلك الفترة ذمها الوهابية أشد الذم وكفروا عامتها وخاصتها، وجعلوهم أكفر من كفار قريش، فإذا كانت هذه حالتها وهي في أحسن أحوالها – ونحن لا نوافق أبداً على هذا التكفير - فهي أولى بالحديث من العراق التي خرج منها نصف علماء الأمة ومن شك فليعمل استبياناً بعدد العراقيين من العلماء فليجعلهم في كفة وبقية الأمة – من حجازيين وشاميين ومصريين ومغاربة وأندلسيين ويمنيين وخراسانيين ونيسابوريين وقزوينيين وفارسيين وسجستانيين وبخاريين وسمرقنديين وجيلانيين وديلميين ومروزيين واصفهانيين ...الخ - في كفة ولينظر النتيجة ثم ليعيد قراءة الحديث! ولينظر هل الأولى تطبيق حديث (نجد) على العراق أم على (نجد)!

ولي بحث لم يكتمل بعنوان (إنصاف أهل العراق)، سردت فيه من فضائل هذا القطر العزيز وأعلامه وأثره على الحضارة الإسلامية ما يشفي قلب كل منصف.، ولا يذم العراق وأهله إلا من يجهل العراق ويجهل نفسه.

الخاتمة

أختصرها فيما يلي:

١-أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله شيخ فقيه حنبلي نجله ونحترمه ونقدر له حرصه على التوحيد الخالص، ونشكر له جهوده التي كان من ثمرتها توحيد هذا الوطن الكبير، ونشكر له الدعوة لتنقية التوحيد مما لحقه من شوائب عند كثير من العوام، وأن هذا لا يعني أن الشيخ أصاب في مسائل التكفير.

٢- أن الشيخ محمد – مع خطئه في التكفير - بريئ من كثير من التهم الموجهة إليه كادعاء النبوة أو تنقص النبي (ص) أو أنه يريد زعامة لنفسه ...وهو مصيب في الجملة باستثناء الغلو في التكفير وما تبعها من استباحة الدماء المعصومة.

٣- أن التكفير هو المنهج السائد والأساس عند الشيخ محمد ويختلف عن هذا المنهج في فتاوى معدودة لظروف سياسية أو أنها رجوع أو قد تكون عامة تحمل التكفير والإيهام بالتبرؤ من التكفير.

٤- أن التكفير في منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ثابت في مؤلفاته ورسائله، وفيما ينقله المعارضون عنه، وفيما دونه المؤرخون عن تلك المرحلة.

٥-أن الوهابية الرسمية اليوم ليسوا على منهج الشيخ في التكفير، وبقي على منهجه جماعات التكفير المعاصرة، وبعض السلفيات المحلية التي خارج السلطة.

٦- أن من الأمور التي يجعل منها الشيخ محمد شركاً أكبر ما هو مباح عند كثير من أئمة الحنابلة كأحمد بن حنبل وإبراهيم بن الحربي وغيرهما.

٧-البراءة من تكفير المسلمين وتخطئة ذلك يجب أن يكون واضحاً صريحاً دون طلب من أحد، لما له من آثار سيئة على الفرد والمجتمع.

٨-أوصي بفتح المجال لدراسة الفكر الوهابي بوصفه إنتاجاً بشرياً قابلاً للخطأ والصواب، كسائر الانتاجات المذهبية والفكرية، وأن يتم فسح الكتب التي

تنحو منحى المراجعة لفكر الشيخ، أسوة بالكتب التي تناقش تيارات ومذاهب أخرى، وأسوة بالكتب التي تغلو في الشيخ.

٩- يجب مع هذا كله أن تتآلف القلوب حتى مع وجود النقد والحدة العلمية، فاختلاف الرأي لا ينبغي أن يفسد أساس الأخوة الإسلامية.

١٠- أن جميع أبناء هذا الوطن لا يجوز أن يتحدث عنهم إلا من يمثلهم، ولن تمثلهم طائفة ولا مذهب، لحقيقة وجود التنوع والاختلاف، فلذلك يجب على الدولة -وهو من باب العدل - ألا تقصر الخطاب الداخلي على فئة دون فئة، وألا يكون الخطاب الديني الرسمي مستفزاً للمذاهب الإسلامية الموجودة داخل الوطن وخارجه، أما الخطاب غير الرسمي فمن الصعب السيطرة عليه، والعدل الذي يجب على كل دولة أن يكون لكل مذهب دروسه وكتبه ومنابره ومساجده ودراساته ومدارسه العلمية، دون أن يعتدي أحد على أحد، فمن حرض منهم على عنف أو تكفير للطرف الآخر فيجب إتاحة الفرصة للطرف الآخر أن يرد ويدفع عن نفسه ظلم المكفرين، هذا على أقل تقدير، وهذا لا يعني ترك المحاورة بالتي هي أحسن، ولا المناظرة الأخوية ولا النقد العلمي المسئول.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان.

قراءة في كتاب التوحيد

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

تمهيد:

هذا الكتاب الصغير وكتاب كشف الشبهات من أشهر كتب الشيخ محمد بل لعلهما أشهر كتبه على الإطلاق[1]، وقد ألفه الشيخ في بداية الدعوة، فهو من أول ما ألفه الشيخ.

وقد أسهم الكتاب في رفع درجة الغلو في السنوات الأخيرة، لأنه تم تقريره مقرراً دراسياً لكل مراحل التعليم العام عندنا في المملكة، فهو مقرر في مدارس التعليم العام من الصف الأول ابتدائي إلى الصف الثالث ثانوي، مع زيادة موضوعات ثقافية في الصفوف الثانوية فقط، أما المتوسطة (الإعدادية) فالكتاب — مع زيادة شروحات (تخفيفية) وتغيير بعض العناوين بحيث تكون أكثر هدوءاً — هو المقرر نفسه وبالعنوان نفسه (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) وأما الابتدائية فالمقرر مختصر منه.

---

(١) والنسخة التي أعتمد عليها طبعتها وزارة الشؤون الإسلامية (الطبعة عام ١٤٢٢هـ) وتقع النسخة في ١٠٨ صفحات من القطع الصغير وعلى نفقة التاجر المشهور سليمان بن عبدالعزيز الراجحي (فالنسخة فيها الجانب الحكومي والجانب الشعبي، مع ما في الكتاب من غلو في التكفير، ولو أن الحكومة والأغنياء اقتصروا على نشر الكتب المحايدة لكان أولى، كالمصحف الشريف ثم الصحيحان وكتاب الأم للشافعي وكتاب الاستذكار لابن عبدالبر ونحوها لكان أولى، بل حتى الكتب المذهبية كالمغني في فقه الحنابلة والسنن الكبرى للبيهقي في فقه الشافعية والعناية في الفقه الحنفي والمدونة في فقه المالكية لكان أولى من نشر الكتب الموغلة في المذهبية التي لها أثرها البالغ في زيادة الغلو تفكيك وحدة المسلمين وزيادة تنازعهم، ككتب ابن تيمية وكتب الشيخ محمد رحمهما الله، فهذه الكتب تزرع من الشقاق أكثر مما تزرعه من الخير، ولا تكاد تدخل بيتاً إلا وانتشر فيه الخلاف والتهاجر والتباغض... لأنها تركز على أمور خلافية ثم تنصر الرأي المتشدد في هذه الأمور، ثم ترتب على عدم اتباع هذا الموقف التكفير أو التبديع مع وجوب الهجر والبغض لمن لم يوافقهم على هذا الرأي لأنه — في رأيهم — هو الإسلام ذاته! وهو النص! وهو الحق المطلق!... فمن الطبيعي حدوث الخلاف والشقاق بين أفراد البيت الواحد.. ثم بعد هذا نقول: لا نسهم في نشر الغلو ونستغرب اتهامات الآخرين لنا من مسلمين وكفار!).

وقد تعبنا في التنبيه على هذا الموضوع من قديم، لكن وزارة التربية والتعليم في المملكة يظهر أنه لا صلاحية لها في تغيير المقرر، أو تشكيل لجنة تأليف شرعية مستقلة معتدلة، لأن مجرد شكوى واحدة من العلماء للسلطة السياسية كفيلة بالإطاحة بهذه اللجنة واعتدالها.

فلذلك تجتهد وزارة التربية والتعليم في إقناع بعض العلماء وعرض المقررات عليهم من وقت لآخر، لاستجداء موافقة لتعديلات ملحة... ولكم أن تتصوروا ردة فعل العلماء الذين يرون هذا الكتاب حقاً مطلقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا يشبه أن تطلب الوزارة من العلماء السماح لها بتعديلات في القرآن الكريم، للأسف أن الغلو عندنا قد بلغ درجة يمكننا أن نقول إنه اقترب من هذه الحالة.

وكل من اقترح أو حاول أن ينقد مقررات التوحيد – ولو كان نقداً طفيفاً في صياغة المقرر ومناسبته عمر الطالب – فإنه يكون عرضة لعقوبات (سرية) بالغة!

على كل نعود لكتاب التوحيد:

الكتاب يتكون من (١١٢) صفحة من القطع الصغير، و (٦٥) باباً.

وسأذكر هنا نموذجاً من الملحوظات، لارتباطه الشديد بفكر الشيخ محمد ومنهجه، وكونه أول ما ألفه من كتبه، وكونه – مع كشف الشبهات – أشهر كتب الوهابية على الإطلاق، علماً بأني لم أكمل قراءة الكتاب قراءة نقدية، آملاً أن تكون هناك فرصة أفضل لاستكمال هذه القراءة.

الملحوظة الأولى:

بدأ الشيخ الكتاب (ص٥) بسرد الآيات في وجوب عبادة الله وحده لا شريك له... وهذا ما لا خلاف فيه بين المسلمين، ولو أن الكتاب موجه لمشركين يعبدون غير الله لكان هذا صحيحاً، لكن المراد به – للأسف – هم مخالفونا من المسلمين الذين يفعلون بعض الأمور التي نراها شركاً وهو في الواقع بين أمر مختلف فيه أو ممارسات خاطئة يفعلها بعضهم سواء كانت مباحة أو بدعاً أو شركيات صغرى... أما الشركيات الكبرى فقليلة جداً إن لم تكن معدومة.. ثم هذه المخالفات والخرافات والبدع ليست خاصة بعصرنا فهي قديمة وهذا لا يعني ترك نقدها وبيانها والتحذير منها، وإنما يجب التحرز من الغلو في إنكارها إلى أن يصل الأمر لتكفير المسلمين.

فغاية ما في الأمر أن نعلم أنه: لن يخلو مجتمع مسلم من شذوذ فكري لبعض أفراده، هذا أمر طبيعي في كل أمة وكل شعب، لكن أن نتخذ هذه المخالفات مسوغاً للإضرار بآخرين ونبالغ في الخصومة حتى نستعين بالسلطة والمقرر والخطبة والإعلام والمنبر والجمرك والوظيفة والرزق... فهذه المبالغة في الانتصار لأمور أكثرها خلافية هو عين البدعة والظلم.

الملحوظة الثانية:

ثم ذكر الشيخ أثراً عن ابن مسعود نصه: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا – إلى قوله– وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ اهـ هكذا لم يذكر الشيخ نص الآيتين، ولا ذكر مصدر الأثر، لكن يهمنا الآيات الكريمة هنا، بغض النظر عن كونها وصية النبي ﷺ أم لا، فيكفي أن الله قد أسمى هذه النواهي والأوامر – الآيات ١٥٢، ١٥١ من سورة الأنعام – صراطه المستقيم..

والآيتان بعد العودة إليهما نجد فيهما ما يلي:

١. **النهي عن الشرك.**

٢. **الأمر بالإحسان إلى الوالدين.**

٣. **النهي عن قتل الأبناء خشية إملاق.**

٤. **النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.**

٥. **النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.**

٦. **النهي عن أكل مال اليتيم.**

٧. **الأمر بالوفاء بالكيل والميزان بالقسط.**

٨. **الأمر بالعدل في القول ولو كان ذا قربى.**

٩. **الأمر بالوفاء بالعهد.**

وقد أحسن الشيخ في النهي عن الشرك (صغيراً كان أو كبيراً) مع التحفظ على كثير من الأمور التي أدخلها في الشرك وليست بشرك، ولكن لو تجاوزنا هذا سنجد بعض أوامر هذه الآية تم إهمالها من الوهابية نفسها مثل (النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق) وقد قتلت الوهابية كثيراً من المسلمين بلا حق، حتى وصل قتلهم لهم أثناء أداء الصلوات داخل المساجد، كما لم يعدلوا في إطلاق الكفر الأكبر المخرج من الملة على علماء وعوام زمنهم[1] — من حنابلة وسنة فضلاً عن غيرهم! — ومن

---

(١) سبقت النماذج التي لا تترك للشك سبيلاً بأن الشيخ محمد رحمه الله وأتباعه قد بالغوا في التكفير وغلو فيه حتى كفروا معظم المسلمين في زمنهم.

(العدل في القول ولو كان ذا قربى) أن نعترف بهذه الحقيقة عندما نرى الأدلة الكافية على ثبوتها.

والشيخ – وعلى هذا أتباعه – يركزون على الوصية الأولى في هذه الآية وهو (النهي عن الشرك) رغم قلة الشرك أو عدمه في الأمة مع مبالغة في إدخال ما ليس شركاً في الشرك، بينما يهملون – بمبالغة أيضاً – الأوامر والنواهي الأخرى في الآية نفسها رغم وجود ما يدعو لها – فضلاً عن الأوامر والنواهي في القرآن الكريم كله – وأهمهما (حرمة الدماء والأعراض) فلا حرمة لدماء المسلمين[1]، ولا عدل في القول والحكم على المخالفين من المسلمين علماء وعامة، فرحمهم الله وسامحهم.

الملحوظة الثالثة:

ثم ذكر الشيخ ص (٥) أثر معاذ بن جبل الذي فيه قول النبي ﷺ له: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وحق العباد على الله؟... حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً...).

أقول: أولاً: هناك فلسفة كبيرة حول الاحتجاج بالأحاديث النبوية التي ظاهرها يخالف القرآن الكريم، ولا أريد أن أدخل هنا فيها ولا أن أقول إن حديث معاذ منها، إلا أنه مهما بلغ بنا الأمر، فتعطيلنا لحديث آحاد (ثبوته ظني) يبقى أسهل من تعطيل آيات كريمة قطعية الثبوت والدلالة (كما سيأتي).

والشيخ محمد رحمه الله و كذا التيار الوهابي – من ظاهر ما نقرأ ونفهم عنهم – يُفهِمون الناس من هذا الحديث أن المسلم إذا لم يشرك فلن يعذبه الله ويعنون بالشرك هنا شيئين: الشرك الأصلي والممارسات الأخرى التي ألحقوها بالشرك وفيها خلاف).

---

(١) لا يباح دم المسلم إلا بردة جماعية ظاهرة منفصلة ببلد من بلدان المسلمين أو بغي وخروج على الإمام العادل أو قطع طريق أو قصاص.

وهذا أولاً خطأ منهجي ناتج من اتباع دليل ظني الثبوت أو الدلالة وإهمال أدلة أخرى أقوى وأصرح – وهي مصيبة عامة في المسلمين ليست خاصة بالوهابية[1] فلا يجوز أن نحتج بحديث معارض لنصوص قرآنية مهما كان صحيحاً، أو يجب علينا على الأقل أن نصحح فهمنا للحديث، أما أن نأتي بحديث ثم نفهم ظاهره فهماً قاصراً ثم نسير خلفه غير ملتفتين إلى أهمية تحديد معناه بما لا يختلف أو يتناقض مع ما هو أصح منه، ثم نخالف في هذا (السير السريع) كماً كبيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقواطع الإسلامية فهذا جهل أو هوى يوقعنا في التناقض ويتيح لنا الانتقاء وما يتبعه من أخطاء في التصور أو الحكم أو الممارسة.

---

(١) وهذا الخطأ المنهجي الكبير هو نتيجة طبيعية لهجرنا القرآن الكريم من حيث التدبر، فنتلوه ولا نتدبره ولا نجمع بين الآيات في الموضوع الواحد، ولا نحاول أن نستنتج منه النظريات العامة التي تعيننا عند القراءة في الأحاديث المروية وسد ما أهمله الرواة أو نسوه عند رواية الأحاديث، بحيث أصبحنا نفاجأ بكثير من الأحاديث – التي صححها بعض العلماء – تخالف القرآن الكريم أو أن تفسيرنا لها يخالف القرآن الكريم، ككثير من تلك الأحاديث المروية في الترغيب والترهيب، فيفاجأ المسلم بأن هذا الحديث سيدخله الجنة وذاك سيدخله النار... وعلى أمور يسيرة في كثير من الأحيان، وهذه نتيجة طبيعية لإهمال علماء المسلمين استنباط (قواعد عامة من صريح القرآن الكريم في الأوامر والنواهي والمبادئ... الكبائر والصغائر، الأمور التي نص الله على أن فيها ثواباً أو عقاباً... والأمور التي لم ينص... الخ ولذلك خرجت تيارات ترفض قبول الأحاديث بصفة عامة وتشكك في ثبوتها وفي شرعية تدوينها، ولو كان عند المسلمين هذه الدراسات القرآنية التي تهيمن – أو يجب أن تهيمن – على المنطلقات الفكرية والحكم على الأمور عند المسلم لما كان المسلمون في هذا التشتت الفكري الكبير، فهذا يتمسك بآية وهذا يتمسك بحديث وهذا بقول عالم... فاختلطت عندنا الأمور لأننا لم نعمل على إنشاء هرم استدلالي بحيث نرجع فيه الظني للقطعي والمشتبه للصريح ومظنون السنة لصريح القرآن الكريم، وكلام العلماء للنصوص الشرعية... وهذا مبحث طويل جداً وفقير في الوقت نفسه، وآثار فقره ظاهرة في هذا التشتت والتنازع الفكري بين المسلمين).

العبادة في الحديث – إن صح لفظه[1] – هي طاعة الله في أوامر الإسلام الكبرى ونواهيه الكبرى، ولا يجوز أن نفهم الحديث – سواء هذا أو غيره – فهماً مفصولاً عن الآيات والأحاديث الثابتة، لاسيما وأن الحديث لو أخذناه حسب ظاهره لكان مناقضاً للقرآن الكريم مناقضة صريحة، فلو أن هناك رجلاً لا يشرك بالله شيئاً لكنه يقتل النفس المحرمة فهل نقول له: اطمئن فما دمت أنك لا تشرك بالله شيئاً فلن يعاقبك على قتل الناس وظلمهم وأكل أموالهم؟؟... كلا.

بل نقول له: القرآن الكريم – قبل حديث الآحاد هذا – ينص على أن قاتل النفس المحرمة موعود بالنار كما في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٩٣]، فهل نترك الآية الصريحة لنقل سلسلة من رواة الحديث لا نأمن نسيان هذا أو وهم ذاك؟[2]

---

(١) لأن أغلب الأحاديث مروية بالمعنى باعتراف المحدثين أنفسهم (راجع الكفاية للخطيب ومقدمة ابن الصلاح وكل كتب أصول علم الحديث)، والرواية بالمعنى يجوز عليها الوهم أو النسيان أو الخطأ فتبقى ظنية إلا إذا توفرت الشواهد القطعية وقبل هذا لم يخالف نصاً قرآنياً ولا نصاً حديثياً أصح منه ولا برهاناً عقلياً... فالحديث صحيح الإسناد فهو في الصحيحين، لكن المتن ليس على ظاهره، بمعنى أن القرآن الكريم قد نص على تعذيب من يرتكب الكبائر – كالقتل بلا حق وأكل مال اليتيم والظلم... – حتى لو لم يشرك الشرك الأكبر، مع أن ظاهر الحديث خلاف هذا، فيجب إخضاع الحديث للقرآن الكريم وعرضه عليه، وإلا أصبح القرآن الكريم كتاب بركة فقط، وهو الحاصل للأسف، فنحن نقرأه ونختمه في الشهر أو السنة لكننا لا نتحاكم إليه في كل أمورنا، ولا نحاكم ما تناقله الرواة – وأغلبه نقل شفهي – إلى القرآن الكريم، فلذلك ضعفت عقولنا وعدلنا وعلمنا بشرع ربنا.

(٢) نظراً للخصومة التي احتدمت بين أهل الحديث من جهة وأهل الرأي والمعتزلة من جهة أخرى فقد صرفت هذه الخصومة أهل الحديث عن النقد الداخلي لمنهج المحدثين أنفسهم واقتصر=

ثم الشيخ نفسه وتيار الوهابية لا يكتفون بأن يعبد الشخص الله لا يشرك به شيئاً وإنما كفروا من لم يهاجر إليهم إذا لم يستطع إنكار المنكر ببلده، وكفروا من لم يوافقهم على تكفير المسلمين وقاتلوه، وكفروا من أسماهم خوارج وقاتلوه وجعلوه ساباً لدين الرسول! (وقد سبقت توثيقات الشواهد على هذه وأمثالها)، إذن فهم من حيث التطبيق توسعوا في إطلاق الشرك وإطلاق الأحكام وإطلاق السيف.

الملحوظة الرابعة:

ثم ذكر الشيخ ص (٦) مسائل مستفادة من الحديث ومنها:

١.(العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه).

قلت: هذا قصر للعبادة ببعضها، لأن مخالفي الشيخ كانوا يقولون: نحن لا نعبد إلا الله فلماذا تكفروننا؟ فيقول لهم القول السابق إذ يحصر العبادة في التوحيد ثم يحصر التوحيد في قائمة طويلة من شروط لا إله إلا الله ونواقضها بحيث يستحيل أن يبقى مخالفه مسلماً إلا إذا اتبعه على رأيه واجتهاده في التعريف المتشدد للتوحيد والشرك... فبادئ الأمر يظنه طالب العلم صحيحاً، ولذلك نجد بعض العلماء كالأمير الصنعاني

=معظم النقد على السند أما المتن فقد اقتصر نقده ومحاكمته على المنهج النظري دون الممارسة العملية الواسعة، مع مبالغة أهل الحديث في التشنيع على أهل الرأي وعلى من شك في صدق راو قد وثقوه ولو كان توثيقهم فيه نظر عند مخالفيهم، وأصبحوا يرددون في من عنده منهج متشدد في محاكمة الشفويات المنقولة واتهامه بأنه يرد حديث رسول الله... وأنه عدو السنة... وأنه يكذب الرسول... الخ، وهذا غير صحيح فلم يكن أهل الرأي ولا المعتزلة يكذبون الرسول ولكن كان عندهم منهج في التثبت يختلف عن منهج المحدثين فحسب، والاختلاف في المنهج لا يبيح اتهام المتوقف بأنه يرد حديث الرسول... فهو لا يسلم بأن هذا قول الرسول حتى يتهم برده، وإذا سلم بثقة الرواة فلا يسلم بحفظهم لهذا الحديث أو نقله تاماً باللفظ والمناسبة والظروف.

والشوكاني وغيرهم يشهدون أن ما يقوله الشيخ محمد صحيح! لأن الشيخ وأتباعه من بعده عندما يراسلون هؤلاء العلماء يقولون لهم: نحن ندعو لعبادة الله وحده وترك الشرك! فلا يملك العلماء الآخرون إلا أن يقولوا: هذا دين الله ونحن معكم وقد يكاتبون الشيخ أو من بعده، وقد يمدحون شعراً ونثراً... لكن لو علم هؤلاء العلماء أن كلمة (التوحيد) هنا لها عند الوهابية شروط طويلة عريضة دقيقة ونواقض كثيرة غير صحيحة لما أيدوا الشيخ... ولذلك نجد الأمير الصنعاني يرجع عن مدح الشيخ إلى نقده نقداً لاذعاً عندما أطلعه مربد التميمي (وقد قتله الوهابيون في رغبة سنة ١١٧١ هـ) على كتب الشيخ المطولة والمفسرة للإجمال الذي وصل الصنعاني.

وخلاف العلماء مع الشيخ ليس في الدعوة للتوحيد والنهي عن الشرك فهذا أمر لا يخالف فيه مسلم عامي فكيف بعلماء عصره في نجد والحجاز والعراق واليمن... وإنما خلافهم معه في هذه القوائم الطويلة من الشروط والنواقض التي يشترطها الشيخ في (التوحيد والسلامة من الشرك).

إذا فهمنا هذا جيداً عرفنا سبب معارضة العلماء له ومطاوعة العوام، والشيخ قد اشتكى أن مخالفيه هم من العلماء والخاصة وليسوا من العامة (وسيأتي موثقاً).

لأن العامة عامة إذا سمعوا حديثاً ولو ضعيفاً أو قول عالم ولو مبتوراً اعتقدوا ما فيه من ترغيب أو ترهيب وانطلقوا يستعرضون المسلمين طولاً وعرضاً... لأن علماءهم قد قالوا لهم إن هؤلاء مشركون شركاً أكبر من شرك أبي جهل!! - كما كان يفعل الشيخ سامحه الله في وصفه لمخالفيه من العلماء- [1]. ثم إذا كان الشيخ يقصد بأن الخصومة بين الأنبياء والناس كان في التوحيد فقط فهذا غير صحيح، وهذا قصر للرسالة

---

(١) سيأتي وصفه لأحد العلماء الحنابلة في عصره بأنه أكفر من أبي جهل! وقد كرر كثيراً بأن الناس في عصره في نجد والحجاز زاد شركهم على شرك كفار قريش بخصلتين!

على بعض ما دعت إليه ، وإنما كانت هناك ذنوب كثيرة كان الناس يفعلونها فحذرت منها الرسل كالظلم والتطفيف في الميزان وقتل النفس المحرمة وقد ألف الشيخ محمد كتاب (مسائل الجاهلية ، التي خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهلية فبلغت أكثر من سبعين) ، فكل ما نهى عنه القرآن الكريم كان في بعض الكفار على الأقل.

أما إن قصد الشيخ أن الخصومة بينه وبين علماء عصره كان في التوحيد فقط فهذا أيضاً غير صحيح ، فقد كانوا يخاصمونه في مسألتين كبيرتين : التكفير والقتال.

فالحاصل أن قصر الشيخ للعبادة في التوحيد خطأ وقوله بأن الخصومة كانت في التوحيد فقط خطأ آخر ، لكن هذين الخطأين لم يكن ليكتشفهما الأعراب والبدو فلذلك كانوا على حماسة كبيرة في قتال المسلمين لأنهم يظنونهم – كما قال الشيخ – مشركين شركاً أكبر من شرك كفار قريش !

٢. وذكر الشيخ من تلك المسائل : **(أن من لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله...)**

وهذا من حيث النظرية صحيح ، لكن ليس الخلاف في هذا بين الشيخ وعلماء عصره في نجد والحجاز وغيرهما ، إنما الخلاف في معنى التوحيد الذي اشترط له الشيخ شروطاً طويلة ظنية أو خاطئة أو خالف فيها غيره من العلماء فمن لم يأت بها فهو عنده مشرك وعندهم مسلم.

فنقل الخلاف من موضعه إلى موضوع ليس محل خلاف ففيه تلبيس بغض النظر عن الدافع هل هو الحماس أو الاجتهاد والنية الصالحة أو الخصومة المفضية إلى التظالم.

٣. وذكر الشيخ من تلك المسائل : **(أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت)**

قلت : وهذا صحيح وليس محل خلاف لأن مخالفي الشيخ لم يقولوا نحن نؤمن بالله والطاغوت... وإنما اجتهد الشيخ في وصف أشياء بأنها طاغوت من توسل

وممارسات أغلبها خاطئ ومخالفوه يقولون: (هذه بين مباحة أو مكروهة أو محرمة ولا يصح أن نقول فيها إنها "طاغوت" ثم نرتب على ذلك أن من لم يجعلها شركاً فهو مؤمن بالطاغوت ويجب قتاله).

فأنتم تلاحظون أن الكلام العام لا خلاف فيه وإنما الخلاف عند تنزيل هذا الكلام العام في من لا يستحقه، ومن هنا بدأ الافتراق بين الشيخ وعلماء نجد في زمانه ثم بينه وبين علماء الحجاز والعراق... ثم اليوم بيننا وبين العالم كله!

٤. وذكر منها :**(أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله)**

أقول: وهذا صحيح، لكن هناك أموراً: منها معنى العبادة، وهل تأتي عبادة غير الله بالمعنى المجازي نتيجة جهل أو تأويل؟ وعلى هذا فلا يجوز أن نكفر المقلدين بدعوى أنهم اتخذوا علماءهم أرباباً من دون الله (كما يفعل الشيخ مع مقلدي العلماء المخالفين له) ولو جاز ذلك لجاز لي أن أكفر من يستنكر علي هذا البحث لأنني سأتهمه بأنه اتخذ الشيخ محمد رباً من دون الله! فالإطلاق العام في بعض النصوص لا يؤخذ حسب ظاهره وإنما يجمع مع النصوص الأخرى المحذرة من تكفير المسلم والمراعية لموانع التكفير كالجهل والتأويل والإكراه والاضطرار... ولو جاز لكل من طرح رأياً أن يتهم من لم يتابعه بأنه يعبد علماء آخرين لما بقي مسلم على وجه الأرض إلا اتهمناه بالكفر وعبادة غير الله.

الأمر الثاني: أن مخالفي الشيخ الذين كتب هذا الكتاب في الاحتجاج عليهم ينازعونه في أن بعض الأمور التي يسميها إيماناً بالطاغوت ليست كذلك وإنما هي بين المباح والمكروه والمحرم والبدعة... الخ، وإن سلموا له بوجود شيء من الشرك الأكبر في الأمة فلا يسلمون له بأن ذلك الشرك عام كما يقول هو فهو يزعم أن الشرك قد عم البسيطة! وعاد الناس إلى عبادة اللات والعزى! وأنه ما من بلدة من بلدان نجد إلا وفيها

صنم معبود من دون الله! وأن الشرك الأكبر قد أطبق على جزيرة العرب! وأن أكثر الناس في عهده بنجد والحجاز على إنكار البعث!... إلى غير ذلك من الأمور الكبيرة التي كان يطلقها (وقد سبق توثيقها).

فهم إن سلموا بوجود شرك أكبر فهم يرونه في أفراد وليس عاماً مثلما اليوم لا نستبعد وجود شرك أكبر في بلاد المسلمين لكن إن وجد فهو عند أفراد قليلين وليس عاماً ولا نستطيع متابعة من يقول بأنه الشرك عام في المسلمين.

وذكر من هذه المسائل.

- **(أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة)!**

أقول: إذا كان الشيخ يقصد بالمسألة الحديث نفسه بأن أكثر الصحابة لا يعلمونه لأن النبي ﷺ أمر معاذاً بكتمه فهذا صحيح، وإن كان يقصد أن المسائل التي تضمنها الحديث لا يعرفها أكثر الصحابة فهذا غير صحيح، بل هذه العلة من علل (متن الحديث) إذ لا يجوز لنبي أن يكتم عن أصحابه مسألة من أهم المسائل! ثم إذا كان أكثر الصحابة لا يعلمون هذه المسألة فكيف يريد الشيخ أن يعلمها كل المسلمين في عهده؟! ومن لا يعلمها فقد يكون تحت مطرقة التكفير... ثم كيف نردد بأن الصحابة أعلم منا ونحن نزعم أن أكثرهم لا يعلمون مسألة مهمة علمها أهل الدرعية؟!

تناقضات لا تنتهي.

١. وذكر الشيخ من تلك المسائل (جواز كتمان العلم للمصلحة):

ويقصد أمر النبي معاذاً بكتم هذا الحديث، ولكن كيف جعله الشيخ محمد أول دعوته؟ ثم هل كان الشيخ يرى أن مخالفيه مسلمون ولكنه يكتم هذا للمصلحة؟ ولأن الناس لن يتحمسوا لقتالهم إذا حكموا لهم بالإسلام؟ ثم إذا كان النبي ﷺ قد خشي

على الصحابة أن يتكلموا فكتمه فالشيخ جعل من الحديث أن أكثر الناس يحبط ولا يتكل! ولو كان يريد النبي ﷺ من معنى الحديث ما فهمه الشيخ لأمر بكتمه حتى لا يحبط الناس وليس حتى لا يتكلوا!!

فهذا يبين لنا مدى انحراف فهم الشيخ للحديث لأنه قصر العبادة المذكورة في الحديث على التوحيد ثم وضع للتوحيد شروطاً ونواقض كثيرة بحيث تحول الحديث من داع إلى التواكل إلى داع إلى الإحباط.

ثم الحديث كما قلنا إما أنه يخالف القرآن وإما أنه يتفق مع القرآن.

فإن كان يتفق مع القرآن فيجب أن نفسره تفسيراً لا يخالف ما في القرآن الكريم، فلا نحصر الرسالة في التوحيد ولا نجعل للتوحيد شروطاً بحيث لا يدخل فيه إلا رأي تكفير المسلمين.

وإن كان يخالف القرآن الكريم فيجب تنزيه النبي أن يكون قاله، وأن نحمله أوهام الناس ونقولاتهم الشفوية عن بعضهم قبل التدوين وما يمكن – عقلاً وعرفاً وواقعاً – أن يصاحب هذا النقل الشفوي من نقص لسبب واحد فقط وهو أن الرواة غير معصومين من الوهم والخطأ والنسيان.

فقد ينسى أحدهم لفظة واحدة تغير معنى الحديث أو تؤثر في معناه بحيث يعود للاتفاق مع نصوص القرآن الكريم.

فبين معاذ بن جبل الراوي المباشر له وبين من البخاري ومسلم قرنان من الزمان لا نأمن ألا يحدث أثناء تناقل الحديث وهم ولا خطأ ولا نسيان من أحد الرواة رغم توثيقهم في الجملة.

وكم رأينا في زمننا هذا من أناس لا نشك في ثقتهم وصلاحهم وقد يهمون في النقل عن شخص، فكيف بالنقل عن شخص عن آخر عن ثالث عن رابع...؟

أنا هنا لا أقول برد الحديث إلا إذا تبين مخالفته للقرآن الكريم، وأهل الحديث من حيث النظرية يعترفون في كل كتب المصطلح بأن الحديث قد يكون صحيح الإسناد باطل المتن إذا خالف القرآن الكريم ولم يمكن الجمع.

أما المعتزلة وهم مذهب إسلامي عقلاني فيقولون: إذا خالف الحديث القرآن فلا نحتاج لتكلف الجمع وإنما يتم رده وتقديم القرآن الجزم بأن الرواة قد أخطؤوا في النقل وأن هذا ليس من كلام النبي ﷺ، لأن النبي لا يخالف القرآن الكريم.

إذن فسواء صححنا إسناد الحديث مع متنه أو رددناهما لا يجوز أن نفهمه منفرداً مع إهمال النصوص الأقوى ولا سيما القرآنية.

والعقلية النقلية الحديثية للأسف لم تتعرض لنقد داخلي ذاتي من أهل الحديث أنفسهم[1].

---

(١) عندي مشروع دراسة في هذا الموضوع بعنوان (المشكلة الحديثية) لم يكتمل، لعل الدراسة تلقي الضوء على (المنظومة الحديثية) وظروف التدوين مع تفعيل النظريات التي وضعها أهل الحديث أنفسهم في نقد متون الأحاديث وأسانيدها، وقد بدأت بدراسة صحيح البخاري (ولم أكمل بعد) لكنني تفاجأت إلى الآن بكثير من الأحاديث التي في البخاري فضلاً عمن دونه، في أسانيدها رواة ضعفاء جداً بل بعضهم متهم بالكذب مع مخالفة أحاديث للقرآن الكريم... فضلاً عن العلل الأخرى من انقطاع وتدليس واختلاف ولا أزعم أنني سبقت إلى هذا فكثير من تلك الأحاديث التي رأيت ضعفها وهي في الصحيح، قد ضعفها قبلي محدثون كأحمد وابن معين وابن المديني (وهم من شيوخ البخاري ومسلم) وقبلهم القطان وابن مهدي وقبلهما شعبة والثوري، وضعف بعضها (بعد البخاري ومسلم) بعض أصحاب السنن كالترمذي والدارقطني في كتبه القيمة كالعلل والإلزامات والتتبع ومن بعدهم كابن حجر وغيره من شراح الصحيحين إلى أن وصل الأمر للمحدثين المعاصرين كالألباني والغماريين المغاربة والكوثري المصري، والمقصود هنا: أن نقد أحاديث في=

٢. وذكر الشيخ من تلك الفوائد (جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض).

أقول: وهذه عند أهل الحديث محل نظر، لأنه لا يجوز كتم الأمة علماً تحتاج إليه إنما يجوز كتمها علماً لا تحتاج إليه، وهذه من الأشياء التي أخذها (منتقدو أهل الحديث) عليهم، وتحتاج لبحث.

٣. وذكر الشيخ في آخر هذه الفوائد المستنبطة من حديث معاذ (عظم شأن هذه المسألة)

أقول: وهذا من علل متن الحديث، فالنبي ﷺ لن يكتم الأمة شيئاً عظيماً ثم يأمر بكتمه... النبي ﷺ مبلغ للناس عامة، والإسلام ليس فيه سرية بل هو دين علني، ومن هذا الباب دخلت الباطنية وزعمت ما زعمت.

وبعض السلفية يخالفون هذا ويزعمون (كفر من زعم أن النبي ﷺ كتم أمراً عن الأمة).

الملحوظة الخامسة:

عقد الشيخ الباب الأول ص (٩) (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) وأورد عدة أحاديث ومنها حديث عبادة بن الصامت:

(من شهد أن إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)!!

=الصحيحين ليس غريباً على أهل الحديث أنفسهم، فإذا كان بعلم وبرهان، ولا يجب أن نحرص على تبرئة أخطاء أهل الحديث فالنبي أولى بأن نحرص على ألا ننسب له ما لم يقل.

قلت: سأذكر هنا نموذجاً متقدماً في نقد الأحاديث، ليس عليه أكثر أهل الحديث من الناحية التطبيقية وإن كانوا عليه من الناحية النظرية، وهذا التباين بين نظرية أهل الحديث وتطبيقهم أمر ملحوظ وسهل لمن امتلك ثلاثة أمور:

الأول: معرفة نظرية أهل الحديث (المصطلح مع علم العلل)، والعلم بهذه المسألة كثير بين طلبة علم الحديث خاصة.

الثاني: محاكمة إنتاج أهل الحديث (كتب الحديث) إلى النظرية التي وضعوها هم أنفسهم، وهذه نادرة الوجود إلا في أحاديث مشهورة الضعف، أو تشهد لآراء خصوم أهل الحديث، وشذ من هذا الضعف التطبيقي للنظرية بعض الأفراد كالدارقطني والألباني وأحمد الغماري، فضعفوا أحاديث في الصحيحين أو أحدهما، مع استحياء وتردد.

الثالث: الشجاعة العلمية بحيث لا يخشى طالب العلم في العلم لومة لائم ولا حكم أحد من الناس عليه ببدعة أو ضلالة أو كفر، إنما عليه أن يخلص نيته لله ثم للحقيقة ثم ليصدع بالحق الذي يراه، فالعلم قسمان، قسم معلومة، وقسم شجاعة في طرح المعلومة.

ثم أقول: الحديث السابق الذي أورده الشيخ في صحيح البخاري ولكن لا يصح نسبته إلى النبي ﷺ[1]، للأسباب التي سنوردها هنا.

---

(١) أعني ما كل حديث صحيح الإسناد نجزم نسبته إلى النبي ﷺ لا سيما إذا كان ظاهره قاصراً عن معان مستوفاة في القرآن الكريم كهذا الحديث، فصحة الإسناد لا تعني صحة المتن، فصحة المتن تحتاج لقرائن أخرى من اتفاق المتن مع الخطوط العريضة لتعاليم الإسلام ومع القرآن الكريم والعقل والأحاديث الصحيحة الأخرى وتعدد المخارج التي ترجح اليقين بأن النبي ﷺ قال هذا ... الخ.

فظاهر الحديث أولاً مخالف للقرآن الكريم مخالفة صريحة... فلو أن مسلماً شهد بهذه الأمور ثم أساء السيرة وظلم وقتل الناس وسرق وزنا وأكل مال اليتيم وترك الصلاة والزكاة والحج والصوم وأتى محارمه وفعل الكبائر فمثل هذا نص القرآن الكريم على أنه يدخل النار لا الجنة.

ولذلك سبق أن كررت قائلاً: إننا اتخذنا القرآن مهجوراً... أصبح القرآن آخر ما نستدل به، ونثق بروايات منسوبة إلى النبي ﷺ ولعل في رواتها الواهم والناسي وكثير الخطأ، هذا إن سلمت من تعمد كذب لمصلحة أو سياسة أو مذهب أو رأي، ...

ولا نحتاج في مثل هذا الحديث أن ننظر في الإسناد، وإنما يتم تذكر الآيات الكريمة التي تتوعد من يرتكب الكبائر بالنار ثم ننظر للحديث فإذا هو لا يلزم منه اجتناب تلك الكبائر إذن فنسبته بهذا اللفظ إلى النبي ﷺ نسبة باطلة وإن كان في صحيح البخاري.

نقد سند الحديث:

أولاً: الحديث شامي وكانوا من أسوأ المرجئة[1] والحديث يتفق مع عقيدة المرجئة.

ثانياً: والحديث رواه البخاري في صحيحه عن صدقة بن الفضل (خراساني سلفي ثقة) حدثنا الوليد (بن مسلم الدمشقي الأموي المدلس وهو علة الحديث كما سيأتي

---

(١) مرجئة العراق يختلفون عن مرجئة الشام، إلا من كان منهم شامي الهوى، فالإرجاء العراقي يعني في خلاصته التورع عن التكفير، وهذا حق، ولذلك كان من مرجئة العراق - وقد عدوا منهم أبا حنيفة وكباراً في العلم - من رأى الثورة على الولاة الظلمة، وخلاصة الإرجاء الشامي يعني في خلاصته: السكوت عن الظلم وأهله مع تعميم أدلة مثل الحديث السابق دون النظر في أدلة الترهيب أو على الأقل الأدلة المخالفة في ظاهرها للقصر الموجود في الحديث.

التفصيل فيه) عن الأوزاعي (إمام أهل الشام وأكثر حديثه ضعيف رغم أنه ثقة)[1] حدثني عمير بن هانيء (الدمشقي لم يوثقه أحد المعتبرين وقد أنكر ابن أبي الحواري رواية الأوزاعي عنه وذكر أنه يبغضه وكان عمير هذا مع الشاميين المحرضين على يزيد بن الوليد أعدل بني أمية! بعد عمر بن عبد العزيز وقد قتل بسبب ذلك! وهذا يعني أنه كان يقف مع الوليد بن يزيد أفسق بني أمية! ولا أستبعد وضعه لهذا الحديث تبرئة منه للوليد الذي كان مسرفاً في المعاصي لكن الحديث يجعل الوليد مستحقاً للجنة من أبوابها الثمانية!) قال حدثني جنادة بن أبي أمية (وهو شامي وأهل الشام لم يكونوا أصحاب حديث، ثم هو زهراني وكثير ممن اشتغل بالحديث من الزهرانيين يكون فيهم نظر! فهم يكثرون الرواية فيما لا يضبطون، ثم كان من أعوان معاوية وولي له البحر! وكان معاوية إذا غضب على قوم أغزاهم البحر ثم قد تنقلب السفينة! وهذا لن يتم إلا بعلم هذا الرجل! وسيكون محل ثقة عند معاوية ولن يثق معاوية إلا في متهم).

عن عبادة بن الصامت (وهو صحابي كبير بدري كان في خصومة مع معاوية من أجل ذنوب كالربا وبيع الخمر ولو كان راوياً لهذا الحدث فسيعذر مظالم معاوية لأنه يظهر الإيمان بالأمور السابقة كلها) ونزه الله عبادة بن الصامت عن رواية مثل هذا الحديث فضلاً عن الرسول ﷺ.

ثالثاً: علة الحديث الرئيسة هو الوليد بن مسلم، فهو شامي دمشقي من موالي بني أمية ولم يكن أهل الشام أصحاب حديث ولا يهتمون به، ثم كونه مولى لبني أمية هو

---

(١) ولما سئل عنه أحمد قال: (حديث ضعيف ورأي ضعيف) ذكر ذلك الذهبي في النبلاء في ترجمة الأوزاعي فيما أذكر أو ترجمة مالك، ولا يقصد أحمد تضعيف الأوزاعي وإنما أحاديثه ضعيفة وهناك فرق بين الأمرين، فعندما نقول: حديثه ضعيف يعني أنه يأخذ عن ضعفاء أو يحتج بمراسيل ومقطوعات وعمل أهل بلده... فالضعف من غيره، وهو ناقل للضعف، وعندما نقول (هو ضعيف) فهذا يعني أنه مصدر للضعف...

مظنة الإرجاء فقد عمل بنو أمية على نشر الجبر والإرجاء بالشام والأهم من هذا كله ومما يدل على أنه علة هذا الحديث هو أنه متهم بالكذب في الأسانيد فهو يروي عن كذابين وضعفاء بينه وبين الأوزاعي ثم عند روايته للحديث يحذف أسماءهم وقد يحذف شيوخ الأوزاعي الضعفاء ويجعل مكانهم ثقات لأنه بزعمه (ينزه الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء الضعفاء والكذابين)! وقد اتهم بأنه أفسد حديث الأوزاعي.

ولندع ما ذكروا فيه من توثيق عام ونذكر ما ذكروا فيه من جرح خاص. فقد قال فيه الإمام أحمد (هو كثير الخطأ). و(كان رفّاعاً)!

وقال عنه مواطنه ومعاصره أبو مسهر الدمشقي الشامي (كان الوليد يأخذ من ابن أبي السفر حديث الأوزاعي وكان ابن أبي السفر كذاباً وهو يقول فيها: قال الأوزاعي)!

وقال أبو مسهر أيضاً (كان الوليد بن مسلم يحدث بأحاديث الأوزاعي "يأخذها" عن الكذابين ثم يدلسها عنهم – أي يسقط أسماءهم-).

وقال الهيثم بن خارجة للوليد بن مسلم: (قد أفسدت حديث الأوزاعي...) ثم ذكر له كيف حدث ذلك بأن الأوزاعي يروي عن ضعفاء عن مثل الزهري ونافع فيأتي الوليد ويحذف هؤلاء الضعفاء من الإسناد، فقال الوليد – ببرود – جواباً على هذه التهمة الخطيرة: (أنبل الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء)! ثم ذكر الهيثم أن الوليد لم يلتفت إلى نصيحته!.

وقال الدارقطني: (الوليد بن مسلم يرسل و يروي عن الأوزاعي أحاديث، هي عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي مثل نافع وعطاء

والزهري فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عن نافع، وعن الأوزاعي عن عطاء والزهري...)!!

وقال أبو داود: (روى الوليد بن مسلم عن مالك عشرة أحاديث ليس لها أصل)! قلت: مع أنه شامي ومالك مدني حجازي فكيف لو كان مالك شامياً؟ كم سيروي عنه من الأحاديث الباطلة؟ وقال أبو داود أيضاً: (بقية أحسن حالاً من الوليد بن مسلم) وكان بقية هذا من أشد الناس تدليساً.

وقال الحافظ ابن حجر: (ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية) وأورده في كتاب المدلسين[1] في الطبقة الرابعة منهم وهي (التي أتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم عن الضعفاء والمجهولين)!

قلت: هذا الحديث عنعن فيه الوليد فهو مظنة التدليس والتسوية، ولا يؤخذ عن الوليد إلا ما صرح فيه بالتحديث.

وقد حاول الذهبي الدفاع عن الوليد وتدليسه (رغم اعترافه بأنه رديء التدليس!) بدعوى منتشرة عند المتأخرين من أهل الحديث في كل ضعيف روى عنه البخاري أو مسلم فقال (البخاري ومسلم قد احتجا به لكنهما ينتقيان حديثه ويتجنبان ما ينكر له)[2]!

قلت: أما كون البخاري ومسلم قد احتجا به رغم هذه الطوام فهو دليل لنا بأن نقد المنظومة الحديثية له مبرراته حماية لجانب النبي ﷺ أن ينسب له ما لم يقل.

---

(١) المعروف باسم (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس) والكتاب عليه ملحوظات، لكن كلامه في الوليد يتفق مع ما وصف به من التدليس الشديد، بل أقبح أنواع التدليس وهو تدليس التسوية.

(٢) راجع ترجمته في تهذيب الكمال، وكذلك الكلام الذي نقلته عن الرواة الآخرين أخذته من تهذيب الكمال، وقد أزيد في التعليق أو التحليل أو الاستنتاج.

وأما زعم الذهبي أن البخاري ومسلم ينتقيان من أحاديثه ويتركان المنكر منها فهذه دعوى يدحضها وجود هذا الحديث نفسه المخالف للقرآن الكريم.

صحيح أن البخاري ومسلم من أفضل من ألف في الأحاديث الصحيحة لكن العقلية القرآنية – إن صح التعبير – غائبة غياباً شبه كلي عن أهل الحديث، ولذلك يروون مثل هذا الحديث... الذي لا يقول بمضمونه مسلم لا محدث ولا معتزلي، لا الوهابية ولا مخالفوهم.

ثم كيف نجزم أن البخاري ومسلم ينتقيان مطلقاً وننسى أنهما قد يهمان ويظنان في حديث ما أنه من صحيح حديث فلان ثم لا يكون؟ لا بد من برهان.

والخلاصة:

أن هذا الحديث الذي رواه البخاري – وتجنبه مسلم – حديث باطل لا يصح نسبته إلى النبي ﷺ لمخالفته القرآن الكريم متناً ولضعفه إسناداً.

ثم كل الذين يكفرهم الشيخ يشهدون الشهادتين ويؤمنون بالخصال الموجودة في هذا الحديث.

ثم لو كان الشخص ملتزماً بشروطهم في تحقق التوحيد لكنه يرى تأويل الصفات أو يرى التبرك والتوسل بالصالحين أو يفضل علياً على أبي بكر أو نحو هذا لبدعوه واتهموه بالجهمية أو الشرك أو الرفض فالخصال إذن المذكورة في هذا الحديث لا يلتزمون بها، وقصر الدين عليها خطأ، لأنها تتعلق بالإيمان اللساني والقلبي دون العمل وهذا إرجاء يذمه هؤلاء ذماً شديداً، بل اعتذر بعض السلفية المعاصرين عن تكفير الحنابلة لأبي حنيفة بزعمهم أن فيه نوعاً من الإرجاء (إرجاء أهل السنة العراقي كان يعني التورع في التكفير في الجملة... ليس كالإرجاء الشامي التابع للسلطة والمسوغ لها) وإرجاء الكوفيين الذين منهم أبو حنيفة أخف بكثير من أرجاء الشاميين (المرجئة الأصليين) فإرجاؤهم قبيح جداً[1].

---

(١) لأنهم يفصلون العمل عن الإيمان وهو يتماشى مع السلطة الأموية الظالمة، فليقتلوا وينهبوا ويسرفوا وينتهكوا الحقوق... فإذا آمنوا بكذا وكذا مسألة يدخلون الجنة من أي أبوابها شاءوا؟ وغلاة السلفية اليوم فيهم إرجاء في الرضا التام عن السلفي ولو كان سيئ العمل واتهام غير السلفي ولو كان صالحاً... (وهذا قد فصلنا شواهده في كتاب: قراءة في كتب العقائد) راجع الفرق بين إرجاء الفقهاء العراقيين وإرجاء الشاميين في كتاب (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار – الجزء الأول ص٢٤٣ ومن أراد معرفة المزيد عن السلفية المعاصرة فليقرأ في هذا الكتاب الأخير وسيكتشف أن سلفيتنا لا علاقة لها بالسنة ولا السلف ولا حتى الحنابلة وإنما هي خليط من أربعة مذاهب رديئة وهي الحشو والتشبيه والنصب والتكفير (الخوارج)، ومع هذا يصر هؤلاء الغلاة على دعوة المسلمين السنة إلى السنة! وما أغرب أن يدعوك الشخص لغير بيته! فكيف إذا دعاك إلى بيتك لا بيته!.

وأخيراً:

هذا نموذج من نقد كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، لم أكمله، فلم أشأ أن يبقى رهين خمس محابس! وقلت أنشر ما تم منه لما فيه من فائدة، ولظن بعض الناس أن (كتاب التوحيد) للشيخ محمد لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه[1]، ولعلي أجد في القراء من يشجعني على إتمامه، فأنا مشتت في البحث لا أكاد أتم بحثاً.

غفر الله للشيخ محمد وأتباعه وغفر لمعارضيه من علماء المسلمين وعوامهم وجمعهم جميعاً في مستقر رحمته.

وصلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حمد مجيد.

وكتبه

حسن بن فرحان المالكي

ضحى يوم الثلاثاء ١١ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ.

الرياض

المملكة العربية السعودية

---

(١) وهم يفعلون هذا مع كل كتاب يرون أنه يدعم ما هم عليه من غلو أو تكفير أو نصب أو تجسيم، كما فعلوا من الثناء الكبير على كتاب السنة للبربهاري رغم غلوه الكبير، وفعلوا ذلك مع كتاب منهاج السنة لابن تيمية رغم ظهور النصب الفاضح في هذا الكتاب، وفعلوا ذلك مع كتب الاعتقاد الحنبلية القديمة لما فيها من الحشو والتجسيم، وفعلوا هذا مع كتب الشيخ محمد لنهجها منهج التكفير، والنتيجة كانت في البعد عن التحاكم للشرع الحنيف واتخاذ تلك الكتب مرجعاً في الحكم على الناس، فأصبح المسلمون سواهم بين كفر وردة وضلالة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وتواطؤهم هذا مع وجود من يسمع لهم بقوة في مجتمعنا هو شهادة إدانة بالغة للتعليم والمناهج عندنا.

الأخطاء الطباعية

الصفحة	الخطأ	الصواب
٥	١٩	٩
٣٠	ما كتبت	كتبت
٣٠	وآخر لها مراجعة	وآخر مراجعة لها
٥٤	ولا أظن أن أغلب	ولا أظن أغلب
٧٤	وأنهم يستهزءون	أنهم يستهزئون
٧٨	بداية عام ١٤١٧ هـ	آخر عام ١٤١٦ هـ
٨٢	٥٧/١	٥٧/١٠
٨٩	لم تجدد في كلام الشيخ	لم تجدد كلام الشيخ
١٩٠	وتقديم القرآن الجزم	وتقديم القرآن والجزم